تفسير

سورة الحج

بسم الله الرحمن الرحيم

١ . قوله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ قال ابن عباس : يريد أهل مكة[١] ، ﴿ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ﴾ احذروا عقابه بطاعته[٢] .

قوله تعالى : ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ﴾ . الزلزلة : شدة الحركة على الحال الهائلة ، وكأنَّ أصله من قولهم : زلَّت[٣] قدمه ، إذا[٤] زالت عن الجهة بسرعة ، ثم ضُوعف فقيل : زَلْزَل الله قدمه ، كما قيل : دكَّه ودَكْدَكَه[٥][٦] .

واختلفوا في هذه الزلزلة :

---

(١) ذكره أبو حيان في البحر ٦/ ٣٤٩ من غير نسبة ، وقال : والظاهر أن قوله : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ عام .

(٢) الطبري ١٧/ ١٠٩ .

(٣) في (د) و(ع) : (زلزت) .

(٤) في (أ) : (أي) .

(٥) في (أ) : (دكدك له) ، وهو خطأ .

(٦) من قوله : الزلزلة : شدة . . . إلى ضوعف . نقلاً عن الكشف والبيان للثعلبي ٣/ ٤٦ ب .

فقال علقمة ، والشعبي : هي من أشراط[١] الساعة ، وهي في[٢] الدنيا قبل[٣] يوم القيامة[٤] .

وهذا معنى قول ابن عباس في رواية عطاء ، لأنه قال : يريد النفخة الأولى[٥] . يعني أن هذه الزلزلة تكون معها .

وقال الحسن والسدي : هذه الزلزلة تكون يوم القيامة[٦] . ورويا بإسناديهما أن النبي ﷺ قرأ هذه الآية والتي بعدها ، فقال له الناس : يا رسول الله ، أي يوم هذا ؟ قال : «هذا يوم يقول الله لآدم : يا آدم ، قم فابعث بعث النار»[٧] .

---

(١) في (د) و(ع) : (شرائط) .

(٢) (في) : ساقطة من (أ) .

(٣) في (د) : (قيل) ، وهو خطأ .

(٤) رواه سفيان في تفسيره ٢٠٨ ، وابن أبي شيبة في مصنفه ١٣/ ٤١٠ ، والطبري ١٧/ ١٠٩ عن علقمة . وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٧ وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم .
ورواه الطبري ١٧/ ١٠٩ عن الشعبي ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٧ وعزاه لابن جرير وابن المنذر .

(٥) ذكره القرطبي ١٢/ ٤ ، وأبو حيان في البحر ٦/ ٣٤٩ من غير نسبة لأحد .

(٦) ذكره عنهما البغوي ٥/ ٣٦٣ ، وابن الجوزي في زاد المسير ٥/ ٤٠٣ .

(٧) رواه سعيد بن منصور في تفسيره ١٥٥ أ ، والترمذي في جامعه كتاب التفسير . ومن سورة الحج ٩/ ٩ ، ١٠ ، والنسائي في تفسيره ٢/ ٨٢ ، والطبري ١٧/ ١١١ ، والحاكم في مستدركه ٢/ ٢٣٣ من طريق ، عن الحسن البصري ، عن عمران بن حصين ، نحو ما ذكر هنا لكن في سائر الروايات أن النبي ﷺ هو القائل : «أتدرون أيَّ يوم ذلك» . وليس الناس كما في الرواية التي ساقها الواحدي .
وأما رواية السدي لهذا الحديث فلم أجدها .

والحديث مشهور[١] .

وقال أبو إسحاق : وقيل : إنِّها الزلزلة التي تكون معها الساعة[٢] .

وهذا قول الكلبي ، قال[٣] : إن زلزلة الساعة قيام الساعة[٤][٥] .

يعني أن هذه الزلزلة تقارن قيام الساعة وتكون معها .

وهذا كما روي عن ابن عباس أنه قال :﴿زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ﴾ ؛ قيام الساعة[٦] .

قوله : ﴿شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ يعني أنه لا يوصف لعظمه .

وهذه الآية بيانٌ عما يوجبه شدة أهوال القيامة من التأهُّب لها .

---

(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في كتاب التفسير ، سورة الحج ٨/ ٤٤١ ، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، قال : قال النبي ﷺ : «يقول الله ـعز وجلـ يوم القيامة : يا آدم ، فيقول : لبيك ربنا وسعديك . فينادي بصوت : إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثاً إلى النار» الحديث . . وفيه : «فحينئذ تضع الحامل حملها ، ويشيب الوليد ، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد» . الحديث .

(٢) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٤٠٩ .

(٣) قال : ساقطة من (د) و(ع) .

(٤) مثله في تنوير المقباس ٢٠٥ .

(٥) في (د) زيادة بعد قوله الساعة : (يعني أن هذه الزلزلة الساعة قيام الساعة) . وهو تكرار وخطأ من الناسخ .

(٦) ذكره عنه البغوي ٥/ ٣٦٣ ، وابن الجوزي ٥/ ٤٠٣ .

٢. قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تَرَوْنَهَا ﴾ ؛ يعني[١] : ترون[٢] تلك الزلزلة[٣] .

وانتصب ﴿ يَوْمَ ﴾ لأنه ظرف لقوله : ﴿ تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ ﴾ ؛ أي في ذلك اليوم تذهل[٤] .

قال الفرَّاء : ذَهَلْتُ عن كذا . وَذَهِلْتُ قليلة[٥] تذهل فيها جميعاً بفتح الهاء ليس غيره ، وأذهلتُه : أنسيته[٦] إذْهالاً[٧] .

ويقال : ذَهَلَ ذَهْلاً وذُهُولاً ، إذا ترك الشيء وتناساه[٨] على عمد أو شغله عنه شغل . هذا معنى الذهول في اللغة[٩] .

---

(١) في (ع) : (معنى) .

(٢) في (أ) : (يرون) .

(٣) استظهر هذا القول أبو حيان ٦/ ٢٤٩ ، والسمين الحلبي ٨/ ٢٢٢ .
وقيل الضمير في قوله : (ترونها) عائدٌ إلى الساعة ، يعني : ترون الساعة .
وقال ابن كثير : هذا من باب ضمير الشأن ، ولهذا قال مفسراً له : «تذهل كل مرضعة . . . .» ٣/ ٢٠٥ . انظر : القرطبي ١٢/ ٤ ، والبحرالبحر المحيط ٦/ ٣٤٩ ، ٣٥٠ ، والدر المصون ٨/ ٢٢٢ .

(٤) وهذا قول الزمخشري ٣/ ٤ ، وأبي حيان ٦/ ٣٤٩ .
وجوز أبو البقاء العكبري ٢/ ١٣٩ وتبعه السمين الحلبي ٨/ ٢٢٢ أن يكون انتصاب ﴿ يَوْمَ ﴾ على أنه ظرف لـ ﴿ عَظِيمٌ ﴾ ، أو على إضمار : اذكر .

(٥) (قليلة) : ساقطة من (ع) .

(٦) (أنسيته) : ساقطة من (أ) .

(٧) ليس في المطبوع من الفرَّاء ، وفي الطبري ١٧/ ١١٣ نحوه باختصار .

(٨) من قوله : وتناساه . . . يبدأ الموجود من نسخة الظاهرية [ظ] .

(٩) انظر : تهذيب اللغة للأزهري (ذهل) ٦/ ٢٦١ ، والصحاح للجوهري ٤/ ١٧٠٢ ، ولسان العرب ١١/ ٢٥٩ .

فأما تفسير قوله[١] : ﴿تَذْهَلُ﴾ ، فقال الليث[٢] والضحاك[٣] وابن قتيبة[٤] وأبو عبيدة[٥] : تَسْلو . وأنشدوا قول كثير[٦] :

صحا قلبه يا عَزَّ أو كادَ يَذْهَلُ[٧]

وقال الزَّجَّاج : تحير[٨] .

وقال الكلبي : تلهى ، فلا تعرف ولدها صغيراً كان أو كبيراً ، اشتغالاً بنفسها[٩] .

وقال المفسرون : تنسى وتترك ولدها للكرب الذي نزل بها[١٠] .

---

(١) في (د) و(ع) : (فأما التفسير في قوله) .

(٢) قول الليث في تهذيب اللغة للأزهري (ذهل) ٦/ ٢٦١ . انظر : العين (ذهل) ٤/ ٤٩ .

(٣) ذكره عنه الثعلبي في الكشف والبيان ٣/ ٤٦ ب ، وذكره ابن حجر في الفتح ٨/ ٤٤١ من رواية ابن المنذر عن الضحاك .

(٤) غريب القرآن لابن قتيبة ٢٩٠ .

(٥) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ٤٤ .

(٦) هو أبو صخر ، كثير بن عبدالرحمن بن الأسود ، الخزاعي ، المدني . شاعر مشهور ، يعرف بكثير عزة ؛ لأنه تتيم بعزة بنت جميل الصخرية ، وشبب بها ، وهو من غلاة الرافضة القائلين بالرجعة . مات سنة ١٠٥هـ ، وقيل ١٠٦هـ ، وقيل ١٠٧هـ .
طبقات فحول الشعراء ٢/ ٥٤٠ ، والشعر والشعراء ٣٣٤ـ٣٤٤ ، ومعجم الشعراء ٢٤٣ ، وسير أعلام النبلاء ٥/ ١٥٢ ، وشذرات الذهب ١/ ١٣١ .

(٧) المنشد من قول كثير هو صدر بيت له من قصيدة يمدح بها عبدالملك بن مروان ، وعجزه :
وأضْحى يريد الصَّرمَ أو يتبدَّل .
وهو في ديوانه ٢٥٤ ، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ٤٤ ، والكامل للمبرِّد ٢/ ٢٩٩ .

(٨) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٤٠٩ .

(٩) ذكره عنه الماوردي في النكت والعيون ٤/ ٦ مختصراً .

(١٠) هذا قول الطبري في تفسيره ١٧/ ١١٣ ، والثعلبي في الكشف والبيان ٣/ ٤٦ب .

وهذا قول مقاتل بن حيان[١] .

وقال ابن عباس : تُشْغل[٢] .

وقوله : ﴿كُلُّ مُرْضِعَةٍ﴾ . قال أبو إسحاق : مرضعة جاءت على الفعل على أرضعت ، ويقال : امرأة مرضع ؛ أي ذات رضاع[٣] .

وهذا[٤] معنى قول الأخفش : إنما أراد -والله أعلم- الفعل ، ولو أراد الصفة لقال : مرضع[٥] .

قال المبرِّد : ولما[٦] قال تبارك وتعالى : ﴿عَمَّآ أَرْضَعَتْ﴾ كان حق هذا مرضعة .

---

(١) ذكره عنه الثعلبي في الكشف والبيان ٣/ ٤٦ ب .

(٢) ذكره عنه الثعلبي في الكشف والبيان ٣/ ٤٦ ب . قال القرطبي ١٢/ ٤ بعد ذكره للأقوال المتقدمة : والمعنى متقارب .

(٣) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٤٠٩ ، ٤١٠ . وفي المطبوع : ومرضعة جَارٍ على المفعل على ما أرضعت ، ويقال . . . .

(٤) في (ظ) و(د) و(ع) : (هذا) .

(٥) معاني القرآن للأخفش ٢/ ٦٣٥ .
قال العلامة ابن القيم -رحمه الله- في بدائع الفوائد ٤/ ٢١ ، ٢٢ : المرضع : من لها ولد تُرضعه ، والمرضعة من ألقمت الثدي للرضيع . وعلى هذا فقوله تعالى : ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ﴾ أبلغ من مرضع في هذا المقام ؛ فإن المرأة قد تذهل عن الرضيع إذا كان غير مباشر للرضاعة ، فإذا التقم الثدي واشتغلت برضاعه لم تذهل عنه إلا لأمر هو أعظم عندها من اشتغالها بالرَّضاع .

(٦) في (ظ) : (لما) .

قوله :﴿ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ ﴾ . قال الحسن في هذه الآية : تذهل المرضعة عن ولدها لغير فطام ، وتضع الحامل ما في بطنها لغير تمام[١] .

وعلى هذا –وهو قول جميع المفسرين[٢]– يكون التقدير : عمن أرضعت (ما) يكون بمعنى (من)[٣] .

وقال المبرِّد : (ما) بمعنى المصدر ؛ أي تذهل عن الإرضاع[٤] . يعني لا ترضع ولدها الصغير . والأول الوجه[٥] .

وقولـه : ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا ﴾ . قال الكلبي : كل حبلى تضع ولدها لتمام أو غير تمام .

يعني : من هول ذلك اليوم ، وهذا يدل على أن هذه الزلزلة تكون في الدنيا ؛ لأنَّ بعد البعث لا يكون حبلى . وعند شدة الفزع تلقي المرأة جنينها ، وقد ذكرت

---

(١) رواه الطبري ١٧/ ١١٤ .

(٢) انظر : الطبري ١٧/ ١١٤ .

(٣) فتكون (ما) على هذا الوجـه موصولة بمعنى : الذي . انظر : الإمـلاء للعكبري ٢/ ١٣٩ ، والبحر المحيط ٦/ ٣٥٠ ، والدر المصون ٨/ ٢٢٤ .

(٤) ذكره عنه القرطبي ١٢/ ٤ .

(٥) واسـتظهره أبو حيان ٦/ ٣٥٠ وقال : ويقويه تعدي (تضع) إلى المفعول به في قوله : ﴿حَمۡلَهَا﴾ لا إلى المصدر ، انظر : الدر المصون ٨/ ٢٢٤ .

العرب هذا في أشعارها[١] ، ووصفوا شدة [الفزع به ، قال مُزَرِّدُ[٢] أخو[٣] الشَّمَّاخ في][٤] مرثيَّة عمر رضي الله عنه :

تضل [الحصانُ البكرُ تُلقي جنينها نثا خبرٍ فــوقَ المُطيِّ مُعلّــق][٥][٦]

---

(١) في (ظ) : (أشعار) .

(٢) هــو مُزَرِّد بن ضرار بن حرملــة ، المازني ، الذبياني ، العطفاني يقال : اســمه يزيد ، ومزرد لقبه . وهو فارس وشــاعر جاهلي . وكان هجاء في الجاهلية ، أدرك الإسلام فأســلم . وهو الأخ الأكبر للشماخ الشاعر .
طبقات فحول الشــعراء ١/ ١٣٢ ، والشعر والشــعراء لابن قتيبة ١٩٥ ، ومعجم الشعراء للمرزباني ٤٨٣ ، والاستيعاب لابن عبدالبر ٤/ ١٤٧٠ ، وأسد الغابة ٤/ ٣٥١ ، والإصابة ٣/ ٣٨٥ .

(٣) في (د) و(ع) : (أخ) .

(٤) ما بين المعقوفين كشط في (ظ) .

(٥) كشط في (ظ) .

(٦) هذا البيت أحد أبيات قيلت في رثاء عمر رضي الله عنه ، كما قال الواحدي ، وقد اختلف في نسبتها .
قال ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ١٢/ ١٩٤ : والأكثرون يروونها لمزرِّد أخي الشَّــمَّاخ ، ومنهم من يرويها للشَّمَّاخ نفسه .
وقــال التبريــزي في شرح ديوان الحماســة ٣/ ٦٥ معلقــاً على قول أبي تمــام : وقال الشَّــمَّاخ يرثي عمــر بن الخطاب : وقال أبــو رياش : الذي عندي أنه لمــزرِّد أخيه ، وقال أبو محمــد الأعرابي : هو لُجزء بن ضرار أخيه .
والبيت في ديوان الحماســة لأبي تمام ١/ ٥٤١ منسوباً للشماخ ، وفي ملحق ديوان الشماخ ٤٤٨ ، ٤٤٩ وذكر الخلاف فيه ، وشرح ديوان الحماســة للمرزوقي ٣/ ١٠٩٢ ، وشرح ديوان الحماســة للتبريزي ٣/ ٦٥ ، وشرح نهــج البلاغة لابن أبي الحديد ١٢/ ١٩٤ ، والرواية عندهم : (يلقى) مكان (تُلقي) ، على تقدير : يُلقى نثا خــبر يعني ظهوره جنينها ، قال المرزوقي في شرحــه : الحصان العفيفة ، . . . . والبكر : التي حملت أول حملها . والنثا : يستعمل في الخير والشر ، يقال : نثوت الكلام أنثوه نثواً ، إذا أظهرته .
فيقول : ترى الحامل يســقط حملها ما ينثى من خبر سار به الركبان وتقاذفته الأقطار استفظاعاً لوقوعه واستشعاراً لكل بلاء وخوف منه . اهـ .
وذكــر التبريزي مثل قول المرزوقي وزاد : و(نثا خبر) يجــوز أن يكون مرفوعاً على أنه فاعل ومنصوباً على أنه مفعول بــه ، وإذا كان منصوباً يروى : تلقى (بالتاء) ، ومعلــق نعت للخبر جعله . . . . لأنَّ الراكب أخبر بقتله .

أي لهول ما تسمع من نعي [عمر تلقي جنينها .

وقوله تعالى : ﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ﴾ . قال صاحب النظم : خاطب][1] جماعة الناس بقوله : ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا﴾ ثم أفرد وترك مذهب الجمع في قول : ﴿وَتَرَى﴾ ، وذلك[2] من فنون الخطاب ، كما جاز[3] أن يخاطب عيناً ثم يترك مخاطبته إلى الحكاية عن غائب كقوله : ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم﴾ [يونس :٢٢] جاز أن ينادي جميعاً ويخاطبه[4] ثم يرجع[5] إلى واحد ، ويجوز على الضد من هذا كقوله : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾[6] [الطلاق :١] .

قال الحسن : ﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ﴾ من الخوف ، ﴿وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ﴾ ؛ وما هم بسكارى من الشراب[7] . وهذا قول ابن عباس[8] ، وجميع المفسرين[9] .

---

(١) كشط في (ظ) .
(٢) في (أ) : (ذلك) .
(٣) في (ظ) و(د) : (أجاز) .
(٤) في (د) و(ع) : (وتخاطبه) ، وفي (ظ) : (مهملة) .
(٥) في (د) و(ع) : (ترجع) .
(٦) (النساء) : ليست في (أ) .
(٧) رواه الطبري ١٧/ ١١٥ .
(٨) ذكره عنه الرازي في تفسيره ٢٣/ ٤ .
(٩) انظر : الطبري ١٧/ ١١٥ ، والدر المنثور للسيوطي ٦/ ٧ ، ٨ .

وقال أهل المعاني : وترى[١] الناس كأنهم سكارى من ذهول عقولهم لشدة ما يمر بهم ، فيضطربون اضطراب السكران من[٢] الشراب[٣] . يدل على صحة هذا قراءة من قرأ «وتُرَى[٤] الناس» بضم التاء[٥] . أي تَظُنُّهم .

قال الفرّاء في هذه القراءة : وهو وجه جيِّد[٦] .

وحكى صاحب النظم عن بعض النحويين أن قوله : ﴿وَتَرَى﴾ كلمة موضوعة على الإفراد وتأويلها التشبيه ، كأنَّه -عز وجل- قال : وكأنَّ الناس سكارى . واحتج بقول : ﴿أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ﴾ [العلق :١١] معنى ﴿أَرَءَيْتَ﴾ هاهنا للتنبيه على السؤال والإجابة ، وكذلك قوله : ﴿قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ﴾ [الإسراء :٦٢] ، وقد مرَّ . قال : ولا ينكر أن تكون (ترى) كلمة ضمنت معنى لا يظهر في بنية صورتها[٧] ؛ ولذلك تركت على حال واحدة بعد العطف بها على مخاطبة جماعة .

---

(١) وفي (ظ) : (ويرى) .

(٢) في (ظ) : (في) ، وهو خطأ .

(٣) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان ٣/ ٥٤٦ باختصار ، وعزاه لأهل المعاني .

(٤) في (ظ) : (ويرى) .

(٥) نُسبت هذه القراءة لأبي هريرة ، وأبي زرعة بن عمرو بن جرير ، وأبي نهيك وقراءة الجمهور : ﴿وَتَرَى﴾ بفتح التاء .
الشواذ لابن خالويه ٩٤ ، وإعراب القرآن للنحاس ٣/ ٨٥ ، والكشف والبيان للثعلبي ٣/ ٤٦ ب ، والقرطبي ١٢/ ٥ ، والبحر المحيط ٦/ ٣٥٠ ، والدر المصون ٨/ ٢٢٤ .

(٦) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢١٥ .

(٧) العبارة في (أ) : (ولا ينكر أن تكون (ترى) كلمة في معنى لا يظهر ضمنت نيه صورتها) ، وهي عبارة ركيكة .

و﴿ سُكَٰرَىٰ ﴾ ؛ جمع سكران . وقرئ (سكرى)[١] .

قال أبو الهيثم : النعت[٢] [الذي على فعلان يجمع][٣] على فُعالى[٤] وفَعالى مثل : غَيْرانَ وغُيَارَى وغَيارى[٥] ، وسكران [وسكارى . وإنما قالوا سكرى ، وأكثر][٦] ما يجيء فَعلى جمعاً لفعيل بمعنى مفعول ، [مثل قتيل وقتلى وجريح وجرحى وصريع وصرعى][٧] ، لأنه شبه بالنَّوكى[٨] والجمعى [والهلكى لزوال عقل السكران[٩] .

وقال سيبويه : قالوا : رجل سكران][١٠] وقوم سكرى . قال : وذلك أنهم جعلوه كالمرضى[١١] .

---

(١) قرأ حمزة والكسائي : (سكرى) بفتح السين من غير ألف ، وقرأ الباقون : ﴿ سُكَٰرَىٰ ﴾ بضم السين وبألف بعد الكاف . السبعة ٤٣٤ ، والتبصرة ٢٦٥ ، والتيسير ١٥٦ .

(٢) في (ظ) : (البعث) ، وهو خطأ .

(٣) ما بين المعقوفين كشط في (ظ) .

(٤) في (ظ) : (فعال) ، وهو خطأ .

(٥) (غيارى) : ساقطة من (ظ) ، وفي (أ) : (عبارى) .
غيارى : جمع غيران وهو فعلان من الغيرة وهي الحمية والأنفة . انظر : لسان العرب (غير) ٥/ ٤٢ .

(٦) غيارى : ساقطة من (ظ) ، وفي (أ) : (عبارى) .
وغيارى : جمع غيران وهو فعلان من الغيرة وهي الحمية والأنفة . انظر : لسان العرب (غير) ٥/ ٤٢ .

(٧) ما بين المعقوفين كشط في (ظ) .

(٨) في (أ) : (بالنكوى) ، هو خطأ .
والنَّوْكى : جمع أنوك ، وهو : الأحمق . الصحاح للجوهري (نوك) ٤/ ١٦١٣ .

(٩) قول أبي الهيثم في تهذيب اللغة للأزهري (سكر) ١٠/ ٥٧ .

(١٠) ما بين المعقوفين كشط في (ظ) .

(١١) الكتاب لسيبويه ٣/ ٦٤٩ .

قال أبو علي : ويجوز (سكرى) من وجه آخر وهو أن سيبويه حكى رجل سَكِرٌ[١] ، وقد جمعوا هذا البناء على فَعْلَى[٢] فقالوا : هَرِمٌ وهَرْمى وزَمِنٌ وزَمْنى وضَمِنٌ وضَمْنى[٣] ، لأنه من باب الأدواء والأمراض التي يصاب بها ، فَفَعلى في هذا الجمع -وإن كان كعطشى- فليس يراد بها المفرد ، إنّما يراد بها تأنيث الجمع كما أن الباضعة[٤] والطَّائفة[٥] وإن كان على لفظ الضَّاربة والقائمة فإنّما لتأنيث الجمع دون تأنيث الواحد من المؤنث[٦] .

ونحو هذا قال الفرَّاء في قراءة من قرأ (سكرى) قال : وهو وجه جيد في العربية ؛ لأنه بمنزلة الهلكى والجرحى ، والعرب تجعل فَعَلى علامة لجمع كل ذي زمانة وضرر وهلاك ، ولا يبالون أكان واحده فاعلاً أم فعيلاً أم فعلان . قال : ولو قيل (سكرى) على أن[٧] الجمع يقع عليه التأنيث فيكون كالواحدة كان وجهاً ، كما

---

(١) الكتاب لسيبويه ٣/ ٦٤٦ .

(٢) في (أ) : (فعل) ، وهو خطأ .

(٣) زَمن : أي مبتلى بين الزَّمانة ، والزمَّانة : العاهة . لسان العرب (زمن) ١٣/ ١٩٩ .
ضمن : هو الذي به ضمانة في جسده من زمانة أو بلاء أو كسر أو غيره . الصحاح للجوهري ٦/ ٢١٥٥ ، ولسان العرب (ضمن) ١٣/ ٢٦٠ .

(٤) (الباضعة) : مهملة في (أ) .
والباضعة هي الفرق من الغنم ، أو القطعة التي انقطعت من الغنم .
الصحاح للجوهري (بضع) ٣/ ١١٨٦ ، والقاموس المحيط للفيروزآبادي ٣/ ٥ .

(٥) تصحفت في المطبوع من الحجة إلى (الطائعة) .
لسان العرب (طوف) ٩/ ٢٢٦ .

(٦) الحجة لأبي علي الفارسي ٥/ ٢٦٦ ، ٢٦٧ .
انظر : علل القراءات للأزهري ٢/ ٤١٩ ، وحجة القراءات لابن زنجلة ٤٧٢ ، والكشف لمكي بن أبي طالب ٢/ ١١٦ .

(٧) (أنَّ) : ساقطة من (ظ) و(د) و(ع) .

قال الله : ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ [الأعراف : ١٨٠] ، ﴿ٱلۡقُرُونِ ٱلۡأُولَىٰ﴾[1] ، و﴿ٱلنَّاسَ﴾ جماعة فجائز[2] : أن يقع ذلك عليهم ، وأنشد :

أضحت بنو عامر غَضْبَى أُنوفُهم   أَنَّى عفوت[3] فلا عــارٌ ولا باس

فقال غضبى للأنوف ، على ما فسَّرت لك[4] .

وقوله : ﴿وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ﴾ دليل على سكرهم من خوف العذاب .

٣. قولــه : ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ﴾ . قــال المفــسرون : نزلت في النَّضْر بن الحارث ، كان كثير[5] الجــدال ، وكان ينكر أن الله قادرٌ على إحياء من بَلِيَ وصار تراباً[6] .

وقال ابن عباس في رواية عطاء : يريد الوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة[7] .

والمعنى : أنه يخاصم[8] في الله فيزعم أنه غير قادر على البعث .

---

(١) طه ٥١ ، القصص ٤٣ .

(٢) في (ظ) : (فجاز) .

(٣) في (أ) : (عفرت) ، وهو خطأ .

(٤) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢١٤ ، ٢١٥ .
والبيت الذي أنشده الفرَّاء قال عنه : وأنشدني بعضهم .

(٥) في (ظ) : (كبير) .

(٦) الكشف والبيان للثعلبي ٣/ ٤٧ أ .

(٧) لم أجد من ذكره عن ابن عباس ، وقد ذكر الماوردي ٤/ ٦ ، وابن الجوزي ٥/ ٤٠٥ عن ابن عباس أنها نزلت في النَّضر بن الحارث .
والصــواب أنه لم يثبت أنها نزلت في واحد من هؤلاء بعينه ، بل هي نازلة في من جادل في الله بغير علم ومنهــم هؤلاء المذكورون ، ثــم هي بعد عامة في كل من اتصف بهذه الصفــة . انظر : المحرر الوجيز لابن عطية ١٠/ ٢٢٦ ، والبحر المحيط ٦/ ٣٥١ .

(٨) في (أ) : (فخاصم) .

﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ ؛ يعني أنه لا علم له في ذلك ، إنما[١] [يقوله بإغراء من الشيطان وطاعته إياه][٢] . وهو قوله : ﴿وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ﴾ ؛ أي يتبع ما يسول له الشيطان قال ابن عباس][٣] : والمريد الذي يتمرد على الله عز وجل[٤] .

وقال[٥] أهل اللغة في المريد قولين[٦] :

أحدهما : أنه المتجرد للفساد .

والثاني : أنَّه العاري من الخير .

وذلك أن أصله في اللغة : الإملاس ، والمريد[٧] : المتملس من الخير ، ومنه قوله : ﴿صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ﴾ [النمل :٤٤] . وذكرنا الكلام في هذا عند قوله : ﴿مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ﴾ [التوبة :١٠١] .

٤. قوله تعالى : ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ .

قال ابن عباس : قضى الله -تعالى- أن من أطاع إبليس أضله ولم يرشده ، وصيره إلى عذاب السعير[٨] .

---

(١) في (ظ) : (وإنّما) .
(٢) ما بين المعقوفين كشط في (ظ) .
(٣) ما بين المعقوفين كشط في (ظ) .
(٤) انظر : تنوير المقباس ٢٠٦ .
(٥) في (ظ) : (قال) .
(٦) انظر : تهذيب اللغة للأزهري (مرد) ١٤/ ١١٨ ، ١١٩ ، ولسان العرب لابن منظور ٣/ ٤٠٠ ، ٤٠١ .
(٧) في (ظ) : (فالمريد) .
(٨) ورد نحوه باختصار عن مجاهد وقتادة . انظر : الطبري ١٧/ ١١٦ ، والدر المنثور ٦/ ٨ .

والكناية في قولـــه : ﴿عَلَيْهِ﴾[١] عائدة على[٢] الشـــيطان ، وكذلك في قوله : ﴿أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ﴾[٣][٤] .

وهذه الآية دليل على أنَّ[٥] الله قد كتب في الأزل وقضى على الشيطان إضلال من تولاه ، وأنَّ ذلك من الله -تعالى- حكم[٦] لا نكير[٧] عليه فيه .

وفيه تكذيب للقدرية في امتناعهم عن إضافة القدر إلى الله -تعالى- في الضلال والكفر ، وعندهم أن شـــيئاً من اللطف لم يبق إلا وقد فعله الله بعباده فلم يؤمنوا ، ولو منع شـــيئاً من اللطف خرج عن الإلهية ، فإلاههـــم بزعمهم في صورة عاجز على الحقيقة لا يقدر أن يفعل ما يصير الناس به[٨] مؤمنين ، وهم أبداً يقولون[٩] : إضلاله إياهم وقضاؤه عليهم بالكفر ســـفه . فيقال[١٠] ففي خلقه إيَّاهم مع علمه بما سيكون منهم مثل ذلك الســـفه فلم خلقهم وهو يعلم أنهم لا يتعاطون سوى الكفر ؟ وفي خلق القدرة لهم حتى يكفروا بها ؟

---

(١) (عليه) : ساقطة من (ظ) .

(٢) في (ظ) : (إلى) .

(٣) (فأنّه) : ساقطة من (ظ) .

(٤) وقيل : الكناية في (عليه) و(أنَّه) تعود على (من) الأولى ؛ أي المجادل . واستظهره أبو حيَّان .
وقيل الضميران في (عليه) و(أنه) عائدان على (من) الأولى . والضمير في (فأنَّه) ضمير الشأن .
وقـــال ابن عطية بعد أن ذكر أن الضمير في (عليه) عائد على الشـــيطان ثم ذكـــر احتمالاً أنه يعود على المتولي : والذي يظهر لي أن الضمير في (أنَّه) الأولى للشـــيطان ، وفي الثانية(لـــمن) الذي هو المتولي .
المحرر لابن عطية ١٠/ ٢٧ ، والبحر المحيط ٦/ ٣٥١ ، والدر المصون ٨/ ٢٢٩ ، ٢٣٠ .

(٥) (أنَّ) ساقطة من (أ) .

(٦) (حكم) : ساقطة من (ظ) .

(٧) في (ع) : (لا يكبر) ، وهو خطأ .

(٨) في (ظ) و(د) و(ع) : زيادة (إليه) بعد قوله : الناس .

(٩) في (أ) : (يقول) ، وهو خطأ .

(١٠) في (ظ) : (فقال) ، وهو خطأ .

فبان بهذا أن الدين كله في الاستسلام للقدرة وتفويض الأمر إلى المشيئة من غير تحكم ، يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد .

قال[١] أبو إسحاق : ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ﴾ [﴿أَنَّهُۥ﴾ في][٢] موضع [رفع ﴿فَأَنَّهُۥ﴾][٣] ﴿يُضِلُّهُۥ﴾ عطف عليه ، والفاء الأجود فيها أن تكون [في معنى الجزاء ، وجائز كسر إنَّ مع الفاء وتكون[٤] جزاءً][٥] لا غير . والتأويل : كتب على الشيطان [إضلال متوليه[٦] وهدايتهم إلى عذاب السعير . وحقيقة (أن)][٧] الثانية أنها مكررة على جهة التوكيد ، لأن المعنى : كتب عليه أنه من تولاه أضله . انتهى كلامه[٨] .

قال أبو علي : إعراب هذه الآية مشكل ، وأنا أشرحه -إن شاء الله- وأبيِّن موضع السَّهو فيه .

قوله : ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ﴾ ﴿أَنَّهُۥ﴾ في موضع رفع وهي توصل من الجمل[٩] بالابتداء والخبر . وخبر الابتداء معلومٌ وجوهه . وقوله : ﴿مَن تَوَلَّاهُ﴾ لا تخلو (مَن) مِن أن تكون[١٠] بمنزلة (الذي) وتكون بمعنى الجزاء . [فإن كان

(١) في (ظ) : (يزعمون) .
(٢) في (أ) : (وقال) .
(٣) ما بين المعقوفين كشط من (ظ) .
(٤) في المعاني : (ويكون) .
(٥) ما بين المعقوفين كشط في (ظ) .
(٦) في (أ) : (متوالية) ، وهو خطأ .
(٧) ما بين المعقوفين كشط في (ظ) .
(٨) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٤١١ .
(٩) في الإغفال ١٠٣١ : (وهي ما توصل بالجمل) .
(١٠) في الإغفال ١٠٣١ : (فلا يخلو (من) فيه من أن تكون . . . .)

بمعنى الجزاء][1] فالفاء في ﴿فَأَنَّهُۥ﴾ إنّما هو جواب الجزاء ، ولا تكون العاطفة [لأنَّها إذا كانت جواباً للجزاء لم يجز أن تكون العاطفة][2] كما أنها إذا كانت داخلة على خبر المبتدأ إذا كان المبتدأ موصولاً ، وكانت جملته بمعنى الجزاء لم تكن العاطفة نحو قوله : ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ [البقرة :٢٧٤] فـ (من) على هذا الوجه في موضع رفع ، و﴿تَوَلَّاهُ﴾ في موضع جزم لكونه شرطاً ، والفاء وما بعدها في موضع جزم لوقوعه موقع جزاء الشرط ، و(أن) من قوله ﴿فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ﴾ موضعه رفع بإضمار مبتدأ بين الفاء و(إنّ) ، لترتفع «أنَّ» على أنَّه[3] خبرُ مبتدأ[4] محذوف تقديره : فشأنه أنَّه يُضِلُّهُ ، أو أمره ، أو نحو ذلك مما يصلح أن يكون مبتدأ لهذا الخبر ، إذ كانت (أنَّ) لا تكون مبتدأة وإنَّما تكون مبنية على شيء ، ومثل هذا قوله : ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ﴾ [التوبة :٦٣] فارتفاع (أنَّ) بما ارتفع به (أنَّ) في قوله : ﴿فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ﴾ وقوله[5] : ﴿مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ في موضع رفع لوقوع جميع ذلك خبراً لـ (أنَّ) . كما أنَّ﴿مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ﴾ إلى قوله : ﴿خَٰلِدًا فِيهَا﴾[6] في موضع رفع لوقوعها خبراً لـ (أنَّ) ، فالفاء في ﴿فَأَنَّهُۥ﴾ ليست بعاطفة في[7] هذا الوجه .

---

(١) ساقط من (ظ) و(د) و(ع) وليس موجوداً في الإغفال .

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ظ) .

(٣) (أنه) : ساقطة من (ظ) .

(٤) في (أ) : (لمبتدأ) .

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) .

(٦) (فيها) : ساقطة من (أ) .

(٧) في الإغفال ١٠٣٥ : (على) .

وإن كان (من) من قوله : ﴿أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ﴾ بمعنى (الذي)[١] فالتقدير : كتب على الشيطان أن الشيطان الذي تولاه . فاسم (أنَّ) الهاء التي هي ضمير الشيطان و«من» اسم مبتدأ وخبره ﴿فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ﴾ فالقول في ارتفاع (أنَّ) من قوله : ﴿فَأَنَّهُۥ﴾ على هذا الوجه كالقول في الوجه الأول وما يقدر فيه من الإضمار الذي يكون أنَّ مبنياً عليه ، وتقديره : الذي تولاه ﴿فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ﴾[٢] فله إضلاله [أو (فشأنه إضلاله)][٣] وهدايته إياه إلى عذاب السعير . فالفاء في هذا الوجه أيضاً داخلة لمعنى الجزاء ، ولا يجوز أن تكون العاطفة . ألا ترى أنك لا تقول : زيد فمنطلق . فتعطف الخبر على مبتدأه ، وإنَّما دخلت هنا لما في الصلة من معنى الجزاء كقوله : ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ [البقرة :٢٧٤] ، وقوله : ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل :٥٣] . ومثله في التنزيل كثير .

فإذا لم يخل من الوجهين اللذين ذكرنا ، وكانت الفاء في كلا الوجهين متعلقة بها لا على جهة العطف لما بينا ثبت أنَّ قول أبي إسحاق : أنّ[٤] (فأنه) عطف على (أنَّ) خطأ ؛ إذ كانت الفاء لا تخلو إما أن تكون مع ما بعدها في موضع جزم لوقوعه جزاء للشرط ، وإما أن تكون مع ما بعدها في موضع رفع لوقوعها خبراً لمبتدأ واقع مع خبره موقع خبر (أنَّ) من قوله : ﴿أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ﴾ .

---

(١) هذا هو شرح الاحتمال الثاني في معنى من من قول : ﴿مَن تَوَلَّاهُ﴾ الذي ذكره أبو علي في أول كلامه بقوله : وقوله : ﴿مَن تَوَلَّاهُ﴾ لا تخلو (من) من أن تكون بمنزلة الذي أو تكون بمعنى الجزاء .

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) .

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ظ) .

(٤) (أنَّ) : ساقطة من (ظ) .

وإذا بطل أن تكون الفاء للعطف بطل قول أبي إسحاق في (أنَّ) من قوله : ﴿فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ﴾ موضعها رفع أيضاً أن يكون مرفوعاً من الجهة التي ذكر وهو خطأ[١] ثانٍ[٢] لزمه لجعله الفاء عاطفة و(أن) من قوله ﴿فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ﴾ لا يجوز أن تكون معطوفة على الأولى[٣] ؛ لأنه لا يخلو من أن يكون خبر مبتدأ ، أو يكون جواب شرط ، ومحال أن يعطف خبر المبتدأ على المبتدأ بحرف[٤] عطف أو يعطف جواب الشرط على شيء قبل الشرط[٥] .

٥. قوله : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ . قال ابن عباس : يريد أهل مكة[٦] . ﴿إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ﴾ . قال : يريد إن كنتم في شك من القيامة ، ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ﴾ ؛ يريد آدم[٧] .

قال أبو إسحاق : قيل للذين جحدوا البعث ، وهم المشركون : إن كنتم في شك من[٨] أن الله يبعث الموتى فتدبَّروا أمر خلقكم وابتدائكم فإنكم[٩] لا تجدون في القدرة فرقاً بين ابتداء الخلق وبين إعادته .

---

(١) في (أ) : (التي ذكره) ، هو خطأ .

(٢) في (أ) : (فإن) ، وهو خطأ .

(٣) في (ظ) و(د) و(ع) : (الأول) ، والمثبت من (أ) . وهو الموافق لما في الإغفال ١٠٤٠ .

(٤) في (أ) : (لحرف) ، وهو خطأ .

(٥) الإغفال لأبي علي الفارسي ٢/ ١٠٣١ـ١٠٤٠ .
انظر : إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٨٦ ، ومشكل إعراب القرآن لمكي ابن أبي طالب ٢/ ٤٨٦ ، والبيان في غريب إعراب القرآن للأنباري ٢/ ١٦٨ ، ١٦٩ ، والبحر المحيط ٦/ ٣٥١ ، والدر المصون ٨/ ٢٢٧ ، ٢٢٨ .

(٦) مثله في تنوير المقباس ٢٠٦ ، وذكره ابن الجوزي ٥/ ٤٠٦ من غير نسبة لأحد .

(٧) مثله في تنوير المقباس ٢٠٦ .

(٨) (من) : ساقطة من (أ) .

(٩) (فإنكم) : ساقطة من (ظ) .

ثم بين لهم ابتـــداء خلقهم ، فأعلمهم[١] أنَّهم خلقـــوا من تراب ، وهو خلق آدم عليه الســـلام ،ثم خُلِقَ ولده من نطفة ، ثم من علقة ثم من مضغة ، فأعلمهم أحوال خلقهم[٢] .

وقال[٣] صاحب النظم : معنى الآية إن كنتم في ريب من البعث فإنا نخبركم أنا خلقناكم من تراب .

وقوله : ﴿ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾ يعني ولد آدم[٤] ، خلقه من مني الأب .

ومعنى النطفة في اللغة : الماء القليل .

يقـــال : في الغدير نطفة زرقاء ، أي بقية ماء صـــاف . وأصلها من النَّطف[٥] وهو القطر ، يقال : نطفت السحابة وهي تُنْطُفُ -بالضم- نَطْفاً . وليلةٌ نَطُوف : تمطر حتى الصباح ، والذي يخلق منه الولد يسمى نطفة ، لأنه ماء يقطر[٦] .

---

(١) في (ظ) : (وعلَّمهم) .
(٢) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٤١٢ .
(٣) في (أ) : (قال) .
(٤) (آدم) : ساقطة من (ظ) .
(٥) في (ظ) : (النطفة) .
(٦) انظر : تهذيب اللغة (نطف) ١٣/ ٣٦٥ ، ٣٦٦ ، والصحاح ٤/ ١٤٣٤ ، ولســـان العرب ٩/ ٣٣٥ ، ٣٣٦ .

وقوله :﴿ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ﴾ . العلــق الدم الجامد قبل أن ييبس ، والقطعة علقة منه[١][٢] ، ومنه قول القُطامي :

تَمَجُّ عُروقُها عَلَقاً مُتَاعاً[٣]

وذلك أن النطفة المخلوق منها الولد تصير دماً غليظاً .

وقولــه : ﴿ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ ﴾ . المضغة قطعة لحم ، وقلب الإنســان مضغة من جسده ، وإذا صارت العلقة لحمة فهي مضغة .

قال ابن عباس . يريد من[٤] لحم .

وهذا كله في الأطوار أربعة أشهر ، وهذا معنى ما روي في الحديث : «إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوماً نطفة ، ثم أربعين يوماً علقة ، ثم أربعين يوماً مضغة ، ثم يبعث الملك فينفخ فيها الروح»[٥] .

---

(١) (منه) : ساقطة من (ظ) و(د) و(ع) .

(٢) انظر : تهذيب اللغة (علق) ١/ ٢٤٣ ، والصحاح ٤/ ١٥٢٩ ، ولسان العرب ١٠/ ٢٦٧ .

(٣) هذا عجز بيت للقطامي من قصيدة يمدح بها زفر بن الحارث الكلابي ، وصدره :
وَظَلَّتْ تَعْبِطُ الأيدي كُلُوماً
وهو في ديوانه ٣٣ ، وتهذيب اللغة للأزهري (تاع) ٣/ ١٤٤ ، ولسان العرب (عبط) ٧/ ٣٤٨ .
والمتاع : القيء . لسان العرب (تيع) ٨/ ٣٨ .

(٤) (من) : ساقطة من (ظ) .

(٥) رواه البخاري في كتاب القدر ١٢/ ٤٧٧ ، ومسـلم في كتاب القدر ٤/ ٢٠٣٦ من حديث ابن مسعود رضي الله عنه ، قال : حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق ، فذكره .

قال ابن عباس : [ثم يصوَّر][١] في العشر بعد الأربعة الأشـــهر ، ثم ينفخ فيه الروح ، فذلك عدة المُتوفَّى عنها زوجها أربعة أشـــهر وعشر ، فإذا تحرَّك في جوفها علمت أن فيه ولداً[٢][٣] .

قوله : ﴿ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَـةٍ ﴾ . قال ابن الأعرابي : ﴿ مُّخَلَّقَةٍ ﴾ قد بدا خلقه ، ﴿وَغَيْرِ مُخَلَّقَـةٍ ﴾ بعد[٤] لم يصور[٥][٦] .

هذا الذي ذكره ابن الأعرابي : مخلقة قدراً[٧] هو معنى المخلقة في اللغة .

وأما أهل التفسير فإن مجاهداً والسدي اتفقا[٨] على أنَّ المخلقة وغير المخلقة : يعني بهما السقط .

قال[٩] مجاهد في رواية ابن نجيح : ﴿ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَـةٍ ﴾ قال : السقط مخلوق وغير مخلوق[١٠] .

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) .
(٢) في (ظ) و(ع) و(د) : (ولد) ، وهو خطأ .
(٣) ذكره عنه القرطبي ١٢/ ٦ باختصار .
(٤) (بعد) : ساقطة من (ظ) و(ع) وهي في (د) : (قد) .
(٥) في (أ) : (يتصور) . وغير واضحة في (د) .
(٦) قول ابن الأعرابي في تهذيب اللغة للأزهري ٧/ ٢٨ .
(٧) (مخلقة قدراً) : ساقطة من (أ) . وسقط من (ع) : (قدراً) .
(٨) (اتفقا) : زيادة من (ظ) .
(٩) في (ظ) : (وقال) .
(١٠) رواه الطبري ١٧/ ١١٧ عن مجاهد من رواية ابن أبي نجيح .

وقد كشف السدي عن هذا المعنى الذي ذكره مجاهد فقال : هذا في السقط ، المرأة تسقط النطفة بيضاء والعلقة ، وتسقط اللحم لم يخلق ، وتسقط قد صور [بعضه ، وتسقط قد صور][1] كله[2] .

ويدل على أن هذا[3] في السقط قوله : ﴿وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ﴾ ؛ يعني ما يولد لتمام المدة ولم تسقطه[4] المرأة[5] .

وذهب آخرون إلى أنَّ المخلقة في غير السقط ، وغير المخلقة : هو السقط .

قال[6] ابن عباس في رواية عكرمة : المخلقة ما[7] كان حيًّا ، وغير المخلقة ما كان من سقط[8] .

ونحو هذا قال مجاهد في رواية خُصَيف ، قال : المخلقة : الولد ، وغير مخلقة : السقط[9] .

وقال ابن عباس في رواية عطاء : المخلقة : ما أخذ منه الميثاق ، وغير المخلقة : ما لم يؤخذ منه الميثاق ولا يكون مخلوقاً .

---

(١) ما بين المعقوفين في حاشية (ظ) .
(٢) ذكره عنه ابن الجوزي في زاد المسير ٥/ ٤٠٧ .
(٣) العبارة في (ظ) : (ويدل على هذا أنه) .
(٤) في (أ) : (ولم تسقط) .
(٥) سيأتي بيان ضعف هذا القول مع القول الذي بعده .
(٦) في (ظ) و(د) و(ع) : (وقال) .
(٧) في (ظ) : (ما قد كان حياً) .
(٨) رواه ابن أبي حاتم كما في الدر المنثور للسيوطي ٦/ ١٠ .
(٩) رواه عنه سعيد بن منصور في تفسيره ١٥٥ ب من رواية خصيف .

ويدل على صحة هذا التفسير ما روى علقمة ، عن عبدالله بن مسعود[١] : إذا وقعت النطفة في الرحم بعث الله -عز وجل- ملكاً فقال : يا رب ، مخلقة أم غير مخلقة ؟ فإن قال : غير مخلقة مجَّتها[٢] الأرحام ، وإن قال : مخلقة ، قال : يا رب ، ما صفة هذه النطفة ؟ أذكر أم أنثى ؟ ما رزقها ؟ ما أجلها ؟ أشقيٌّ أم سعيدٌ ؟ فيقال له : انطلق إلى أم الكتاب فاستنسخ منه[٣] صفة هذه النطفة[٤] .

وعلى هذا القول ، معنى (المخلقة) : المخلوقة ، كما ذكره ابن عباس في رواية عطاء ، وهو : أنه أكمل خلقه بنفخ الروح فيه ، فما أكمل خلقه بالروح ولد لتمام حيَّاً ، وما سقط كان غير مخلقة ؛ أي غير حي بإكمال خلقه بالروح[٥] .

وقال[٦] الكلبي : ﴿مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ يقول مخلوق وغير مخلوق ، فالمخلوق : هو التمام من الولد ، وغير المخلوق : هو السقط .

---

(١) في (ظ) : (ابن عباس) ، وهو خطأ .

(٢) مجَّتها : رمتها . الصحاح (مجج) ١/ ٣٤٠ .

(٣) (منه) : ساقطة من (ظ) .

(٤) رواه بهذا اللفظ الطبري في تفسيره ١٧/ ١١٧ ، وقال ابن حجر في الفتح ١/ ٤١٩ وإسناده صحيح ، وهو موقوف لفظاً ، مرفوع حكماً . اهـ .
ورواه بنحوه مطولاً ابن أبي حاتم (كما في تفسير ابن كثير ٣/ ٢٠٧ والدر المنثور ٦/ ٩) ، والواحدي في الوسيط ٣/ ٢٥٩ . والأثر لا يدل كما قال الواحدي على صحة هذا التفسير ، لأنَّ الأثر في النطفة : إذا وقعت النطفة . وظاهر القرآن أن قوله تعالى : ﴿مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ وصفٌ للمضغة لا للنطفة .

(٥) ذكره ابن الجوزي ٥/ ٤٠٦ ، ٤٠٧ عن ابن عباس .

(٦) في (د) و(ع) : (وقد قال) .

وهذا القول مذهب أكثر أهل التفسير[١] ، وهو قول أبي عبيدة في المخلقة : أنها المخلوقة[٢] .

وفي هذا مذهب ثالث ، وهو أن المخلقة وغير المخلقة كلاهما[٣] من صفة الولد الذي يولد ، وليسا ولا أحدهما من صفة السقط .

وهو مذهب قتادة ، واختيار أبي إسحاق وثعلب .

---

(١) وهو اختيار الطبري ـرحمه اللهـ في تفسيره ١٧/ ١١٧ .
قال الشنقيطي ـرحمه اللهـ في أضواء البيان ٥/ ٢٢ ، ٢٣ ، بعد أن ذكر أن هذا القول اختيار الطبري ، وغير واحد من أهل العلم : هذا القول الذي اختاره الإمام الجليل الطبري ـرحمه اللهـ لا يظهر صوابه ، وفي الآية الكريمة قرينة تدل على ذلك وهي قوله ـجل وعلاـ في أول الآية ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ﴾ لأنَّه على القول المذكور الذي اختاره الطبري يصير المعنى : ثم خلقناكم من مضغة مخلقة وخلقناكم من مضغة غير مخلقة . وخطاب الناس بأن الله خلق بعضهم من مضغة غير مصورة فيه من التناقض كما ترى . فافهم .
فإن قيل : في نفس الآية الكريمة قرينة تدل على أن المراد بغير المخلقة السقط ، لأن قوله : ﴿وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ يفهم منه أن هناك قسماً آخر لا يقره الله في الأرحام إلى ذلك الأجل المسمى وهو السقط ؟ .
فالجواب : أنَّه لا يتعين فهم السقط من الآية ، لأن الله يقر في الأرحام ما يشاء أن يقرَّه إلى أجل مسمَّى ، فقد يقره ستة أشهر ، وقد يقره تسعة ، وقد يقره أكثر من ذلك كيف شاء .
أما السقط فقد دلت الآية على أنَّه غير مراد بدليل قوله : ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم﴾ الآية ؛ لأن السقط الذي تلقيه أمُّه ميتاً ـولو بعد التشكيل والتخطيطـ لم يخلق الله منه إنساناً واحداً من المخاطبين بقوله : ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ﴾ الآية ، فظاهر القرآن يقتضي أن كلًّا من المخلقة وغير المخلقة يخلق منه بعض المخاطبين في قوله : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ . . . .﴾ الآية . اهـ .
وفي جواب الشنقيطي أيضاً ردٌّ على قول من قال : السقط مخلوق وغير مخلوق .

(٢) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ٤٤ .

(٣) في (أ) : (كلاها) .

قال قتادة في قوله : ﴿مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ : تامة وغير تامة[١] .

وقال[٢] أبو إسحاق : وصف أحوال الخلق أنَّ منهم من يتم[٣] مضغته فيخلق له الأعضاء التي تكمل آلات الإنسان ، ومنهم من لا يتمم الله[٤] خلقه[٥] .

وقال أبو العباس[٦] : الناس خلقوا على ضربين : منهم تام الخلق ، ومنهم خديجٌ ناقصٌ غيرُ تام[٧] .

وعلى هذا القول ، معنى المخلقة : التام الخلقة والأعضاء[٨] . فحصل في المخلقة ثلاثة أقوال في معناها وتفسيرها .

---

(١) رواه عبدالرزاق في تفسيره ٢/ ٣٢ ، والطبري ١٧/ ١١٧ . وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ١١ وعزاه لعبدالرزاق وعبد بن حميد وابن جرير .

(٢) في (ظ) : (قال) .

(٣) في (ظ) : (تتم) ، وفي (د) : (تتم) ، مهملة ، وفي (ع) : (يتم) ، وما أثبتنا هو الموافق لما في المعاني .

(٤) الاسم الجليل كتب في حاشية (ظ) ، وعليه علامة التصحيح .

(٥) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٤١٢ .

(٦) هو ثعلب .

(٧) ذكره عن أبي العباس الأزهري في تهذيب اللغة (خلق) ٧/ ٢٨ .

(٨) قال الشنقيطي في أضواء البيان ٥/ ٢٣ ، ٢٤ عن هذا القول : إنه أولى الأقوال في الآية وهو القول الذي لا تناقض فيه ؛ لأن القرآن أنزل ليصدق بعضه بعضاً لا ليتناقض بعضه مع بعض .
وعزاه إلى قتادة والضحاك . قال : واقتصر عليه الزمخشري ثم نقل الشنقيطي عن الزمخشري ـ وقول الزمخشري في الكشاف ٣/ ٥ ـ أنه قال : والمخلقة : المسوَّاة الملساء من النقص والعيب ، يقال : خلق السواك والعود : إذا سواه وملسه ، من قولهم : صخرة ملساء ، إذا كانت ملساء ، كأنَّ الله ـ تعالى ـ يخلق المضغ متفاوتة ، منها ما هو كامل الخلقة أملس من العيوب ، ومنها ما هو على عكس ذلك ، فيتبع ذلك التفاوت تفاوت الناس في خلقهم وصورهم وطولهم وقصرهم وتمامهم ونقصانهم .
قال الشنقيطي : وهذا المعنى الذي ذكره الزمخشري معروف في كلام العرب . ثم ذكر الشنقيطي شواهد من شعر العرب وكلامهم في هذا المعنى .

قوله تعالى : ﴿لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ اختلفوا في مفعول[١] التبيين[٢] .

فقال[٣] ابن عباس : لنبين لكم ما تأتون وما تذرون[٤] .

يعني أن الله -تعالى- خلق بني آدم ليبين لهم من أشـــدهم ، وما يحتاجون إليه في العبادة .

وقال الزَّجَّاج : أي ذكرنا أحوال خلق الإنسان لنبين لكم قدرتنا على ما نشاء ، ونعرفكم ابتداءنا[٥] خلقكم[٦] .

وقـــال[٧] صاحب النظم : لنبين لكم أن البعث حـــق ، يدل على هذا أن الآية أنزلت دلالة على البعث[٨] .

وقال ابن مسلم : لنبين لكم كيف نخلقكم في الأرحام[٩] .

---

(١) في (ظ) : (معنى) .
(٢) في (د) و(ع) : (لنبين) .
(٣) في (ظ) و(د) و(ع) : (قال) .
(٤) ذكره البغوي ٥/ ٣٦٦ ، وابن الجوزي ٥/ ٤٠٧ من غير نسبة لأحد .
(٥) في (ظ) : (ابتداء) .
(٦) ليس في المطبوع من معاني الزَّجَّاج ٣/ ٤١٢ إلَّا قوله : أي ذكرنا أحوال خلق الإنسان . وليس باقي الكلام موجوداً فيه . وهذا القول في الطبري ١٧/ ١١٨ .
(٧) في (ظ) : (قال) .
(٨) ذكر ابن عطية في المحرر ١٠/ ٢٢٩ ، وابن الجوزي ٥/ ٤٠٧ هذا القول مختصراً من غير نسبة لأحد .
(٩) غريب القرآن لابن قتيبة ٢٩٠ .

وقال[١] أهل المعاني : لندلكم على مقدورنا بتصريف ضروب الخلق[٢] .

قوله تعالى : ﴿وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ﴾ ؛ أي[٣] : نثبت[٤] في الأرحام ما نشاء ، فلا يكون سقطاً ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ ؛ أي إلى أجل الولادة .

ويجوز أن يكون المعنى : ﴿وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ﴾ ، فلا يخرج[٥] الأجل المعتاد ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ سماه الله لذلك[٦] الولد في أم الكتاب ، وذلك أن مدة الحمل تختلف فيمتد من ستة أشهر إلى أربع سنين .

والقراءة في ﴿وَنُقِرُّ﴾ بالرفع ، وروى المفضل[٧] ، عن عاصم : ﴿وَنُقِرَّ﴾ بالنصب[٨] .

---

(١) في (ظ) : (قال) .

(٢) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان ٣/ ٤٧ أ من غير نسبة لأحد .
انظر : الكشاف للزمخشري ٣/ ٥ . حيث قال وورود الفعل غير معدى إلى المبيَّن إعلامٌ بأن أفعاله هذه يتبين بها من قدرته وعلمه الَّا يكتنهه ولا يحيط به الوصف .

(٣) في (د) : (أن) ، وهو خطأ .

(٤) في (أ) : (يثبت) ، وفي (ظ) : (يثيب) ، ومهملة في (د) ، وفي (ع) : (نبت) ، وما أثبتنا هو الصواب .

(٥) في (ظ) و(د) و(ع) : (فلا يكون سقطاً بخرج) ، بزيادة : (يكون سقطاً) ، وهذه الزيادة تخل بالمعنى .
ويظهر لي أن ناسخ النسخة التي نسخت منها تلك النسخ رجع نظره إلى الجملة التي قبل هذه الجملة فهي مشابهة لها .

(٦) في (أ) : (كذلك) ، وهو خطأ .

(٧) هو المفضل بن محمد ، الضبي ، الكوفي ، اللغوي ، أبو محمد . كان من جلَّة أصحاب عاصم ، قرأ عليه ، وتصدَّر للإقراء . وهو صاحب المفضليات المشهورة .
قال الخطيب البغدادي : كان إخبارياً علامة موثقاً . لكن قال أبو حاتم الرازي : متروك القراءة والحديث . قال الذهبي معلقاً على قول أبي حاتم : قلت : قد شذ عن عاصم بأحرف .
وقال أبو حاتم السجستاني : ثقة في الأشعار ، غير ثقة في الحروف . توفي سنة ١٦٨هـ .
الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٨/ ٣١٨ ، وتاريخ بغداد ١٣/ ١٢١ ، وإنباه الرواة ٣/ ٢٩٨ ، ومعرفة القراء الكبار للذهبي ١/ ١٣١ ، وغاية النهاية ٢/ ٣٠٧ ، ولسان الميزان لابن حجر ٦/ ٨١ .

(٨) ذكرها النحاس في إعراب القرآن ٣/ ٨٧ من رواية المفضل ، عنه .
وهي رواية شاذة لا تصح عن عاصم ؛ لأنَّ المفضل متروك القراءة .

قال أبو إسحاق : ولا يجوز فيه إلَّا الرفع ، ولا يجوز أن يكون معناه فعلنا ذلك لنقر في الأرحام ؛ لأنَّ الله -عز وجل- لم يخلق الأنام ليقرهم في الأرحام ، وإنَّما خلقهم ليدلَّهم على رشدهم وصلاحهم[١] .

وقال[٢] صاحب النظم : انقطع الخبر عند قوله : ﴿لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ ثم ابتدأ خبراً آخر فقال[٣] : ﴿وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ﴾ ولذلك ارتفع ؛ لأنه منقطع مما قبله .

وقوله :﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ . قال الزَّجَّاج : ﴿طِفْلًا﴾ في معنى أطفال ، ودلَّ عليه ذكر الجماعة ، وكأنَّ طفلاً يدل على معنى : ونُخْرِج[٤] كل واحد منكم[٥] . طفلاً[٦] .

وقال المبرِّد : انتصب ﴿طِفْلًا﴾ على المصدر الذي هو في موضع الحال . وقد قال قوم : تمييز . والذي قالوا جائز في هذا الموضع كقوله : ﴿فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا﴾ [النساء :٤] فهذا لا يكون إلَّا تمييزاً ، إلَّا أنَّا قدمنا المصدر ؛ لأنَّه قد استعمل مصدراً كالرِّضا والعدل الذي يقع على الواحد والجماعة ، قال الله عز وجل : ﴿أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟﴾[النور :٣١] فهذا فيه دليل على أنه مصدر[٧] .

---

(١) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٤١٢ .

(٢) في (ظ) : (قال) .

(٣) في (ظ) و(د) : (قال) ، وفي (أ) : (وقال) ، والمثبت من (ع) .

(٤) في (أ) : (يخرج) ، مهمل الأول . وفي (ط) و(د) : (يخرج) ، مهملة . والمثبت من (ع) . وفي المطبوع من المعاني : (ويخرج) .

(٥) في (أ) : (منهم) .

(٦) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٤١٢ .

(٧) ذكر هذا القول عن المبرِّد باختصار القرطبي ١٢/ ١٢ ، وأبو حيان ٦/ ٣٥٢ والسمين الحلبي في الدر المصون ٨/ ٢٣٢ .

وقال أبو عبيدة : ﴿طِفْلًا﴾ في موضع أطفال[١] . وأنشد[٢] :

في حلقكم[٣] عظم وقد شجينا

وقال أبو الهيثم : الصبي يدعى طفلاً حين يسقط من بطن أمه إلى أن يحتلم .

---

(١) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ٤٤ .

(٢) هذا الشطر من الرجز أنشده أبو عبيدة في مجاز القرآن ٢/ ١٩٥ ونسبه للغنوي .
وهو بلا نسبة في الكتاب ١/ ٢٠٩ ، ومعاني القرآن للأخفش ١/ ٤٣٧ ، والمقتضب للمبرِّد ٢/ ١٧٢ ، ومعاني القرآن للزَّجَّاج ١/ ٨٣ .
ونسبه السيرافي في شرح أبيات سيبويه ١/ ٢١٢ ، والشنتمري في تحصيل عين الذهب ١/ ١٠٧ ، وابن منظور في لسان العرب (شجا) ١٤/ ٤٢٣ للمسيب بن زيد بن مناة الغنوي يخاطب به حنظلة بن الأعرف الضبابي ، وكان حنظلة قد غزا غنيًّا فأخذ غلاماً منهم ، فبيع ذلك الغلام ، فخفي شأنه زماناً ، ثم وجدته غنيٌّ في بيت ختنٍ لحنظلة بن الأعراف فأخذوا الغلام وقتلوا ختن حنظلة ، فبلغهم أن الأعرف يتبعهم ويتوعدهم ، فقال المسيب :

مالك يا أعرف تبتغينا

إلى أن قال :

في حلقكم عظمٌ وقد شجينا

قال السيرافي : الشاهد فيه قوله : في حلقكم ، فوحَّد وهو يريد في حلوقكم ، فوضع الواحد في موضع الجمع . . . وقوله : في حلقكم عظم وقد شجينا ، هو على طريق المثل ، يعني أنهم بمنزلة من قد غصَّ بشيء في حلقه لأجل قتل ختنهم ، ونحن قد شجينا بشيء في حلوقنا من أجل الغلام الذي قد سبي هنا . اهـ .

(٣) في (أ) و(د) و(ع) : (خلقكم) . والمثبت من (ظ) وباقي مصادر التخريج .

قال : والعرب تقول : جاريةٌ طِفْــلٌ ، وجاريتان طِفْلٌ ، وجَوارٍ طفلٌ وغلامٌ طفلٌ ، وغلمان طفــل[١] . [ويقال : طفل][٢] وطفلة وطفلان وطفلتان في القياس وأطفال ، ولا يقال : طفلات[٣][٤] .

وأطفلت المرأةُ والظبيةُ[٥] ، إذا صارت ذات طفل[٦] .

قوله تعالى : ﴿ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ﴾ . ذكر صاحب النظم منه وجهين :

أحدهما : أن يكون فيه إضمار على تأويل : ثم نخرجكم طفلاً ، ثم نعمركم[٧] لتبلغوا أشدكم[٨] .

---

(١) (وغلمان طفل) : ليست في المطبوع من تهذيب اللغة ٣/ ٣٤٨ .

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ظ) و(د) و(ع) .

(٣) في تهذيب اللغة ١٣/ ٣٤٨ نقلاً عن أبي الهيثم : ويقال : طفلٌ ، وطفلةٌ ، وطفلان ، وأطفال ، وطفلتان ، وطفْلات في القياس . وكذا في اللسان (طفل) ١١/ ٤٠٢ .
وعند القرطبي ١٢/ ١٢ : ويقال أيضاً : طفل وطفلة وطفلان وطفلتان وأطفال ، ولا يقال : طفلات مثل ما عند الوحدي .

(٤) قول أبي الهيثم في تهذيب اللغة للأزهري ١٣/ ٣٤٨ .

(٥) في (ظ) : (الضبية) .

(٦) تهذيب اللغة للأزهري (طفل) ١٣/ ٣٤٨ نقلاً عن الليث .

(٧) في (ظ) : (نقمكم) .

(٨) ذكر ابن الجوزي ٥/ ٤٠ هذا الوجه ، ولم ينسبه لأحد .

والوجه الأخر : أن تكون ﴿ ثُمَّ ﴾ في قوله : ﴿ ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ ﴾ مقحمة[١] [كما تقحم الواو ؛ لأنها من حروف النسق ومعناه : ثم نخرجكم طفلاً لتبلغوا أشدكم[٢]][٣] .

قال ابن عباس : يريد ثماني عشرة سنة[٤] .

قال الزَّجَّاج : وتأويله الكمال والقوة والتمييز وهو ما بين الثلاثين إلى الأربعين[٥] . وهذا مما قد تقدم القول فيه .

قوله تعالى : ﴿ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ ﴾ . قال ابن عباس : يريد من قبل ذلك . يعني من قبل بلوغ الأشد[٦] .

﴿ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ ﴾ ؛ أي أخسَّه وأدونه ، وهو الخرف ، يخرف حتى لا يعقل ، وبيَّن ذلك بقوله : ﴿ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ﴾ .

قال ابن عباس : يريد يبلغ من السن ما يتغير[٧] عقله حتى لا يعقل شيئاً[٨] .

---

(١) في (أ) : (مفخمة ، تفخَّم) .

(٢) ذكر القرطبي ١٢/ ١٢ هذا الوجه ، وصدره بقوله : وقيل .
وهذا الوجه الذي ذكره الواحدي عن صاحب النظم مردود . قال أبو حيان في البحر ٥/ ١١٠ : وغير ثابت من لسان العرب زيادة (ثم) .

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ظ) .

(٤) ذكر ابن الجوزي في زاد المسير ٣/ ١٤٩ عند قوله تعالى : ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ﴾ [الأنعام :١٥٣] عن ابن عباس من رواية أبي صالح أنه قال : ما بين ثماني عشرة إلى ثلاثين سنة .
ثم ذكر قولاً آخر أنه : ثماني عشرة سنة ، وعزاه لسعيد بن جبير ومقاتل .

(٥) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٤١٣ .

(٦) ذكره ابن الجوزي ٥/ ٤٠٨ ولم ينسبه لأحد .

(٧) في (ظ) و(ع) : (سعد) مهملة . وفي (أ) : (يتعين) ، والمثبت من (ع) .

(٨) في الوسيط ٣/ ٢٦٠ عن ابن عباس يبلغ السن من بعد ما يتغير عقله حتى لا يعقل شيئاً .

قال : وليس ذلك إلَّا في أهل الشرك[١] .

وقال عكرمة : من قرأ القرآن لم يصر بهذه الحالة ، واحتجَّ بقوله : ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ [التين :٥-٦] قال : إلَّا الذين قرأوا القرآن[٢] .

قوله : ﴿ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً ﴾ . قال الزَّجَّاج : ثم دلَّهم على إحيائه[٣] الموتى بإحيائه الأرض[٤] .

وقال صاحب النظم : هذا فصل منقطع مما قبله ، لأنَّ الأول مخاطبة جماعة وهذا مخاطبة واحد ، وهو معطوف على ما قبله بمثل معناه ؛ لأنَّه من تبيين وجوب البعث[٥] .

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٤/ ٤٦٨ عنه من رواية عطاء بمعناه . عند قوله تعالى : ﴿ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا ﴾ [النحل :٧٠] .
وهذه الرواية لا تصح عن ابن عباس ، وكم شوهد من أهل الإسلام من ردَّ إلى أرذل العمر ، وقد كان النبي ﷺ يقول في دعائه : وأعوذ بك أن أرد إلى أرذل العمر رواه البخاري في كتاب الدعوات ، باب التعوذ من البخل ١١/ ١٧٨ .

(٢) رواه الطبري ٣٠/ ٣٤٦ بنحوه ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٨/ ٥٥٨ وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير .
وقد روى سعيد بن منصور في تفسيره : (ل١٥٥ ب) وابن أبي شيبة في مصنفه ١٠/ ٤٦٨ عنه قال : من قرأ القرآن لم يرد إلى أرذل العمل . ثم قرأ ﴿ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا ﴾ [النحل :٧٠] .
وذكره السيوطي في الدر المنثور ٤/ ١٤٦ وعزاه لسعيد بن منصور وابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٣) في (أ) : (إحياء) .

(٤) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٤١٣ .

(٥) ذكره القرطبي ١٢/ ١٣ بمعناه من غير نسبة لأحد .

قال الليث : أرض جامدة مقشـــعرةٌ لا نبات فيها إلَّا يبيـــس[١] مُتَحطِّم[٢] ، والهامد[٣] من الشجر : اليابس[٤] .

وقال شمر : الهامد : الأرض المسنتة[٥] ، وهمودها[٦] ألا يكون فيها حياة[٧] ، والرَّماد[٨] الهامد : المتلبِّد البالي بعضـــه فوق بعض . وهمد[٩] الثوب يهمد هموداً ، إذا تناثر من البِلى[١٠] .

قال[١١] الأصمعي : همدت[١٢] النار إذا طفئت ألبتة[١٣][١٤] . قال الأعشى :

قالت قُتَيْلةُ ما لجسمك شاحبـــاً وأرى ثيابك باليـــات هُمَّدا[١٥][١٦]

---

(١) في (أ) : مهملة . وفي (ظ) : (يبس) .
(٢) من (أ) : (فيحكم) ، وهو خطأ .
(٣) في (ظ) : (والهادرة) .
(٤) قول الليث في تهذيب اللغة للأزهري (همد) ٦/ ٢٢٨ . وهو في العين (همد) ٤/ ٣١ بنصه .
(٥) في (أ) : (المســـننة) ، وفي (ظ) و(د) : (المسنة) . وفي (ع) : (المســـه) ، مهملة . والتصويب من تهذيب اللغـــة ٦/ ٢٢٨ . وفي تهذيب اللغة ١٢/ ٣٨٥ : قال ابن شـــميل : أرضٌ مســـنته : لم يصبها مطرٌ فلم تُنبت .
(٦) في (أ) : (وهودها) ، وهو خطأ .
(٧) في النسخ جميعها : (حيا) ، والتصويب في تهذيب اللغة ٦/ ٢٢٨ .
(٨) في (ظ) و(د) و(ع) : (والمراد) ، وهو خطأ .
(٩) في (أ) : (وهذا) ، وهو خطأ .
(١٠) تهذيب اللغة للأزهري (همد) ٦/ ٢٢٨ .
(١١) قال : ساقطة من (ظ) و(د) و(ع) .
(١٢) في (أ) : (همت) ، وهو خطأ .
(١٣) (ألبتة) مهملة في (د) .
(١٤) تهذيب اللغة للأزهري (همد) ٦/ ٢٢٨ من رواية أبي عبيد ، عن الأصمعي .
(١٥) (همدا) : ساقطة من (ظ) .
(١٦) البيت في ديوانه ٢٢٧ ، والرواية فيه (ســـايئاً) في موضع (شاحباً) ، والطبري ١٧/ ١١٩ ، والأضداد لابن الأنباري ١٧٤ ، والقرطبي ١٢/ ١٣ .

قال ابن عباس : هامدة يريد التي قد تلبَّدت وذهب عنها النَّدى .

وقال مجاهد : هالكة . يعني جافة[١] يابسة ؛ لأن هلاك الأرض يُيبسها .

وقال قتادة : غبراء متهشمة[٢] . [يعني متهشمة][٣] النبت .

وقال أبو إسحاق : يعني جافة ذات تراب[٤] .

وقال ابن مسلم : ميتة يابسة كالنار إذا طفئت فذهبت[٥] .

وقوله تعالى : ﴿ فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ﴾ . قال المفسرون : تحركت بالنبات[٦] .

والمعنى على هذا تحركت بالنبات عند وقوع الماء ، وذلك أن الأرض ترتفع عن النبات إذا ظهر فذلك تحركها ، وهو معنى قوله : ﴿ وَرَبَتْ ﴾ ؛ أي ارتفعت وزادت .

---

(١) في (أ) : (حاقة) ، وهو خطأ .

(٢) قال السيوطي في الدر المنثور ٦/ ١١ : وأخرج عبدالرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن قتادة في قوله : ﴿ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً ﴾ ؛ أي غبراء متهشمة .
وهذه الرواية عن قتادة ليست موجودة في تفسير عبدالرزاق والطبري في هذا الموطن من سورة الحج كما عزا إليها السيوطي ، وإنما موجودة في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً ﴾ [فصلت :٣٩] فروى عبدالرزاق في تفسيره ٢/ ١٨٨ والطبري ٢٤/ ١٢٢ عن قتادة في قوله : ﴿ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً ﴾ قال : غبراء متهشمة .

(٣) ساقط من (ظ) و(د) و(ع) .

(٤) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٤١٣ .

(٥) غريب القرآن لابن قتيبة ٢٩٠ .

(٦) الطبري ١٧/ ١١٩ ، والكشف والبيان للثعلبي ٣/ ٤٧ ب .

وقال الليث : يقال اهتزت الأرض[١] إذا أنبتت[٢] .

وقال المبرِّد : أراد[٣] اهتز نباتها[٤] . وعلى هذا حذف المضاف الذي هو النبات [فقيل : اهتزت . والاهتزاز في النبات أظهر ، ويقال : اهتز النبات][٥] إذا طال[٦] .

وقوله : ﴿وَرَبَتْ﴾ ؛ أي زادت ونمت ؛ أي الأرض أو نباتها على ما ذكرنا . ويقال : ربا الشيء ، إذا زاد ، ومنه الرَّبوة والرِّبا[٧] .

وقوله : ﴿وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾ . قال ابن عباس : من كل صنف حسن[٨] . والبهجة : حسن الشيء ونضارته[٩] . والبهيج بمعنى المبهج ، وهو الحسن الصورة الذي تمتع العين برؤيته .

قال المبِّرد : هو الشيء المشرق الجميل[١٠] ، ومنه قوله : ﴿حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾ [النمل :٦٠] .

---

(١) (الأرض) : ساقطة من (ظ) و(د) و(ع) .

(٢) تهذيب اللغة للأزهري (هزَّ) ٥/ ٣٥٠ بنصِّه ، لكن من غير نسبة لأحد . وكأنَّ في المطبوع سقطاً ، وهو في العين (هزَّ) ٢/ ٣٤٦ مع اختلاف يسير جدًّا .

(٣) (أراد) : ساقطة من (ظ) و(د) و(ع) .

(٤) ذكره عن المبرِّد ابن الجوزي ٥/ ٤٠٨ ، والقرطبي ١٢/ ١٣ .

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (ظ) و(د) و(ع) .

(٦) انظر : تهذيب اللغة (هزز) ٥/ ٣٥٠ ، ولسان العرب (هزز) ٥/ ٤٢٤ .
وقال أبو حيان في البحر ٥/ ٣٥٣ : واهتزازها : تخلخلها واضطراب بعض أحسامها لأجل خروج النبات .

(٧) انظر : تهذيب اللغة للأزهري (ربا) ٥/ ٢٧٢ـ٢٧٤ .

(٨) روى ابن أبي حاتم (كما في الدر المنثور ٦/ ١١) عنه قال : (بهيج) ؛ أي حسن .

(٩) تهذيب اللغة للأزهري (بهج) ٦/ ٦٤ عن الليث ، وهو في العين (بهج) ٣/ ٣٩٤ .

(١٠) ذكره الرازي ٢٣/ ٩ عن المبرِّد .

وعلى هـذا ، هو فعيـل من بهـج[١] ، وهو قـول أبي زيد[٢] ، قـال : بهيج حسن[٣] ، وقد[٤] بَهُج بَهاجة وبَهْجة[٥] .

ويقال : تباهج الروض إذا كثر نواره[٦] . وأنشد الليث[٧] :

نـوَّارُهُ مُتَباهـج يَتَوَهَّـجُ

وأكثـر أهل[٨] النحو عـلى أنَّ بهيج هاهنا[٩] فعيل بمعنـى فاعل ، وهو قول الأخفش وابن مسلم[١٠] .

٦. قوله : ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ﴾ . قال أبو إسحاق : المعنى الأمر ذلك ؛ أي الأمر ما وصف لكم ، وبـين بأن الحق هو الله ، [قال : ويجوز أن يكون نصباً

(١) في (أ) : (بهيج) ، وهو خطأ .
(٢) في النسخ جميعها : (ابن زيد) ، وهو تصحيف . والتصويب من تهذيب اللغة ، وغيره .
(٣) (حسن) : ساقط من (ظ) و(د) و(ع) .
(٤) في (ظ) و(د) و(ع) : (قد) .
(٥) قول أبي زيد في تهذيب اللغة (بهج) ٦/ ٦٥ .
(٦) في تهذيب اللغة ٦/ ٦٤ ، ولسان العرب (نور) ٢/ ٢١٦ .
(٧) هذا الشطر أنشده الليث في العين ٣/ ٣٩٤ من غير نسبة ، والرواية فيه : (نوارها) في موضع (نواره) . وقال : يصف الروضة .
وهو في تهذيب اللغة للأزهري (بهج) ٦/ ٦٤ ، ولسـان العرب (بهـج) ٢/ ٩٢١٦ ، وتاج العروس (بهج) ٥/ ٤٣١ .
وفي التكلمة للصاغاني ١/ ٤٠٣ أن القائل هو أسد بن ناعصة ، وصدره فيها :
في بَطْنِ وادٍ مُسْجَهِرٍّ رَفْرَفِ
(٨) في (ظ) و(د) و(ع) : (هذا) .
(٩) العبارة في (ظ) و(د) و(ع) : (علي بهيج يقال هاهنا) ، وهي عبارة ركيكة .
(١٠) غريب القرآن لابن قتيبة ٢٩٠ .

على معنى : فعل الله ذلك بأنه هو الحق][1] ، والأجود أن يكون موضع ﴿ذَٰلِكَ﴾ رفعاً[2] .

قال أبو علي : موضع ﴿ذَٰلِكَ﴾ من الإعراب لا يخلو من أحد وجهين : أحدهما[3] رفع ، أو نصب . أمَّا جهة النصب ؛ فعلى أن يكون مفعولاً بفعل مضمر يدل عليه ما قبله من الأفعال المذكورة كما ذكره أبو إسحاق .

وأمّا جهة الرفع ؛ فلا يخلو من أن يكون مبتدأً أو خبراً ، ولا يجوز أن يكون خبراً لمبتدأ محذوف وهو الأمر والشأن على ما ذكره أبو إسحاق لأنه إذا قدر كذلك[4] بقى الجار في[5] قوله : ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ﴾[6] غير متعلق بشيء ؛ وذلك لأنَّ الجار إنِّما يتعلق بقوله : ﴿ذَٰلِكَ﴾ إذا قَدَّرته مبتدأ بتوسط[7] فعل مقدر محذوف لدلالة الجار على ، والمعنى : ذلك فعله الله أو بَيَّنَه[8] الله بأن الله هو الحق ، ثم حذف الفعل وصار الجار مع المجرور في موضعه خبراً لـ ﴿ذَٰلِكَ﴾ . وإذا قدرت ﴿ذَٰلِكَ﴾ خبر مبتدأ لم يجز أن يتعلق به الجار ؛ لأن تعلق حرف الجر بالاسم لا يخلو من أمرين : إما أن يتعلق به على التقدير الذي تقدم ، أو يتعلق به[9] كما يعلق إذا كان الخبر اسم فاعل ، نحو : ذاهب وقائم ، فيتصل الجار به [كما يتصل بالفعل نحو : هذا ذاهب به ، أو قائم إلى عَمْرو ، وليس قولنا ذلك اسم فاعل فيتصل به هذا الاتصال ،

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ظ) .
(٢) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٤١٣ مع تقديم وتأخير .
(٣) (أحدهما) : ساقطة من (أ) .
(٤) في (أ) : (ذلك) ، وهو خطأ .
(٥) (في) : ساقطة من (أ) .
(٦) في (أ) : (وقوله أن الله) ، وهو خطأ .
(٧) في (أ) : (يتوسط) ، وهو خطأ .
(٨) في الإغفال ١٠٤٦ : (أو نبَّه) .
(٩) في (ظ) : (بهما) .

ولا يجوز أن يكون بتعلق الجار بـــه[١]] واتصاله بذلك، وهو مقدر خبر مبتدأ من حيـــث اتصل به وهو مقدر مبتدأ، وذلك أنَّك إذا قدرت مثل الفعل الذي يوصل الجار إلى ذلك وتعلقـــه به وجب أن يكون ذلك الفعل خبره، وإذا كان خبره كان ذلك مبتـــدأ، إذ لا متصل للفعْل[٢] بقوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ إلَّا من هذه الجهة، واتصاله بـــه يخرجه عن أن يكون خبراً [فإذا لم يجـــز أن يكون موضع ﴿ذَٰلِكَ﴾ رفعاً على أنه خبر مبتدأ][٣] وجب أن يكون موضعه رفعاً على أنه مبتدأ، والجار مع المنجر به في موضع خبره، لا يجوز غير ذلك[٤].

وأمـــا معنى الآية فهو أن يقول: فعل الله ذلك، يعني ما ذكر من ابتداء الخلق وإحياء الأرض، ذلك الذي ذكر فعله[٥] الله بأنه هو[٦] الحق؛ أي ذو الحق.

يعني أنَّ جميع ما يأمر به ويفعله هو الحق لا الباطل، كما يأمر به الشـــيطان من الباطل.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾؛ أي وبأنه يحيي الموتى. والمعنى أحيا الأرض، وفعل ما فعل بقدرته على إحياء الموتى، وبأنه قادر على ذلك، وقادر على كل[٧] ما أراد وهو قوله: ﴿وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ظ).
(٢) في (ظ): (إذْ لا يتصل الفعل)، وفي (د): (إذ لا يتصل للفعل).
(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ظ).
(٤) الإغفال لأبي علي الفارسي ٢/ ١٠٤٤ـ١٠٤٧.
(٥) في (ظ) و(د) و(ع): (فعل الله).
(٦) (هو): ليست في (ظ) و(د) و(ع).
(٧) (كل): ساقطة من (ظ).

٧. قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ ﴾ موضع (أنَّ) خفض في الظاهر بالعطف على ما قبله من قوله[١] ﴿ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ إلَّا أنه لا يصح في المعنى حمله بالعطف على ما قبله ، لأنه لا يمكن أن يقال : فعل الله ما ذكر بأن الساعة آتية ، ولكن يضمر لـ (أنَّ) فعلاً ينصبه ، ودلَّ عليه ما تقدم ، وهو أن يقول : المعنى : ولتعلموا أن الساعة آتية [أي بَدْءُ الخلق وإحياء الأرض بالماء دلالة لكم لتعلموا بها أن القيامة آتية][٢] وأن البعث حق ، وهو قوله : ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴾ .

٨. قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ ﴾ ؛ أي في قدرة الله على البعث والإعادة .

قال عطاء عن ابن عباس : يريد أبا جهل[٣] .

وقال الكلبي : نزلت في النضر بن الحارث[٤] .

وقوله : ﴿ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ مضى تفسيره في هذه السورة .

---

(١) (من قوله) : (ليست) في (ظ) و(د) و(ع) .

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ظ) و(د) و(ع) .

(٣) ذكره عنه الزمخشري ٣/ ٦ ، والقرطبي ١٢/ ١٥ ، وأبو حيان ٦/ ٣٥٤ .

(٤) ذكره عنه الماوردي في النكت والعيون ٤/ ٨ .
وذكره أبو حيان ٦/ ٣٥٤ وعزاه للجمهور . ولم يثبت من هذا شيء .

﴿وَلَا هُدًى﴾ . قال ابن عباس : ليس معه من ربه رشـــاد ولا بيان ﴿وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ﴾ له نور[١] .

٩. وقوله : ﴿ثَانِيَ عِطْفِهِۦ﴾ . يقال : ثنيت الشيء ، إذا حنيته[٢] وعطفته[٣] .

ذكرنا ذلك في قوله : ﴿يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ﴾ [هود :٥] .

والعِطْفُ : الجانب[٤] . وعِطْفَا الرجل : ناحيتاه عن يمين وشـــمال ، ومنكب الرجل : عطفه وإبطه .

قال ابن الإعرابي : عطف كل إنسان ودابة : شقاه من لَدُنْ رأسه إلى وركيه[٥] .

وأصله من العطف ، وهو : اللي ، والعطف : الموضع الذي يعطفه الإنسان ؛ أي يلويه ويميله عند الإعراض والانحراف عن الشيء[٦] .

واختلفت[٧] عبارة المفسرين في تفسير قوله : ﴿ثَانِيَ عِطْفِهِۦ﴾ .

---

(١) قال الشـــنقيطي في أضواء البيـــان ٥/ ٤٠ : قال بعض العلماء في قوله في هـــذه الآية الكريمة : ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ ؛ أي من دون علم ضروري حاصل لهم بما يجادلون به ﴿وَلَا هُدًى﴾ ؛ أي اســـتدلال ونظر عقلي يهتـــدي به العقل للصواب ﴿وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ﴾ ؛ أي وحي نير واضح يعلم به ما يجادل به ، فليس عنده علم ضروري ، ولا علم مكتسب بالنظر الصحيح العقلي ، ولا علم من وحي ، فهو جاهلٌ محضٌ من جميع الجهات .

(٢) في (أ) : (حسه) ، مهملة .

(٣) تهذيب اللغة للأزهري (ثنى) ١٥/ ١٣٤ بنصِّه .

(٤) الكشف والبيان للثعلبي ٣/ ٤٧ ب .

(٥) من قوله : وعطفا الرجل . . . إلى هنا ، نقلاً عن تهذيب اللغة للأزهري (عطف) ٢/ ١٨٠ .

(٦) انظر : الصحاح للجوهري (عطف) ٤/ ١٤٠٥ ، ولسان العرب ٩/ ٢٥٠ ، ٢٥١ ، والقاموس المحيط ٣/ ١٧٦ .

(٧) في (أ) : (واختلف) .

قال ابن عباس : مستكبراً في نفسه[١] .

وقال الضحاك : شامخاً[٢] بأنفه[٣] .

وقال مجاهد وقتادة : لاوياً عنقه[٤] .

وقال ابن زيد والعوفي : معرضاً عما يُدعى إليه كبراً[٥] .

ونحوه[٦] . قال ابن جريج[٧] .

وقال السدي : معرضاً من العظمة ينظر في جانب واحد[٨] .

وهذه الألفاظ تعود إلى معنى واحد وهو الإعراض والتكبر .

---

(١) الكشف والبيان للثعلبي ٣/ ٤٧ ب .
ورواه الطبري ١٧/ ١٢١ وإسناده حسن ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ١٣ وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٢) في (ظ) : (سافحاً) ، وهو خطأ .

(٣) ذكره عنه الثعلبي في الكشف والبيان ٣/ ٤٧ ب .

(٤) ذكره عنهما الثعلبي في الكشف والبيان ٣/ ٤٧ ب .
ورواه عن مجاهد الطبري ١٧/ ١٢١ .
ورواه عن قتادة عبدالرزاق ٢/ ٣٣ ، والطبري ١٧/ ١٢١ . وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ١٢ وعزاه لابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٥) ذكره عنهما الثعلبي في الكشف والبيان ٣/ ٤٧ ب .
وعن ابن زيد رواه الطبري ١٧/ ١٢١ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ١٢ .
وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم .
وعن العوفي رواه الطبري ١٧/ ١٢١ من طريق العوفي عن ابن عباس .

(٦) في (ظ) : (ونحو ما قال) ، وفي (د) و(ع) : (ونحو قال) .

(٧) ذكره عنه الثعلبي في الكشف والبيان ٣/ ٤٧ ب . ورواه الطبري ١٧/ ١٢١ .

(٨) ذكر السيوطي في الدر المنثور ٦/ ١٢ عن قتادة مثل هذا القول .

قال أبو إسحاق : وهذا يوصف به المتكبر . والمعنى : ومن الناس من يجادل في الله متكبراً[١][٢] .

وقال المبرِّد : ﴿ثَانِيَ عِطْفِهِۦ﴾ ، عبارة عن التكبر والتهاون . تقول العرب : أتانا فلان ثاني عطفه وثاني جيده وشماخاً بأنفه . وأنشد[٣] :

يَهْدِي إلى خَنَاهُ ثاني الجيد[٤]

أي متهاوناً . قال : والعطف ما انعطف من العنق والمنكبين . وسمي الرداء العطاف ؛ لأنه يقع في ذلك الموضع[٥] .

وانتصب ﴿ثَانِيَ﴾ على الحال ، والتنوين فيه مقدر ، والإضافة في تقدير الانفصال[٦] ، كما ذكرنا في قوله :﴿بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ﴾ [المائدة :٩٥] ، و﴿غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ﴾ [المائدة :١] ، ومواضع أخرى[٧] .

---

(١) في (أ) : (مكبراً) .

(٢) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٤١٤ .

(٣) في (أ) زيادة : (فقال قوله وأنشد) .

(٤) هذا عجز بيت للشمَّاخ من قصيدة يهجو بها الربيع بن علباء السلمي ، وصدره :

نبئت أن ربيعاً إن رعى إبلاً

وهو في ديوانه ١١٥ ، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ٤٦ ، والمعاني الكبير لابن قتيبة ١/ ٤٩٦ ،والكامل للمبرِّد ١/ ١٠ ، ٢/ ٤٠٣ والاقتضاب للبطليوسي ٣/ ٤١١ .

قال ابن قتيبة في المعاني : أي صارت له إبل يرعاها ، أرادك : أن استغنى واستطال بذلك .

ثاني الجيد ؛ أي رخي البال غير مكنز .

وقال البطليوسي : يقول لما كثرت إبله وحسنت حاله أبطرته النعمة . وقيل معناه : أنا نغزوه في أيام الربيع حين يهيج الحيوان وطلب السفاد ، وفي ذلك الوقت يغزو بعضهم بعضاً .

(٥) انظر : الكامل للمبرّد ١/ ١٠ ، ٢/ ٤٠٣ ففيه نحو من هذا ، وفيه البيت .

وفي معاني القرآن للنحاس ٤/ ٣٨٢ عن المبرِّد : العطف : ما انثنى من العنق . . . الموضع .

(٦) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٤١٤ .

(٧) عند قوله تعالى : ﴿ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [النساء :٩٧] .

ومثل قوله : ﴿ ثَانِيَ عِطْفِهِۦ ﴾ في المعنى قوله : ﴿ لَوَّوْا۟ رُءُوسَهُمْ ﴾ الآية [المنافقون :٥] .

وقوله : ﴿ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [قال ابن عباس : عن طاعة الله[١][٢] .

والمعنى : يجادل في الله بغير علم مستكبراً لاوياً عنقه ليضل عن سبيل الله][٣] ويذهب عنه ، لا[٤] أنَّ له على ما يجادل فيه محجة أو دلالة[٥] أو لديه فيه بياناً . ومثل هذا في المعنى قوله : ﴿ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ لِيَكْفُرُوا۟ ﴾[٦] [النحل :٥٤ــ٥٥] في من جعل اللام الجارة ، أي أشركوا ليكفروا بما بيناه لهم ، لا لأنَّ[٧] لهم على ذلك حجة وبياناً .

وقوله : ﴿ لَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ﴾ . قال ابن عباس : يريد الذي[٨] أصابه يوم بدر[٩] .

١٠ . قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ . قال أبو إسحاق : المعنى : يقال له هذا العذاب بما قدمت يداك ، وموضع ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ رفع بالابتداء ، وخبره ﴿ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ ﴾ ، وموضع (أنَّ) من قوله : ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ ﴾ خفض ؛ لأن المعنى : بما قدمت وبأنّ الله . قال : ويجوز أن يكون موضع ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ رفعاً على خبر الابتداء ، المعنى : الأمر ذلك بما

---

(١) لفظ الجلالة لم يرد في (أ) .
(٢) ذكره القرطبي ١٢/ ١٣ من غير نسبة لأحد .
(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ظ) .
(٤) في (ظ) : (إلّا) ، وهو خطأ .
(٥) (أو دلالة) : ساقط من (أ) .
(٦) في (ظ) : (يكفرون) بدلاً من (يشركون) ، وهو خطأ .
(٧) في (أ) : (أنَّ) .
(٨) بعد قوله : (الذي) يبدأ المفقود من نسخة الظاهرية (ظ) ومقداره صفحتان .
(٩) ذكره عنه الرازي ٢٣/ ١٢ ، انظر : تنوير المقباس ٢٠٦ .

قدمت يداك ، ويكون موضع (أنَّ) الرفع على معنى : والأمر أنَّ الله ليس بظلام للعبيد[١] .

وأبطل أبو علي أن يكون ﴿ذَٰلِكَ﴾ خبر الابتداء ؛ لأنَّ الجار يبقى غير متعلق بشيء . والقول في هذه الآية كالقول في قوله :﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾ لا فصل بينهما وإذا بطل هذا بطل أن يكون موضع (أنَّ) في قوله : ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ رفعاً ؛ لأنه إذا لم يجز إضمار الأمر الذي يكون مبتدأ لقوله :﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾ لم يجز إضماره هاهنا ، وإذا لم يجز ذلك كان موضعه جراً بالعطف[٢] على (ما) المنجر بالباء[٣] .

وأما معنى هذه الآية فهو مما ذكرناه في سورة الأنفال عند قوله :﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [الأنفال :٥١] .

١١ . قوله تعالى : ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾ . أكثر المفسرين على أن المعنى : على شك[٤] .

---

(١) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٤١٤ .

(٢) في (أ) : (جواباً لعطف) .

(٣) كلام أبي علي في الإغفال ٢/ ١٠٤٨ ، ١٠٤٩ .

(٤) انظر : الطبري ١٧/ ١٢٣ ، والدر المنثور ٦/ ١٤ .

وهـو قول مجاهد[١] والسـدي وقتادة[٢]، واختيار أبي إسـحاق[٣] وأبي زيد وابن الأعرابي.

روى ابن اليزيدي[٤] عن أبي زيد: على حرف؛ على شك[٥].

وقال ابن الأعرابي: [الحرف][٦] الشك في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖ﴾ أي شك[٧]. ونحو هذا قال أحمد بن يحيى[٨].

---

(١) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان ٤٨٣ أ.
ورواه سعيد بن منصور في تفسيره: ل١٥٥ ب، والطبري ١٧/ ١٢٣.
وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ١٤ وعزاه لسعيد بن منصور وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) رواه عبدالرزاق في تفسيره ٢/ ٣٣، والطبري ١٧/ ١٢٣ عن قتادة، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ١٤ وعزاه لعبدالرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم.

(٣) انظر: معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٤١٤.

(٤) في (أ): (ابن الزيدي)، وهو خطأ.
وابن اليزيدي هو إبراهيم بن يحيى بن المبارك بن المغيرة، أبو إسحاق ابن أبي محمد العدوي مولاهم، المعروف بابن اليزيدي.
بصري سكن بغداد. وسمع من أبيه وأبي زيد الأنصاري والأصمعي وغيرهم. وكان ذا قدر وعلم بالنحو واللغة والقراءة والأدب. له مصنفات كثيرة منها: ما اتفق لفظه واختلف معناه كبير جداً، ومصادر القرآن بلغ فيه إلى سورة الحديد. توفي سنة ٢٢٥هـ.
واليزيدي: نسبة إلى يزيد بن منصور الحميري خال المهدي، وكان أبوه يحيى بن المبارك مؤدباً لأولاده منقطعاً إليه، فنسب إليه.
انظر: تاريخ بغداد ٦/ ٢٠٩، وإنباه الرواة ١/ ٢٢٤ـ٢٢٦، واللباب لابن الأثير ٣/ ٤١١، وغاية النهاية ١/ ٢٩، وطبقات المفسرين للداود ١/ ٢٥ـ٢٧.

(٥) ذكره الأزهري في تهذيب اللغة ٥/ ١٢ من رواية ابن اليزيدي، عن أبي زيد.

(٦) زيادة من تهذيب اللغة.

(٧) ذكره عنه ابن جني في سر صناعة الإعراب ١/ ١٤.

(٨) ذكره الأزهري في تهذيب اللغة ٥/ ١٥ من رواية أبي العباس، وهو ثعلب، أحمد بن يحيى، عن ابن الأعرابي.

وهذا الذي قالوا هو معنى ﴿حَرْفٍ﴾ في هذه الآية لا تفسيره . وتفسير الحرف في اللغة : الطرف وهو منتهى الجسم ، والحرف والطرف والجانب نظائر في اللغة .

والانحراف : الانعدال إلى الجانب ، وقلم محرف قد عدل بقطعه عن الاستواء ، والحرف منعدل إلى الجانب عن[١] الوسط[٢] .

وقال أبو الفتح الموصلي : أما الحرف فالقول فيه أن (حرف) أينما وقعت في الكلام[٣] يراد به حد الشيء وحدته ، من ذلك حرف الشيء إنما هو حده وناحيته ، وطعام حريف : يراد به[٤] حدته . ورجل محارف أي محدود عن الكسب والخير ، ومثله محرف كأنَّ الخير قد حرف عنه ما يحرف القلم[٥] .

وقولهم : انحرف فلان عني ، من هذا ، كأنّه جعل بيني وبينه حداً بالبعد والاعتزال . ومنه قولهم لهذه البقلة الحادة : الحُرْف[٦] ، سمي بذلك لحدته . هذا كلامه[٧] .

وعلى القول الأول أصل الحرف من الميل سمي الطرف حرفاً لميله عن[٨] الوسط ، وعلى قول أبي الفتح أصله من الحدَّة والطرف حرفٌ لحدته .

---

(١) في (ع) : (إلى) ، وهو خطأ .

(٢) انظر : تهذيب اللغة للأزهري (حرف) ٥/ ١٢ ، ١٤ ، والصحاح للجوهري ٤/ ١١٣٢ ، ولسان العرب ٩/ ٤١ـ٤٣ .

(٣) في (أ) : (الكلاف) ، وهو خطأ .

(٤) (به) : ساقطة من (د) و(ع) .

(٥) العبارة في سر صناعة الإعراب : (ومثل مجرَّف ومجلَّف ، كأنَّ الخير قد جُرِّف عن وجلف ، كما يجلف القلم ونحوه) .

(٦) الحُرْف : حبَّ الرشاد . القاموس المحيط ٣/ ١٢٧ .

(٧) سر صناعة الإعراب لابن جني ١/ ١٤ ، ١٥ .

(٨) في (أ) و(د) : (على) .

قال أبو إسحاق : وحقيقته أنه يعبد الله على حرف الطريقة في الدين ، لا يدخل فيه دخول متمكن[١] .

وقال أبو عبيدة في قوله : ﴿عَلَىٰ حَرْفٍ﴾ ؛ أي لا يدوم . قال : وتقول[٢] : إنَّما أنت على حرف[٣] ؛ أي لا أثق بك[٤] .

قال أبو الفتح : وهذا راجع إلى ما قدمناه لأن تأويله أنه قلق في دينه ، على غير ثبات ولا طمأنينة ولا استحكام بصيرة ، فكأنه معتمد[٥] على حرفٍ دينه غير واسط فيه ، كالذي هو على حرف جبل ونحوه ، يضطرب اضطراباً ويضعف قيامه ، فهو يعرض أن يقع في أحد جانبي الطرف ، فقيل للشاك في دينه أنه يعبد الله على حرف ؛ لأنه لو عبده على يقين وبصيرة لم يكن في حرف يسقط عنه بأدنى شيء يصيبه . وهذا المعنى ظاهر في قوله : ﴿فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ﴾ الآية[٦] .

وقال بعض أهل المعاني : إنما قيل للشاك في دينه : يعبد الله على حرف ؛ لضعفه واضطرابه في طريق العلم إذْ[٧] لم يتمكن في الدلائل المؤدية إلى الحق ، فأدنى شبهة تعرض له ينقاد لها ولا يعمل في حلها .

وقال المبرِّد : والعرب تقول : فلان على حرف ، إذا كان بين قوم يظهر الميل إلى أحدهم ، وفي نفسه من الآخرين شيء . ومعناه الشك وأصله من حرف الشيء ، نحو : الحيل والدكان والحائط الذي القائم عليه غير مستقر .

---

(١) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٤١٤ .
(٢) في (د) و(ع) : (ويقولون) .
(٣) هكذا في جميع النسخ وسر صناعة الإعراب ، وفي مجاز القرآن : إنما أنت لي على حرف . بزيادة (لي) .
(٤) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ٤٦ .
(٥) في (د) و(ع) : (متعمد) .
(٦) سر صناعة الإعراب لأبي الفتح ابن جني ١/ ١٤ .
(٧) في (أ) : (إذا) .

هذا الذي ذكرناه كله يعود إلى معنى واحد .

وقال[١] ابن قتيبة : ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖ﴾[٢] واحد[٣] أي على وجه واحد ومذهب واحد[٤] .

واختار الأزهري هذا القول ، فقال : كأنَّ الخير والخصب ناحية ، والضر والشر والمكروه ناحية أخرى ، فهما حرفان ، وعلى العبد أن يعبد خالقه على الحالتين[٥] .

أعني السَّرَّاء والضراء ، ومن عَبَدَ الله على السرَّاء وحدها من دون أن يعبده على الضراء فقد عبده على حرف ، ومن عبده على الحالتين فقد عبده عبادة العبد المقر بأنَّ له خالقاً[٦] يصرفه كيف يشاء ، وهو في ذلك عادل غير ظالم له[٧] .

فعلى هذا ، معنى قوله[٨] ﴿عَلَىٰ حَرۡفٖ﴾ ؛ على وجه واحد ، وهو إذا أصاب خيراً عبده ، وإن أصابه شر ترك عبادته ، على ما ذكره الأزهري .

وقال الحسن : هو المنافق يعبد الله بلسانه دون قلبه[٩] .

---

(١) في (د) و(ع) : (قال) .

(٢) إلى هنا ينتهي المفقود من نسخة (ظ) ، والموجود يبدأ من قوله : (يعبد الله) .

(٣) هكذا في جميع النسخ ، والأظهر حذفها فليس (واحد) عند ابن قتيبة .

(٤) غريب القرآن لابن قتيبة ٢٩٠ .

(٥) في (أ) زيادة بعد قوله : (الحالتين) : (فقد عبده عباده) ، وهي زيادة ناشئة من انتقال نظر الناسخ إلى الكلام الذي بعده .
وليست في تهذيب اللغة للأزهري .

(٦) في (أ) : (بأنه خالق) ، وهو خطأ .

(٧) تهذيب اللغة للأزهري ٥/ ١٢ ، ١٣ مع تصرف في العبادة .

(٨) في (ظ) : (فعلى هذا المعنى في قوله) .

(٩) ذكره عنه الثعلبي ٣/ ٤٨ أ ، والبغوي ٥/ ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، والقرطبي ١٢/ ١٨ .

ويكون معنى ﴿عَلَىٰ حَرْفٍ﴾ في هذا القول : على شك .

قوله : ﴿فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ﴾ ؛ إن أصابه رخاء[١] وعافية وخصب ، وكَثُر ماله اطمأن على عبادة الله بذلك الخير الذي أصابه .

والكناية في ﴿بِهِۦ﴾ تعود إلى الخير .

﴿وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ﴾ اختبار بجدب وقلة مال ، ﴿ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ﴾ ؛ قال أبو إسحاق : رجع عن دينه إلى الكفر وعبادة الأوثان[٢] .

وقال المبرِّد : تأويله قلب وجهه عمَّا كان عليه من الدين والعبادة . ويجوز أن يكون المعنى انقلب على وجهه الذي توجه[٣] منه ، وهو الكفر .

ويكون معنى الوجه على هذا : طريقه الذي جاء منه[٤] ، وهو الكفر .

قال الكلبي وغيره من المفسرين : نزلت في أعراب كانوا يقدمون على رسول الله ﷺ المدينة . وكان أحدهم إذا صح جسمه ، ونتجت[٥] فرسه مهراً حسناً ، وولدت امرأته غلاماً ، وكثر ماله ، رضي واطمأن ، وقال : ما أصبت منذ دخلت في ديني هذا إلَّا خيراً . وإن أصابه وجع في[٦] المدينة ، وولدت امرأته جارية ، وأجهضت رماكه[٧] ، وذهب ماله ، وتأخرت عنه الصدقة ، أتاه الشيطان ، فقال

---

(١) في (أ) : (رجاء) . وهو تصحيف .

(٢) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٤١٤ .

(٣) (توجَّه) : مهملة في (أ) .

(٤) في (ظ) و(د) و(ع) : (منها) .

(٥) نتجت : ولدت . لسان العرب (نتج) ٢/ ٣٧٤ .

(٦) (في) : ليست في (ظ) و(د) و(ع) .

(٧) في (ظ) : (رماله) .

ورماكه : جمع رمكه ، والرمكة : الفرس والأنثى من البراذين . الصحاح للجوهري (رمك) ٤/ ١٥٨٨ ، ولسان العرب (رمك) ١٠/ ٤٣٤ .

له[١] : والله ما أصبت منذ دخلت في هذا الدين إلَّا شراً . فينقلب عن دينه . وذلك الفتنة[٢] .

وقوله تعالى : ﴿خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةَ﴾ يعني هذا الشاك خسر دنياه حيث لم يظفر بما طلب من المال ، وخسر آخرته بارتداده عن الدين ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾ ؛ أي الضرر الظاهر . يعني ذلك الذي فعل من انقلابه على وجهه ، وذلك[٣] الخسران الذي لحقه هو الخسران المبين . وخسر يدل على الخسران ؛ لأنّ الفعل يدل على المصدر .

١٢ . قوله : ﴿يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ ؛ أي هذا المرتد يدعو[٤] راجعاً إلى الكفر يعبد سوى الله ﴿مَا لَا يَضُرُّهُۥ﴾ في معاش إن لم يعبده ، ولا ينفعه إنْ أطاعه ، يعني الحجارة التي كانوا يعبدونها ، ذلك الذي فعل ﴿هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ﴾ أي عن الحق والرشد .

---

(١) (له) : ساقطة من (أ) و(ع) .

(٢) ذكره بهذا اللفظ الثعلبي في الكشف والبيان ٣/ ٤٧ ب ، ٤٨ أ من غير نسبة لأحد .
وذكره عن الكلبي الرازي في تفسيره ٢٣/ ١٣ .
وقد رواه بنحوه الطبري في تفسيره ١٧/ ١٢٢ من رواية العوفي عن ابن عباس .
وروى البخاري في صحيحه ، كتاب التفسير ، سورة الحج ، باب ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾ ٨/ ٤٤٢ نحوه مختصراً عن ابن عباس قال : كان الرجل يقدم المدينة ، فإن ولدت امرأته غلاماً ونتجت خيله قال : هذا دين صالح ، وإن لم تلد امرأته ولم تنتج خيله ، قال : هذا دين سوء . وروى ابن أبي حاتم ، كما في تفسير ابن كثير ٣/ ٢٠٩ بإسناد حسن عن ابن عباس قال : كان ناس من الأعراب يأتون النبي ﷺ فيسلمون . فإذا رجعوا إلى بلادهم ، فإن وجدوا عام غيث وعام خصب وعام ولاد حسن قالوا : إن ديننا هذا لصالحٌ فتمسكوا به . وإن وجدوا عام جدوبة وعام ولاد سوء وعام قحط قالوا : ما في ديننا هذا خير ، فأنزل الله على نبيه : ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ الآية . وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ١٣ وقال : بسند صحيح ، وعزاه لابن أبي حاتم ، وابن مردويه .

(٣) في (أ) : (أو ذلك) .

(٤) (يدعو) : ساقط من (أ) .

١٣. قوله: ﴿يَدْعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ﴾. هذه الآية كثير[١] الاختلاف في إعرابها، ووجه دخول اللام في قوله: ﴿لَمَن﴾، وأذكر الأقوال التي حكاها أبو إسحاق، وأتبع كل قول منها ما ذكر عليه إن شاء الله.

قال أبو إسحاق: قد اختلف الناس في تفسير هذه[٢] اللام وفي: ﴿يَدْعُواْ﴾ بأي شيء هي متعلقة؟ ونحن نفسر[٣] جميع ما قالوه وما أغفلوه مما هو أبين من جميع ما قالوه: إنْ شاء الله.

قال البصريون والكوفيون: اللام معناها[٤] التأخير، المعنى: يدعو من لضره[٥] أقرب من نفعه. ولم يشبعوا الشرح، ولا قالوا من أين جاز أن تكون اللام في غير موضعها[٦]؟ وشرح ذلك: أنَّ اللام لليمين والتوكيد، فحقها أن تكون أول الكلام، فقدِّمت لتُجعل في حقها، وإن كان أصلها أن تكون في (لضرِّه)[٧] كما أنَّ لام (إن) حقها أن تكون في الابتداء، فلمَّا لم يجز أن تلي (إنَّ) جعلت في الخبر

(١) هكذا في جميع النسخ.
(٢) في (ظ) و(د) و(ع): (في تفسير هذه الآية، في اللام وفي يدعو). وما أثبتنا من (أ) هو الموافق لمعاني الزَّجَّاج.
(٣) في (أ): (وعن تفسير)، وهو خطأ.
(٤) في (أ): (معناه).
(٥) في (أ): (يدعوا لمن يضره)، وهو خطأ.
(٦) في (ظ) و(د) و(ع): (موضع. وفي (د) علامة.. بعدها.
(٧) هكذا في (ظ) و(د) و(ع). والمعاني للزَّجَّاج. وفي (أ): (يضره)، ولعل الصواب في (ضره).

في مثـــل قولك : إن زيداً لقائم . ولا يجوز : إن لزيداً قائم ، فإذا أمكنك[١] أن تكون في الاسم كان ذلك أجود في الكلام تقول[٢] إنَّ في ذلك لآية . فهذا قول[٣] .

قال أبو علي : مـــن زعم أنَّ هذه اللام في قولـــه : ﴿لَمَن ضَرُّهُۥٓ﴾ كان حكمها أن تكون في المبتدأ الذي في صلة (مـــن) وهو الضُّرُّ ثُمَّ قُدِّم[٤] إلى الموصول –وهو (من)– فهو مخطىء ؛ لأنَّا قد أحاط علمنا بهذه اللام والمواضع التي[٥] يستعملونها فيها ، وتلك المواضع :

منهـــا المبتدأ ، وهى فيه[٦] على ضربين : إمَّـــا أن تكون للتأكيد مجرداً من تلقّي القسم . وإمّا أن يكون لتلقي القسم والتأكيد .

ومنها (إنَّ) وهي تســـتعمل معها على ضربين أيضاً : إمَّا أن تدخل على اســـم (إنَّ) إذا فصل بينها وبين (إنَّ) نحو : ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً﴾[٧] ، ولا تمنع (إنَّ) من أن تعمل في اسمها النصب ؛ لأنَّ التقدير بها أول الكلام قبل (إنَّ) . وإمَّا أنْ تدخل على خبرها ، وهي تدخل على جميع أنواع خبر (إنَّ) من المفرد والجملة ، نحو : إن

(١) في المطبوع من المعاني ٣/ ٤١٥ : (أمكن) . وقد أشـــار المحقق في الحاشية إلى أنه في الأصل (أمكنك) ، فقام بتغييرها .
(٢) في (ظ) : (ويقول) .
(٣) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٤١٥ .
(٤) في جميع النسخ : (ثم أخر) ، والتصويب من الإغفال للفارسي ٢/ ١٥٠٧ .
(٥) في (ظ) : (الذي) .
(٦) في الإغفال ٢/ ١٥٠٧ : (وهي فيه) .
(٧) (إنَّ) : ساقطة من (أ) .

زيداً لأبــوه منطلق ، والفعل المضارع ، ولا تدخل على الفعل الماضي إذا كان خبراً لـ(إنَّ) ، ومنها دخولها[١] على خبر المبتدأ في الشذوذ والضرورة كقوله[٢] :

أم الحليس لعجوز شهربة[٣]

وكما حكى أبو الحسن[٤] في حكاية نادرة : إنَّ زيداً وجهه لحسن[٥] .

فإذا كان حق هذه اللام أنْ تدخل على المبتدأ ، أو على اســم (إن) وخبرها من حيث دخلت على المبتدأ ، وكان دخولها على خبر المبتدأ ضرورة وشذوذاً[٦] مع أنَّ خــبر المبتدأ في المعنى هو المبتدأ ، أو راجع [في المعنــى إلى ما هو المبتدأ فدخوله في الموصول والمراد به][٧] الصلة ينبغي أن لا يجوز ؛ لأن الصلة ليست بالموصول ، كما أن خبر المبتدأ [هو] المبتدأ[٨] .

---

(١) في النســخ جميعها : (دخوله) . وأشــار محقق الإغفال ٢/ ١٠٦٠ إلى أنَّها في الأصل : (دخولها) . وفي نسختين من الإغفال : (دخوله) . فأثبتنا ما في النسخة الأصل للإغفال .

(٢) هذا شطر من الرجز ، وشطره الآخر :

ترضى من اللحم بعظم الرَّقَبة

وهي بلاد كما في الطبري ١٦/ ١٨١ ، والصحاح للجوهري (شهرب) ١/ ١٥٩ ، واللسان ١/ ٥١٠ ، وتاج العروس (شهرب) ٣/ ١٦٩ .

قال العين : أي في المقاصد النحوية ١/ ٥٣٥ : قائله رؤبة بن العجاج ، ونســبة الصاغاني في العباب إلى عنترة بن عروس ، وهو الصحيح . اهـ . وهو في ديوان رؤبة ١٧٠ .

قال العين ١/ ٥٣٥ ، ٥٣٦ : والحُليس بضم الحاء المهملة وفتح اللام وآخره سين مهملة . والشهربة : العجوز الكبيرة . انظر : ما تقدم من مراجع في اللغة .

(٣) في (ظ) : (شهيرة) .

(٤) هو الأخفش سعيد بن مسعدة .

(٥) في (أ) : (إن زيداً لوجهه لحسن) ، وهو خطأ .

(٦) في الإغفال ٢/ ١٠٥٦ : (أو شذوذاً) .

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من (ظ) .

(٨) (هو) : زيادة من الإغفال .

فتبين بهذا أن قول من قال : التقدير بها في الآية التأخير إلى الصلة خطأ ، وأنّه تارك[١] لمذهب العرب في تأويله إياها هذا[٢] التأويل .

ويفسد هذا القول أيضاً أن اللام إذا كان حكمه[٣] أن تكون في الصلة ، ثم قدم إلى الموصول فغير سائغ ، كما أن سائر ما يكون في الصلة لا يتقدم على الموصول .

وأما تشبيهه تقدُّم هذه اللام في الآية بتأخرها عن الاسم إلى الخبر في (إنَّ) فلا يشتبهان ، وهو بعيد من الصواب ؛ لأنه لا شيء يجب ويلزم له أن تقدم هذه اللام إلى الموصول من الصلة ، كما كان في اسم (إنَّ) سبب يوجب تأخيرها إلى الخبر وهو اجتماع حرفين بمعنى واحد ، ففساد هذا التشبية بيِّن .

وأما قوله : ولايجوز إنَّ لزيداً قائم ، فتمثيل سوء فيه إيهام[٤] أنَّ اللام التقدير بها أن تكون بعد (إنَّ) وليس كذلك[٥] ، لأنَّ تقدير اللام أن[٦] تكون قبل (إن) يدلك على ذلك تعليقه الفعل وَوَقْعُهُ[٧] به عن (إنَّ) في نحو علمت إنَّ زيداً لمنطلق .

---

(١) في (أ) : (لتارك) .

(٢) في (ظ) : (بهذا) .

(٣) في الإغفال ٢/ ١٠٦٠ : (حكمها) ، وأشار المحقق إلى أنه في بعض النسخ : (حكمه) .

(٤) في (أ) : (إبهام) .

(٥) في (أ) : (ذلك) ، وهو خطأ .

(٦) في (أ) : (بأنّ) .

(٧) في (أ) : (وومعه) مهملة ، وفي (ظ) : (ووقعه) ، وفي (د) و(ع) : (ووقفه) ، ولعل الصواب ما أثبتنا ، ففي الإغفال ٢/ ١٠٦٧ : ووقوعه على إنَّ المكسورة في نحو قولك : علمت إنَّ زيداً لمنطلق .

ولـــو[١] كان التقدير بها[٢] الوقوع بعد (إن) لفتح الفعل [في] (إنَّ)[٣] ؛ لأنّه لم يكن له كاف عـــن (إنَّ) وفتحها ، ويدل أيضاً[٤] على أن التقدير بها التقديم قوله : ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً﴾ فلو لم يكن التقديـــر بها التقديم على (إن) لكفت (إنَّ) عن العمل كما كفـــت الفعل عن العمل في نحو : علمت لزيد خيرٌ منك . فلما لم تكفَّ (إنَّ) عن أن تعمل في اسمها كما كف الفعل ولم يعلقه ؛ علمنا أن التقدير بها التقديم على (إن) ، ويقوِّي ذلك من[٥] السمع قولهم : لهنك[٦] رجل صدق[٧] . فاللام قبل (إنَّ) فتأمَّل هذا الكلام ؛ أي على هذا القول[٨] .

قال أبو إســـحاق : وقالـــوا أيضـــاً : إنَّ ﴿يَدْعُواْ﴾ معه هاء مضمـــرة ، وأنَّ ﴿ذَٰلِكَ﴾ من قوله : ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ﴾ في موضع رفع و﴿يَدْعُواْ﴾ في موضع الحال المعنى : ذلك هو الضلال البعيد يدعوه . المعنى في حال دعائه إياه ، ويكون : ﴿لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ﴾ مســـتأنفاً مرفوعاً بالابتداء ، وخبره : ﴿لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ﴾[٩] .

قال أبو علي : إنْ قال قائل : على هذا القول كيف يجوز هذا التأويل في التنزيل وحذف الهاء إنما يســـوغ في الصلة والصفة ، وليس هذا بصلة ولا صفة ؟ والقول عندي أنَّ ذلك غير ممتنع لمضارعة الحال الصفة . ألا ترى أنَّك إذا قلت : جاء زيد راكبـــاً ، فقد فصل راكب بين مجيئين أو أكثر كـــما أن قولك : جاءني رجل ظريف

---

(١) في (ظ) : (فلو)
(٢) في (ظ) : (فيها) .
(٣) زيادة من الإغفال ٢/ ١٦٠٧ .
(٤) (أيضاً) : ليست في (ظ) و(د) و(ع) .
(٥) (من) : ساقطة من (ط) .
(٦) في (أ) : (لمعنك) .
(٧) (صدق) : ساقطة من (أ) .
(٨) الإغفال ٢/ ١٠٥١ـ١٠٦٨ مع تصرُّف .
(٩) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٤١٥ ، ٤١٦ .

يفرق بين رجلين أو رجال والحال في هذا كالصفة ، فتقدير قوله : ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ﴾ ﴿يَدْعُواْ﴾ أشير إليه مدعواً[1][2] .

وزاد أبو الفتح الموصلي بياناً لهذا القول فقال : في ﴿يَدْعُواْ﴾ من قوله : ﴿يَدْعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ﴾ هاء منصوبة بـ«يدعو» محذوفة ، وتكون الجملة في موضع نصب على الحال من ﴿ذَٰلِكَ﴾ في قوله : ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ﴾ [التقدير : ذلك هو الضلال][3] البعيد مدعواً . وغير منكر حذف الهاء من الحال ؛ لأنها تضارع الصفة ، والصفة يجوز فيها حذف الهاء جوازاً حسناً ، من ذلك قولك : الناس رجلان رجل أكرمت ورجل أهنت . ومن أبيات الكتاب[4] :

أبحتَ[5] حِمَى تهامة بعد نجد وما شيء حميت بمستباح[6]

أي حميته . فعلى هذا تقول : نظرت إلى زيد تضرب[7] هند ، [أي تضربه هند][8] ، فحذف الهاء من الحال لمضارعتها الصفة . وتكون اللام في (لمن) لام الابتداء و(من) مرفوعة بالابتداء ، وقوله ﴿لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ﴾ خبر (من) كأنَّه قال :

---

(١) في الإغفال ٢/ ١٠٦٩ : يدعو على هذا ، أشير إليه مدعواً .

(٢) الإغفال لأبي علي ٢/ ١٠٦٨ ، ١٠٦٩ مع تصرُّف .

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) .

(٤) في (أ) زيادة : (فقال) ، بعد قوله : (الكتاب) .

(٥) في (أ) : (أبحب) .

(٦) البيت في الكتاب ١/ ٨٧ منسوباً لجرير ، وهو في ديوانه ١/ ٨٩ . وأمالي ابن الشجري ١/ ٥ ، والمقاصد النحوية ٤/ ٧٥ .
قال الشنتمري في تحصيل عين الذهب ١/ ٤٥ : يخاطب عبدالملك بن مروان فيقول : ملكت . . . وأبحت حماها بعد مخالفتها لك ، وما حميت لا يصل إليه من خالفك لقوة سلطانك . وتهامة ما تسفل من بلاد العرب . ونجد ما ارتفع ، وكنى بهما عن جميع بلاد العرب .

(٧) في (ظ) و(د) و(ع) : (نظرت) ، وهو خطأ .

(٨) ما بين المعقوفين ساقط من (ظ) و(د) و(ع) .

للـــذي ضره أقرب من نفعه لبئس المولى . واللام التي في ﴿لَبِئْسَ﴾ هي اللام التي يتلقى بها القسم في نحو :

لناموا فما إنْ مِنْ رقيب ولا صالي[١]

وهـــي تدل على يمين محذوفة ، فكأنه قال : للـــذي ضَرُّه أقرب من نفعه والله لبئـــس المولى . كما تقـــول : زيد والله لقد قام . هذا كلـــه كلام أبي الفتح[٢] في بيان القول الثاني من[٣] الأقوال التي حكاها الزَّجَّاج .

قال الزَّجَّـــاج : وفيه وجه ثالث : يكـــون ﴿يَدْعُواْ﴾ في معنى يقول . ويكون «من» في موضع رفع ، وخبره محذوف . ويكون المعنى : يقول لمن ضره أقرب من نفعه هو مولاي .

ومثل (يدعو)[٤] في معنى يقول قول عنترة :

يدعون عنترَ والرمـاحُ كـأنهـا أشـطانُ بئـرٍ في لبـانِ الأدهمِ[٥]

---

(١) البيت لامرئ القيس وأوله :

حَلَفتُ لها بالله حَلْفة فاجرٍ

وهـــو في ديوانه ٣٢ ، وسر صناعة الإعراب ١/ ٣٧٤ ، وشرح المفصل لابن يعيش ٩/ ٢٠ ، ولســـان العرب (حلف) ٩/ ٥٣ ، وهمع الهوامع ٢/ ١١٥ ، وخزانة الأدب ١٠/ ٧١ ، ٧٨ .

وعندهم (حديث) مكان (رقيب) .

والفاجر هنا : الكاذب . والصالي : الذي يصطلي بالنار .

(٢) سر صناعة الإعراب ١/ ٤٠٢ ، ٤٠٣ مع تقديم وتأخير .

(٣) في (أ) : (عين) .

(٤) (يدعو) : ساقطة من (أ) .

(٥) البيت أنشده الزَّجَّاج لعنترة في معاني القرآن ٣/ ٤١٦ .

وهو في ديوانه ٩٢١٦ من معلقته ، وفي لسان العرب (شطن) ١٣/ ٢٣٧ .

قال الشنتمري في شرحه لديوان عنترة ٢١٦ : قوله : يدعون عنتر ؛ أي ينادونني يا عنتر ، يا عنتر ، . . . والأشطان : الحبال ، شـــبَّه الرماح بها في طولها واســـتقامتها . وقوله : في لبان الأدهم : يعني فرسه ، واللبان : الصدر ؛ أي إذا نظر القوم إلى الرماح وقد كثرت وأشرعت في لبان الأدهم نادونني .

قال : ويجوز أن يكون (يدعو) في معنى يسمَّى كما قال ابن أحمر[١] :

أهوى لها مشقصاً حشراً[٢] فشبرقها

وكنتُ أدعو قذاها الإثمدَ القردا[٣]

ووجه هذا القول كوجه الذي قبله[٤] . انتهت الحكاية عنه .

---

(١) في (ظ) و(د) و(ع) : (ابن الأحمر) .
وهو عمرو بن أحمر بن العمّرد بن عامر ، الباهلي ، أبو الخطاب . شاعر مخضرم ، أسلم وغزا مغازي الروم ، وعُمِّر تسعين سنة ، ومات نحو ٦٥هـ . الشعر والشعراء ٢٢٣ ، ومعجم الشعراء للمرزباني ٢٤ ، والإصابة ٣/ ١١٢ ، والأعلام ٥/ ٧٢ .

(٢) في (أ) : (حش) ، وفي (ظ) : (فرداً) .

(٣) البيت أنشده الزَّجَّاج لابن أحمر في معاني القرآن ٣/ ٤١٦ .
وهذا البيت ضمن أبيات قالها ابن أحمر لما رماه رجلٌ يقال له مخشي بسهم فذهبت عينه ، فقال :
شلتْ أنامـلُ مخـشي فـلا جبـرتْ ولا استـعـانَ بـضـاحـي كـفِّـه أبـداً
أهوى لها . . .
وهو في ديوانه ٤٩ ، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ١٣ ، والشعر والشعراء لابن قتيبة ٢٢٣ ، والمعاني الكبير لابن قتيبة أيضاً ٢/ ٩٨٨ ، والطبري ١٦/ ١٣١ .
والمشقص : نصل السهم ، أو السهم الذي فيه نصل طويل أو عريض . حَشْر : لطيف القُذذ وهي الريش قد بُريت وحدِّدت وسويت .
شبرقها : مزَّقها . أدعو : أسمّي . الإثمد : الكحل . القرد : المتلبِّد .
انظر : لسان العرب (حشر) ٤/ ١٩٢ ، و(شبرق) ١٠/ ١٧١ ، و(قرد) ٣/ ٣٤٨ ، وتاج العروس (شقص) ١٨/ ١٥ ، ١٦ ، و(ثمد) ٧/ ٤٦٨ .
قال ابن قتيبة في المعاني الكبير ٢/ ٩٨٨ : يقول : كنت من إشفاقي عليها أسمي ما يصلحها ـ يعني الإثمد ـ قذى ، فكيف ما يؤذيها ؟ وقوله : أدعو : أسمِّي .

(٤) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٤١٦ .

قال أبو علي : أقول إنَّ الدعاء بمعنى القول سائغ ، وهذا الوجه الذي أجازه ممكـــن ، أعني أن يصرف يدعو إلى معنى يقول فيحكـــى[١] ما بعدها إذا[٢] كان في معنى القول وضرباً منه ، واللام في (لمن) لام ابتداء ، وموضع (من) رفع ، والخبر مضمـــر . ولا يجوز أن يكون الخبر ﴿لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ﴾ أعني خـــبر (لمن) لأن الكافر المتمسك بعبادة الأصنام لا يقول للصنم لبئس المولى[٣] .

وزاد أبو الفتح لهذا القول بياناً فقال : ﴿يَدْعُواْ﴾ بمنزلة[٤] يقول ، أي يقول لمن ضره أقرب من نفعه إلـــه[٥] أو رب ، فتكون (من)[٦] مرفوعة بالابتداء ، وخبرها محذوف مقدر ، ويدل على أن ﴿يَدْعُواْ﴾ بمنزلة يقول قول عنترة :

يدعون عنتر ؛ أي يقولون : يا عنترة ، فدلَّ يدعون عليها .

فإن قيل : فلم جعلوا خبر (من) محذوفاً دون أن يكون قوله : ﴿لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ﴾ كما أجزتـــم في القول الثاني ؟ قيل : إنَّ الكفار ليســـوا[٧] يقولون لمن يدعونه إلهاً : لبئس المولى ، ولو قالوا ذلك لما عبدوه .

ومعنـــى : ﴿لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ﴾ ذم لمعبودهـــم لا على الحكايـــة عنهم ولكن على الإخبار ، أخبر الله –تعـــالى– أن من ضره أقرب من نفعه فإنَّـــه بئس المولى . فإنْ قيـــل : فإذا كان الأمـــر كذلك فكيف جاز أن يقول يدعـــو بمعنى يقول لمن ضره

---

(١) في (ظ) و(د) و(ع) : (فيحلى) .
(٢) في الإغفال ٢/ ١٠٧١ : (إذْ) .
(٣) الإغفال لأبي علي الفارسي ٢/ ١٠٧١ ، ١٠٧٢ مع تصرف .
(٤) في (أ) : (يميله) .
(٥) (إله) : ساقطة من (ظ) .
(٦) (من) : ساقطة من (أ) .
(٧) (ليسوا) : ساقطة من (ظ) .

أقرب من نفعه إله ، والكافر لا يقول ذلك ؟ قيل : إنَّ ذلك على حكاية[١] قولنا[٢] نحن فيه أي يقول لمن ضره أقرب من نفعه عندنا وفي قولنا إله عنده . وقد جاءت هـذه الحكاية عنهم مجيئاً واسـعاً من ذلك قوله تعـالى : ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾ [الدخان :٤٩] وقولـه : ﴿يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ [الزخرف :٤٩] وقالوا هذا بعد إيمانهم وتقديره : يا أيها السـاحر ، عند أولئك الذين يدعونك ساحراً ، فأمَّا نحن فنعلم[٣] أنك لست بساحر . انتهى كلامه[٤] .

وهذا القول أنَّ ﴿يَدْعُواْ﴾ بمعنى : يقول وهو قول الأخفش ذكره في كتابه[٥] ، واختيار المبرّد .

قال المبرِّد : يدعو بمعنى : يقول ، كقول[٦] القائل : ما يدعى فلان فيكم ؟ أي ما يقـال له ؟ فمعناه : يقول لمن ضره أقرب من نفعه إله ، فالخبر[٧] محذوف لما دل عليه من قوله ﴿ يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ .

قال أبو علي : فأما قوله : يجوز أن يكون ﴿يَدْعُواْ﴾[٨] في معنى يسـمى ، فقول ممتنع غير جائز في الآية ، وقد أجاز سـيبويه فقال : تقول : دعوته زيداً إذا أردت معنى سميته فتعديه إلى مفعولين[٩] . والذي منع من [إجازة ذلك في الآية دخول

---

(١) في (ظ) و(د) و(ع) : (الحكاية) .
(٢) في (ظ) : (وقولنا) .
(٣) في (ظ) و(د) و(ع) : (نعلم) .
(٤) سر صناعة الإعراب ١/ ٤٠٤ـ٤٠٦ مع تقديم وتأخير وتصرُّف .
(٥) معاني القرآن للأخفش ٢/ ٦٣٥ ، ٦٣٦ .
(٦) في (ظ) و(د) و(ع) : (كما يقول القائل) .
(٧) في (ظ) : (والخبر) .
(٨) في (أ) : (يدعوه) .
(٩) الكتاب ١/ ٣٧ .

لام[١] الابتداء في الـكلام ، وإذا حمله على هذا التأويل لزمه أن][٢] يعلقه ، لأنّه لا يعمله في اللفظ . والتعليق[٣] فيه لا[٤] يجـوز ؛ لأنَّ التعليق إنَّما يجوز في ما[٥] يجوز فيه الإلغاء[٦] ، وهو علمت وبابه ، ولو جاز التعليق[٧] في سـَّميت لجاز أن تقول : سميت[٨] أخوك زيد ، كما تقول : علمت لزيد منطلق . وهذا قول الخليل وسيبويه وجميـع البصريين[٩] . إذ التعليق لا يجوز في ما عدا علمـت وبابه ، والبيت الذي أنشـده يجوز أن يكون (يدعو) فيه بمعنى يسمى ؛ لأنه لا شيء فيه يمنع من ذلك كما منع منه في الآية دخولُ اللام . ألا ترى أنَّ[١٠] قوله :

وكنت أدعو قذاها الإثمدَ القردا

---

(١) في (ظ) و(د) و(ع) : (اللام) .

(٢) ما بين المعقوفين في حاشية (د) ، وعليه علامة التَّصْحيح .

(٣) التعليق : هو إبطال عمل الفعل القلبي لفظاً لا محلاً لمانع ، وسمي تعليقاً لأنه إبطال في اللفظ مع تعليق العامل بالمحل وتقدير إعماله .
انظر : شرح التسـهيل لابن عقيـل ١/ ٣٦٨ ، ٣٦٩ ، وهمع الهوامع للسـيوطي ١/ ١٥٥ ، ومعجم المصطلحات النحوية لمحمد اللبدي ١٥٥ .

(٤) في (ظ) و(د) و(ع) : (فلا) .

(٥) في (أ) : (فيها) ، وهو خطأ .

(٦) الإلغاء : هو إبطال العمل لفظاً ومحلاً لغير مانع لضعف العامل .
انظر : شرح التسـهيل لابن عقيل ١/ ٣٦٤ ، وهمع الهوامع ١/ ١٥٣ ، وموسـوعة النحو والصرف لإميل بديع ٢٦١ .

(٧) في (د) و(ع) : (التعلُّق) .

(٨) انظر : الإغفال ٢/ ١٠٧٨ .

(٩) انظـر : الكتـاب ٣/ ١٤٩ ، وشرح المفصـل لابن يعيش ٧/ ٨٦ ، وأوضح المسـالك لابن هشـام ١/ ٣١٣ـ٣١٧ ، وهمع الهوامع للسيوطي ١/ ١٥٣ ، ١٥٤ .

(١٠) في (ظ) : (إلى) .

أنــه بمنزلة[١] (كنت أدعو أخاك زيداً) . فلا يجــوز أن يكون (يدعو) بمعنى يسمى في الآية كما جاز [في تأويله الذي][٢] في[٣] هذا البيت[٤] .

قال أبو إسحاق : وفيها وجه رابع وهو الذي أغفله الناس : أنَّ ﴿ذَٰلِكَ﴾ في موضع نصب بوقوع ﴿يَدۡعُواْ﴾ عليه ، ويكون ﴿ذَٰلِكَ﴾ في تأويل الذي ، ويكون المعنــى الذي هو الضــلال البعيد يدعو ، ويكــون ﴿لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقۡرَبُ مِن نَّفۡعِهِۦ﴾ مســتأنفاً . وذا مثل قوله : ﴿وَمَا تِلۡكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ [طه :١٧] على معنى : ما التي بيمينك ؟[٥] .

قال أبو علي : وهذا الوجه هو الحســن ، أعني أن يتأوَّل[٦] ﴿ذَٰلِكَ﴾ بمعنى (الذي) ، ويجعل قوله ﴿هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ﴾ صلته ، ويجعل[٧] الموصول في موضع نصب[٨] ، فتكون اللام حينئذٍ داخلاً[٩] على اسم مبتدأ موصول ، وقوله : ﴿لَبِئۡسَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَلَبِئۡسَ ٱلۡعَشِيرُ﴾ في موضع رفع لوقوعه خبر المبتدأ ، واللام التي في[١٠] قوله : ﴿لَبِئۡسَ ٱلۡمَوۡلَىٰ﴾ لام اليمــين ، وهي التي إذا دخلت على المضــارع لزمته النون ، وهذا ما يجب أن تحمل الآية عليه[١١][١٢] .

---

(١) في (ظ) و(د) و(ع) : (بمعنى كنت) .
(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ظ) و(د) و(ع) .
(٣) (في) : ساقطة من (أ) .
(٤) الإغفال للفارسي ٢/ ١٠٧٣ـ١٠٧٨ بتصرف .
(٥) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣٠/ ٤١٦ .
(٦) في (أ) : (تناول) ، وهو خطأ .
(٧) في (ظ) : (ويحتمل) .
(٨) في الإغفال : (نصب بيدعو) .
(٩) في (ظ) و(د) و(ع) : (داخلٌ) ، وهو خطأ ، وفي الإغفال : (فتكون اللام حينئذ داخلة) .
(١٠) (في) : ساقطة من (ظ) .
(١١) في (ظ) و(د) و(ع) : (ما يجب على الآية) .
(١٢) الإغفال للفارسي ٢/ ١٠٦٢ ، ١٠٦٣ مع تصرُّف .

وتعقَّب الموصلي هذا القول وزاده بياناً ، وقال : وجه هذا القول أن تجعل (ذلك) بمنزلة (الذي) وتجعل الجملة التي هي قوله : ﴿هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ﴾ صلة له ، وتنصب[١] (ذلك) التي بمعنى (الذي) بـ(يدعو) ، فيصير التقدير : يدعو الذي [هو الضلال البعيد ، ثم تقدم المفعول الذي][٢] هو (الذي) ، فصار كما تقول : زيد يضرب[٣] ، و(ذلك) قد استعملت بمعنى (الذي) نحو قوله : ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ﴾ [البقرة :٢١٩] في من رفع الجواب فقال ﴿قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾[٤] . وقد ذكرنا هذا في ما تقدَّم .

هذا الذي ذكرنا هو الأقوال التي ذكرها أبو إسحاق في كتابه ، وكلام الإمامين أبي علي وأبي الفتح عليها .

ثم ذكر أبو علي من عند نفسه قولاً خامساً وهو : أن تجعل يدعو في قوله : ﴿يَدْعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ﴾ تكراراً للفعل الأول على جهة تكثير هذا الفعل الذي هو الدعاء من فاعله ، ولا تعديه إذ قد عديته مرة . هذا كلامه[٥] .

وشرحه أبو الفتح فقال : يجعل[٦] ﴿يَدْعُواْ﴾ تكراراً لـ ﴿يَدْعُواْ﴾ الأولى وهو قوله : ﴿يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ ، وترك إعمال الثاني ؛ لأنَّها قد أعملت متقدمة ، فاستغني فيها عن إعادة العمل ، كما تقول : ضربت زيداً ضربت . حكى ذلك

---

(١) في (ظ) و(د) و(ع) : (وانتصب) ، والمثبت من (أ) ، وسر صناعة الإعراب .

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ظ) .

(٣) العبارة في سر صناعة الإعراب : ثم يقدم المفعول الذي هو (الذي) فيصير التقدير : الذي هو الضلال البعيد يدعو ، كما تقول : زيداً يضرب . و(ذا) . . . .

(٤) سر صناعة الإعراب لابن جني ١/ ٤٠٣ .

(٥) الإغفال للفارسي ٢/ ١٠٦٢ .

(٦) (يجعل) : ساقط من (ظ) و(د) و(ع) .

سيبويه ، وتكون اللام في ﴿لَمَن﴾ لام الابتداء و﴿مِن﴾ مرفوعة بالابتداء ، وقوله : ﴿لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ﴾ خبر ﴿مِن﴾[(١)(٢)] . على ما بينا في القول الثاني .

وقال الفرَّاء في هذه الآية : جاء التفسير : يدعو من ضره أقرب من نفعه ، وكذا هو في قراءة عبدالله[(٣)] (يدعو من ضره) وقد حالت اللام بين الفعل والمفعول في قراءة العامة . ولم نجد العرب تقول : ضربت لأخاك ، ولا رأيت لزيداً . وترى أن جواز ذلك في الآية لأن (من) حرفٌ لا يتبين فيه[(٤)] الإعراب ؛ فاستجيز الاعتراض باللام دون الاسم . وذكر عن العرب أنَّهم قالوا : عندي لما غيره خير منه ، فحالوا باللام من دون الرافع ، وموقع اللام كان ينبغي أن يكون في ﴿ضَرُّهُۥٓ﴾[(٥)] وفي قولك : عندي ما لغيره خير منه . فهذا وجه[(٦)] .

واعتمد ابن الأنباري هذا فذكره في كتاب الوقف والابتداء[(٧)] .

وأما معنى الآية : فقال السدي : ضره في الآخرة بعبادته[(٨)] إياه أقرب من النفع[(٩)] .

---

(١) في (ظ) : (خبره من ضره) ، وفي (د) و(ع) : (خبر من ضره) .

(٢) سر صناعة الإعراب ١/ ٤٠٢ ، ٤٠٣ .

(٣) انظر : الطبري ١٧/ ١٢٤ ، والشواذ لابن خالويه ٩٤ ، والثعلبي ٣/ ٤٨ أ ، والقرطبي ١٢/ ٢٠ ، والبحر المحيط ٦/ ٣٥٧ .

(٤) في (أ) : (فيها) .

(٥) في (ظ) و(د) و(ع) : (خبره) ، وهو خطأ .

(٦) معاني القرآن ٢/ ٢١٧ . وتتمته : هذا وجه القراءة للاتِّباع .

(٧) انظر : إيضاح الوقف والابتداء ٢/ ٨٧١ .

(٨) في (أ) : (بعبادة) ، وهو خطأ .

(٩) رواه ابن أبي حاتم كما في الدر المثور للسيوطي ٦/ ١٥ .

قال الزَّجَّاج : فإن قال قائل : كيف يقال : ﴿أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ﴾ ولا نفع[١] من قبله ألبتة . فالعرب تقول لما لا يكون : هذا بعيد . والدليل على ذلك قوله : ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾ [ق :٣] هذا كلامه[٢] .

ومعنى هذا[٣] : أنه لما كان يقال لما لا يكون : هذا بعيد ، فنفع الصنم بعيد ؛ لأنه لا يكون ، فلـمَّا كان نفعه بعيداً قيل : لضره أنَّه[٤] أقرب من نفعه ، على معنى أنَّه كائن[٥] .

---

(١) في (أ) : (ولا يقع) ، وهو خطأ .

(٢) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٤١٥ .

(٣) في (ظ) و(د) و(ع) : (ومعنى الآية هذا) .

(٤) (أنه) : ليست في (ظ) و(د) و(ع) .

(٥) ذكر البغوي في تفسيره ٥/ ٣٦٩ أن هذه الآية يعني قوله : ﴿لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ﴾ من مشكلات القرآن ثم قال : وفيها أسئلة . أولها : قالوا : قد قال الله في الآية الأولى ﴿يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ﴾ ، وقال هاهنا ﴿لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ﴾ فكيف التوفيق بينهما ؟ .
وللعلماء أجوبة أخرى أقربها جوابان :
الأول : ما ذكره أبو حيان في البحر ٦/ ٣٥٥ بقوله : ونفى هنا الضر والنفع وأثبتهما في قوله ﴿لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ﴾ وذلك لاختلاف المتعلق ، وذلك أن قول : ﴿وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ﴾ هو الأصنام والأوثان ، ولذلك أتى التعبير عنها بـ (ما) التي لا تكون لآحاد من يعقل ، وقوله : ﴿يَدْعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ﴾ هو من عبد باقتضاء ، وطلب من عابديه من المدعين الإلهية كفرعون وغيره من ملوك بني عبيد الذين كانوا بالمغرب ثم ملكوا مصر فإنهم كانوا يدعون الإلهية ويطاف بقصرهم في مصر وينادون مما ينادى به رب العالمين من التسبيح والتقديس ، فهؤلاء ـ وإن كان منهم نفع لعابديهم في دار الدنيا ـ فضررهم أعظم وأقرب من نفعهم ؛ إذْ هم في الدنيا مملوكون للكفَّار وعابدون لغير الله ، وفي الآخرة معذبون العذاب الدائم ، ولهذا كان التعبير هنا بـ(من) التي هي لمن يعقل . قال الشنقيطي في أضواء البيان ٥/ ٤٧ بعد ذكره لجواب أبي حيان : وله اتجاه .
ثم ذكر البغوي : قول السدي وكلام الزَّجَّاج من غير نسبة لهما ، واقتصر عليه .
الثاني : ما ذكره أبو العباس ابن تيمية في الفتاوى ١٥/ ٢٦٩ـ٢٧٥ وخلاصة جوابه : أن قوله تعالى : ﴿مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ﴾ هو نفي لكون المدعو المعبود من دون الله يملك نفعاً أو ضراً ، وهذا يتناول كل ما سوى الله من الملائكة والبشر والجن والكواكب والأوثان كلها ، فما سوى الله لا يملك لا لنفسه ولا لغيره ضراً ولا نفعاً ، كما قال الله ـ تعالى ـ في سياق نهيه عن عبادة المسيح : =

وقولـه : ﴿ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ ﴾ ؛ أي النـاصر ، ﴿ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴾ ؛ أي الصاحب والمخالط .

قال المبرِّد : والعشير : المعاشر وهو المخالط . والعشيرة تأويلها : المجتمعة إلى أب واحد . وقولهم : بُرمة[1] أعشار ، إنما هي كسور عن أصل واحد[2] .

= ﴿ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [المائدة :٧٦] . وقد قال لخاتم الرسـل : ﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [الأعراف :١٨٨] . وقال على العموم : ﴿ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ [الزمر :٣٨] .

فالمنفـي في قوله : ﴿ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ ﴾ هو قدرة من سـوى الله على النفع والضر ، فنفى الله فعلهـم ، وأما قوله : ﴿ ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ ﴾ فالمثبت اسـم مضاف إليه فإنّـه لم يقل : يضر أعظم مما ينفـع ، بل قـال : ﴿ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ ﴾ والشيء يضاف إلى الشيء بأدنى ملابسـة ، فقد يضاف إلى محله وزمانه ومكانه وسـبب حدوثه وإن لم يكن فاعلاً كقوله : ﴿ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾ [سبأ :٣٣] ، وكقول الخليل عن الأصنام : ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [إبراهيم :٣٦] فنسب الإضلال إليه . ولا ريب أن بين المعبود من دون الله وبين ضرر عابديه تعلق يقتضي الإضافة . فما يدعى من دون الله هو لا ينفع ولا يضر ، ولكن هو السـبب في دعاء الداعـي له وعبادته إياه . وعبادة ذلك ودعـاؤه هو الذي ضره ، فهذا الضر المضاف إليه غير الضر المنفي عنه . فضرر العابد له بعبادته يحصل في الدنيا والآخرة وإن كان عذاب الآخرة أشد . اهـ .

وقد ارتضى هذا الوجه في الجمع ابن عاشور في التحرير والتنوير ١٧/ ٢١٦ حيث قال : ولما كان الضُّرُّ الحاصل من الأصنام ليس ضراً ناشـئاً عن فعلها بل هو ضر ملابس لهـا أثبت الضر بطريق الإضافة للضمير من دون طريق الإسـناد إذْ قال تعالى : ﴿ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ ﴾ ولم يقل : لمن يضر ولا ينفع ؛ لأن الإضافة أوسـع من الإسـناد فلم يحصل تنافي بين قوله : ﴿ مَا لَا يَضُرُّهُۥ ﴾ وقوله : ﴿ لَمَن ضَرُّهُۥٓ ﴾ . اهـ .

(١) في (أ) : (تُرمه) ، وهو خطأ . والبُرْمة : قدر من حجارة . تهذيب اللغة للأزهري (برم) ١٥/ ٢٢٠ . وفي تهذيب اللغة للأزهري (عشر) ١/ ٤١١ : (والعرب تقول : بُرمة أعشار ؛ أي متكسرة) .

(٢) انظر : تهذيب اللغة (عشر) ١/ ٤١١ ، والصحاح ٢/ ٧٤٧ ، ولسان العرب ٤/ ٥٧٤ .

ولما ذكر الشاك في الدين بالحيرة[١] والرجوع إلى الكفر، وذمه بالخسران وعبادة ما لا ينفعه، ذكر[٢] ثواب المؤمنين فقال:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ الآية.

١٤. قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ﴾. قال ابن عباس: يريد أولياءه وأهل طاعته.

وقال غيره: ﴿يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ﴾؛ فيعطي ما شاء[٣] من كرامته أهل طاعته، وما شاء[٤] من الهوان أهل[٥] معصيته[٦].

وهذا يدل على تكذيب[٧] من[٨] زعم أن المؤمن يدخل الجنة باستيجابة[٩] ذلك على الله بطاعته[١٠]. وعلى تصديق قول[١١] الرسول ﷺ: «لن يدخل الجنة أحدٌ إلا برحمة الله»[١٢].

---

(١) في (ظ): (بالخير).
(٢) في (ظ): (وذكر).
(٣) في (ظ) و(د) و(ع): (وقوله).
(٤) في (ظ): (يشاء)، في الموضعين.
(٥) في (ظ): (لأهل).
(٦) هذا قول الطبري ١٧/ ١٢٥ بنصه.
(٧) (تكذيب): ساقطة من (ظ) و(د) و(ع).
(٨) في (ظ) و(د) و(ع): (أن)، وهو خطأ.
(٩) (باستيجابة) مهملة في (أ) و(ظ) و(د)، والمثبت من (ع).
(١٠) هذا قول المعتزلة. انظر: الملل والنحل للشهرستاني ١/ ٤٥.
(١١) (قول): ساقطة من (ظ).
(١٢) روي هذا الحديث بعدة ألفاظ، أقربها إلى لفظ المصنف رواية الإمام أحمد في مسنده ٢/ ٣٩٠ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
ورواه البخاري في صحيحه في كتاب المرضى، باب تمني المريض الموت ١٠/ ١٢٧، ومسلم في صحيحه في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب لن يدخل أحد الجنة بعمله، بل برحمة الله ٤/ ٢١٧٠ =

ورحمته : إرادته الخير[١] .

١٥ . قوله تعالى : ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ﴾ . أكثر أهل التفسير على أن الهاء في ﴿يَنصُرَهُ﴾ كناية عن محمد ﷺ[٢] .

قال ابن عباس : يريد أن لن ينصر الله محمداً[٣] .

وهو قول قتادة[٤] ، والسدي ، والكلبي[٥] ، وابن زيد[٦] ، واختيار الفرَّاء والزَّجَّاج .

قال الزَّجَّاج : أي من كان يظن أن لن ينصر الله محمداً حتى يظهره على الدين كله فليمت غيظاً ، وهو تفسير قوله : ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾[٧] فليشدد حبلاً في سقفه[٨] ﴿ثُمَّ لْيَقْطَعْ﴾ أي ليمد الحبل حتى ينقطع[٩] فيموت مختنقاً[١٠] .

= بلفظ : (لن يُدْخِل أحداً منكم عمله الجنة قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : ولا أنا . إلا أن يتغمدني الله منه بفضل ورحمة .

(١) هذا تأويل . والصواب أن الرحمة صفة من صفات الله وصف بها نفسه ، ووصفه بها رسوله . فنثبتها لله سبحانه ، من غير تعطيل ولا تحريف ولا تكييف ولا تمثيل .

(٢) الكشف والبيان : للثعلبي ٣/ ٤٨ ب ، وانظر : الطبري ١٧/ ١٢٥ـ١٢٧ .

(٣) رواه الطبري ١٧/ ١٢٦ ، ١٢٧ ، والحاكم في مستدركه ٢/ ٣٨٦ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ١٥ وعزاه للفريابي وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وابن مردويه .

(٤) رواه عبدالرزاق في تفسيره ٢/ ٣٣ ، والطبري ١٧/ ١٢٦ .

(٥) ذكره عن السدي والكلبي الرازي ٢٣/ ١٥ ، وأبو حيان في البحر ٦/ ٣٥٧ .

(٦) رواه الطبري ١٧/ ١٢٦ ، وابن أبي حاتم كما في الدر المنثور ٦/ ١٦ .

(٧) في (ظ) : (من) ، وهو خطأ .

(٨) في (أ) : (شققه) .

(٩) في (ظ) زيادة : (الحبل) ، بعد قوله (ينقطع) ، وليست عند الزَّجَّاج .

(١٠) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٤١٧ .

وقال الفرَّاء : من كان منكم يظن أن الله لن ينصر محمداً[١] بالغلبة حتى يظهر دين الله فليجعل في سماء بيته حبلاً ثم ليختنق ، فذلك قوله : ﴿ ثُمَّ لْيَقْطَعْ ﴾[٢] أي اختناقاً . وفي قراءة عبدالله : (ثم ليقطعه) يعني السبب[٣] .

وعلى هذا القول ، النصر معناه : حسن المعونة وعون المظلوم والإظهار بالغلبة .

ومعنى (فليقطع) فليختنق في قول جميع المفسرين[٤] .

ووجه ما ذكره[٥] الزَّجَّاج والفرَّاء أنه يقطعه بجذبه إياه حتى ينقطع ، فيموت اختناقاً .

وذكر الأزهري وجهاً آخر فقال : أجمع المفسرون على أن تأويل قوله : ﴿ثُمَّ لْيَقْطَعْ﴾ ثم ليختنق ، وهو محتاج إلى شرح يزيد في بيانه ، ومعنى ﴿لْيَقْطَعْ﴾ ليمد الحبل مشدوداً على حلقه مداً شديداً حتى يقطع[٦] حياته ونفسه خنقاً[٧] .

وعلى هذا ، معنى ﴿لْيَقْطَعْ﴾ ليقطع نفسه . والقول هو الأول ، ويدل عليه قراءة عبدالله : (ليقطعه) بالهاء الراجع إلى السبب .

---

(١) العبارة في (ظ) و(د) و(ع) : (أن لن ينصر الله محمداً) ، وما أثبتنا من (أ) هو الموافق لمعاني الفرَّاء .

(٢) في (ظ) و(د) و(ع) زيادة : (فذلك) بعد قوله (ثم ليقطع) ، ولا معنى لها .

(٣) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢١٨ .

(٤) القول بأن معنى (فليقطع) فليختنق في قول المفسرين جميعهم محل نظر ، فقد قيل : (فليقطع) ؛ أي فليقطع النصر أو الوحي عن محمد ﷺ إن تهيأ له ذلك . انظر : إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٩٠ ، والنكت للماوردي ٤/ ١٢ ، وزاد المسير ٥/ ٤١٤ .

(٥) في (أ) : (ذكرناه) ، وهو خطأ .

(٦) في (ظ) : (تنقطع) .

(٧) تهذيب اللغة للأزهري (قطع) ١/ ١٨٨ .

قال الأزهري : والمعنى : فليختنق غيظاً حتى يموت ، فإن الله[١] مظهره ولا ينفعه غيظه[٢] .

قوله تعالى :﴿هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ﴾ ؛ أي صنيعه وحيلته﴿مَا يَغِيظُ﴾ . (ما) بمعنى المصدر ؛ أي هل يذهبن كيده غيظه ؟ ويجوز أن يكون (ما) بمعنى : (الذي) ، والمعنى[٣] : هل يذهبن كيده الذي يغيظه ؟[٤] .

والأول قول الفرَّاء والزَّجَّاج[٥] . ويقال : غظتُ فُلاناً أغيظُه غَيْظاً[٦] .

وروى ثعلب عن ابن الأعرابي : غاظهُ وأغَاظَهُ وغَيَّظه بمعنى واحد[٧] .

وشرح ابن قتيبة هذه الآية على هذا القول بأبلغ بيان فقال : كان قوم من المسلمين لشدة غيظهم وحنقهم على المشركين يستبطؤون ما وعد الله رسوله[٨] من النصر ، وآخرون من المشركين يريدون اتباعه ويخشون أن لا يتم له أمره ، فقال الله : ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ﴾ يعني محمداً ﷺ على مذهب العرب في الإضمار لغير مذكور[٩] ، وهو يسمعني أعده النصر والإظهار والتمكين ، أو كان[١٠] يستعجل به قبل الوقت الذي قضيت أن يكون ذلك فيه : ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ﴾ ؛

---

(١) لفظ الجلالة لم يرد في (د) و(ع) . وفي (ظ) : (فإنه مظهره) .

(٢) تهذيب اللغة للأزهري (نصر) ١٢/ ١٦٠ وفي المطبوع : (ولا ينفعه موته خنقاً) .
وفي اللسان ٥/ ٢١٠ : (ولا ينفعه غيظه وموته خنقاً) . فيظهر أن (غيظه) ساقطة من المطبوع .

(٣) في (ظ) و(د) و(ع) : (وهو المعنى) .

(٤) تفسير الطبري ١٧/ ١٢٨ ، والكشف والبيان للثعلبي ٣/ ٤٨ ب .

(٥) انظر : معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢١٨ ، ومعاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٤١٧ .

(٦) تهذيب اللغة للأزهري (غاظ) ٨/ ١٧٣ نقلاً عن الليث . وهو في العين (غيظ) ٤/ ٤٣٩ .

(٧) تهذيب اللغة للأزهري (غاظ) ٨/ ١٧٣ عن ثعلب ، عن ابن الأعرابي .

(٨) في (أ) : (ورسوله) ، وما أثبتناه هو الموافق للمشكل ٣٥٨ .

(٩) العبارة في (ظ) و(د) و(ع) : (لغيره في الإضمار مذكور) . وهي عبارة غير مفهومة .

(١٠) في (ظ) و(د) و(ع) : (إذ كان) ، وفي المشكل ٣٥٨ : (وإن كان) .

أي بحبل ﴿إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ ؛ يعني سقف البيت ، وكل شيء علاك[١] وأظلك فهو سماء ، والسحاب : سماء ، يقول الله : ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَـٰرَكًا﴾[٢] [ق :٩] ، وقال سلامة بن جندل[٣] يذكر قتل[٤] كسرى النعمان[٥] .

هُوَ المُدْخِلُ النُّعمانَ بيتاً سماؤه

نُحورُ الفُيول[٦] بعد بَيْتٍ مُسَرْدَق[٧]

---

(١) في (أ) : (وكل ما علاك) ، والمثبت هو الموافق للمشكل ٣٥٨ .

(٢) في النسخ جميعها : (وأنزلنا) ، وهو خطأ .

(٣) هو سلامة بن جندل بن عبدعمرو ، من بني كعب بن سعدة التميمي ، أبو مالك . شاعر جاهلي قديم ، وهو من فرسان تميم المعدودين ، في شعره حكمة وجودة ، وهو ممن يصف الخيل فيحسن .
طبقات فحول الشعراء ١/ ١٥٥ ، والشعر والشعراء ١٦٦ ، وخزانة الأدب ٤/ ٢٩ ، والأعلام للزركلي ٣/ ١٠٦ .

(٤) في (أ) : (قبل) ، وفي (د) : (قبل) : بإهمال ثانية . ومهملة في (ظ) و(ع) .

(٥) هو النعمان بن المنذر بن المنذر بن امرئ القيس اللخمي ، أبو قابوس . من أشهر ملوك الحيرة في الجاهلية ، ملك الحيرة بعد أبيه ، وكانت تابعة للفرس ، وهو صاحب إيفاد العرب على كسرى ، نقم عليه كسرى أمراً فعزله وسجنه حتى مات ، وقيل ألقاه تحت أرجل الفيلة فوطئته ، فهلك نحو ١٥ق .هـ .
انظر : الكامل لابن الأثير ١/ ٢٤٦ ، والبداية والنهاية ١/ ١٩٩ ، والأعلام للزركلي ٨/ ٤٣ .

(٦) في (أ) : (القبول) .

(٧) البيت أنشده ابن قتيبة لسلامة في مشكل القرآن ٣٥٨ .
وهو في ديوانه ١٨٤ ، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ١/ ٣٩٩ ، ومنه (المولج) في موضع (المدخل) ، و(صدور) في موضع (نحور) . والطبري ١٥/ ٢٣٨ بمثل رواية أبي عبيدة ، ولسان العرب ١٠/ ١٥٨ وفيه صدور .
وبيت مُسردق : هو أن يكون أعلاه وأسفله مشدوداً كله . لسان العرب (سردق) ١٠/ ١٥٨ ، والقاموس المحيط ٣/ ٢٤٤ .

يعني : سقفه ، وذلك أنه أدخله بيتاً فيه فيلة فتوطأته حتى قتلته[١] . وقوله[٢] : ﴿ثُمَّ لْيَقْطَعْ﴾ . قال المفسرون : ليختنق . وقوله : ﴿فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ﴾[٣] ؛ هل يذهب ذلك ما[٤] في قلبه ؟ .

وفعل هذا رجل وَعَدْتَه شيئاً مرة بعد مرة ، ووكدت على نفسك الوعد[٥] ، وهو يراجعك في ذلك ، ولا تسكن نفسه إلى قولك ، فتقول له : إن كنت لا تثق بما أقول ، فاذهب فاختنق[٦] . تريد : اجهد جهدك . هذا معنى قول المفسرين . انتهت الحكاية عنه[٧] .

ومعنى : ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ﴾ إلى آخر الآية ، إنما أمر بالخنق لا على وجه الإلزام ، ولكن[٨] إشارة إلى أنه لا حيلة له ، وليس يتوصل إلى تقديم النصر قبل وقته ، وإخراج ما يظن من[٩] أن محمداً -عليه السلام- لا ينصر عن قلبه فلم يبق له[١٠] إلَّا الخنق ليستريح[١١] من غيظه بتأخر النصر عن محمد ﷺ كما قال الشاعر :

إنْ كنتَ لا ترضى بما قد ترى[١٢] فدونكَ الحبلُ به فاختنق[١٣]

---

(١) في (أ) : (فيه قبله) ، انظر : قصة قتل كسرى للنعمان في الكامل لابن الأثير ١/ ٢٨٧-٢٨٩ ، وخزانة الأدب للبغدادي ٣/ ٣٨٣-٣٨٦ .

(٢) في (أ) : (قوله) .

(٣) من بعد (فلينظر) ساقط من (ظ) و(د) و(ع) .

(٤) في (ظ) : (مما) .

(٥) في (ظ) و(د) و(ع) : (الوعيد) ، وهو خطأ .

(٦) في (أ) : (واختنق) .

(٧) مشكل القرآن لابن قتيبة ٣٥٨ ، ٣٥٩ مع اختلاف يسير .

(٨) في (ظ) و(د) و(ع) : (لكن) .

(٩) (من) : زيادة من (أ) .

(١٠) (له) : ليست في (ظ) و(د) و(ع) .

(١١) في (أ) : (لتستريح) .

(١٢) في (أ) : (إن كنت لا ترى بما قد ترضى) ، وهو خطأ .

(١٣) لم أهتد لهذا البيت .

أي لا سبيل إلى تغييره[١] ، فإنْ غاظك ما تراه ولا ترضاه فخذ الحبل واختنق حتى تستريح .

وذُكر أنَّ هذه الآية نزلت في قوم من أسد وغطفان[٢] تباطؤوا عن الإسلام ، وقالوا نخاف أن لا ينصر محمد فينقطع الذي بيننا وبين حلفائنا من اليهود فلا يميروننا[٣] ولا يؤوننا ، فنزلت هذه الآية ذماً لهم على هذا الظن ، واستعجالهم ما[٤] قد وعدهم[٥] الله[٦] .

ولابن زيد طريق آخر في تفسير هذه الآية ، وهو أن جعل السماء في قوله : ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ السماء المعروفة ، وقال : معناه : من كان يظن[٧] أن لن ينصر الله نبيه ، ويكايده[٨] في أمره ، فليقطع ذلك من أصله من حيث يأتيه ، فإن

---

(١) مهملة في (أ) .

(٢) أسد : قبيلة عظيمة ، تنسب إلى أسد بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، وهذه ذات بطون كثيرة .
انظر : جمهرة أنساب العرب لابن حزم ١١ ، ٤٧٩ ، ونهاية الأرب في معرفة أنساب العرب للقلقشندي ٤٧ ، ٤٨ ، ومعجم قبائل العرب لكحالة ١/ ٢١ .
وغطفان : بطن عظيم متسع كثير الأفخاذ ، وهم بنو غطفان بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان .
انظر : الجمهرة ٢٤٨ ، ونهاية الأرب ٣٤٨ ، ومعجم قبائل العرب لكحالة ٣/ ٨٨٨ ، ٨٨٩ .

(٣) يميروننا : يعني : يجلبوا لنا الطعام . لسان العرب (مير) ٥/ ١٨٨ .

(٤) في (ظ) : (بما) .

(٥) في (أ) : (وعده) .

(٦) ذكره الطبري ١٧/ ١٢٨ من غير سند ، وذكره ابن الجوزي ٥/ ٤١٢ عن مقاتل . وهو في تفسير مقاتل ٢/ ٢١ أ .

(٧) في (أ) : (نظر) ، وهو خطأ .

(٨) في (أ) : (لكابده) .

أصله في السماء ، فذلك قوله : ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ﴾ عن النبي ﷺ الوحي الذي يأتيه من الله ، فلينظر هل يقدر على إذهاب[١] غيظه بهذا الفعل ؟[٢] .

وهذا التفسير لا يوافق معنى قوله : ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ اللَّهُ﴾[٣] ؛ لأن من ظن ذلك لا يقال له : إن كنت تظن أنه غير منصور فاقطع النصر عنه . ولو كان أول الكلام : من يغيظه أن ينصره الله ، أو ما أشبه هذا ؛ حج[٤] تفسير ابن زيد ، وليس في أوائل[٥] الآية : من أراد أن يكايده ، أو يقطع النصر عنه ، أو شيء من هذا المعنى الذي بنى ابن زيد تفسير باقي الآية عليه .

هذا الذي ذكرنا كله على قول من يقول : الهاء في ﴿يَنصُرَهُ﴾ كناية عن النبي ﷺ .

ومذهب مجاهد والضحاك[٦] : أن الهاء كناية عن (من) في قوله : ﴿مَن كَانَ﴾ .

---

(١) في (أ) : (ذهاب) .

(٢) ذكر عنه بهذا اللفظ الثعلبي في الكشف والبيان ٣/ ٤٨ ب .
وقد رواه الطبري ١٧/ ١٢٦ ، وابن أبي حاتم كما في الدر المنثور ٦/ ١٦ بنحوه .

(٣) في (أ) : (بنصر الله) ، وهو خطأ .

(٤) في (أ) : (أصح) ، وهو خطأ .

(٥) في (ظ) و(د) و(ع) : (أواخر) .

(٦) يظهر أن الواحدي اعتمد في نسبة هذا القول على الطبري ، فقد قال الطبري في تفسيره ١٧/ ١٢٧ ، وقال آخرون : الهاء في (ينصره) من ذكر (من) . . . ثم قال الطبري : ذكر من قال ذلك . ثم ذكر الطبري آثاراً عن مجاهد وغيره ، ثم قال ١٧٥/ ١٢٨ : حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ﴾ : بحبل ﴿إِلَى السَّمَاءِ﴾ يعني : سماء البيت . اهـ .
والنص كما ترى ليس فيه ما يدل على أن الضحاك يرى أن الهاء عائدة إلى (من) .
وقد جاء عن الضحاك ما يخالف ما نسب إليه ، فقد روى عبد بن حميد وابن المنذر كما في الدر المنثور ٦/ ١٦ عنه في الآية قال : من كان يظن أن لن ينصر الله محمداً ، فليجعل حبلاً في سماء بيته ، فليختنق به ، فلينظر هل يغيظ ذلك إلا نفسه ؟ .

قال مجاهد : ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ﴾ ؛ أن لن يرزقه الله[١] .

وهذا القول هو اختيار أبي عبيدة ، قال : ﴿أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ﴾ ؛ أن لن يرزقه[٢] . قال : ووقف علينا رجل من بني أبي بكر[٣] بن كلاب فقال : من ينصرني نصره الله . أي من يعطيني أعطاه الله . وأنشد للراعي :

أبوك الذي أجْدى عليَّ بَنَصْرِهِ فأنْصت عنّي بعده كُلَّ قائل[٤]

وأصل هذا من قولهم : نصرت السماء أرض كذا ، إذا سَقَتْها[٥] .

---

(١) رواه الطبري ١٧/ ١٢٧ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ١٥ وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر .

(٢) في (د) و(ع) : ﴿أَن لَّن يَنصُرَهُ﴾ أن لن يرزقه .

(٣) في المطبوع من المجاز ٢/ ٤٦ : بني بكر ، وأشار المحقق إلى أنه في نسخة : بني أبي بكر . وما ذكره الواحدي هنا من قوله : (ابن كلاب) ليس في المجاز لأبي عبيدة ، فيحتمل أن يكون السائل من بني أبي بكر كما وقع في إحدى نسخ المجاز ، وكما نسبه الواحدي إلى بني أبي بكر بن كلاب ، وهو كما قال ابن الأثير في تهذيب الأنساب ١/ ١٧٠ نسبة إلى أبي بكر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، واسمه عبيد ، ينسب إليه كثير . اهـ .
ويحتمل أن يكون السائل من بني بكر كما وقع في بعض نسخ المجاز وهو كما قال ابن الأثير (١٧٠٨) : نسبة إلى بكر بن وائل ، أبو بكر بن عبدمناة من كنانة بن خزيمة ، أو بكر بن عوف بن النخع .
وقد وقع عند ابن الجوزي ٥/ ٤ ، والرازي ٢٣/ ١٧ ، وأبي حيان ٣/ ٣٥٧ ، والشنقيطي ٥/ ٥١ : من بني بكر .

(٤) البيت أنشده أبو عبيدة في مجاز القرآن ٢٥/ ٤٦ ، ٤٧ .
وهو في ديوانه ٢٠٩ من أبيات يمدح بها يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ، وفيه (فأسكت) في موضع (فأنصت) . والاشتقاق لابن دريد ١١٠ وفيه : (فأسكت) .
وهو من غير نسبة في تهذيب اللغة للأزهري ١٢/ ١٥٥ ، واللسان ٢/ ٩٩ ، وتاج العروس (نصت) ٥/ ١٢٣ .

(٥) انظر : تهذيب اللغة (نصر) ١٢/ ١٦٠ ، والصحاح ٢/ ٨٢٩ ، ولسان العرب ٥/ ٢١١ .

قال أبو عبيد : نُصِرَت البلاد ، فهي منصورة . ونُصِر القوم ، إذا غِيثُوا[١] . وأنشد[٢] :

من كان أخْطاه الربيع فإنَّما نُصِرَ الحجاز بغَيث عبدالواحد[٣]

قال ابن قتيبة على هذا القول : كأنه يريد من كان قانطاً من رزق الله ورحمته فليفعل ذلك الذي ذكره[٤] من الاختناق ، ولينظر هل يذهب كيده -أي حيلته- غيظه لتأخر الرزق عنه ؟[٥] .

وقوله : ﴿مَايَغِيظُ﴾ ؛ يعني حنقه أن لا يرزق . وهذا ذم على سوء الظن بالله .

وفي قوله : ﴿ثُمَّ لْيَقْطَعْ﴾ قراءتان : كسر اللام وتسكينها[٦] .

والأصل[٧] الكسر عند الابتداء ، فإذا تقدمها الواو والفاء أو (ثم)[٨] فمن أسكن مع الفاء[٩] والواو ؛ فلأنهما[١٠] يصيران كشيء من الكلمة نفسها ؛ لأن

---

(١) هكذا في النسخ جميعها واللسان لابن منظور ٥/ ٢١١ . وفي المطبوع من تهذيب الأزهري : (أعيثوا) .

(٢) في (أ) : (وأنشد الشاعر فقال) .

(٣) قول أبي عبيد وإنشاده في تهذيب اللغة للأزهري ١٢/ ١٥٩ ، ١٦٠ منسوباً إليه . والبيت لابن ميادة يمدح عبدالواحد بن سليمان بن عبدالملك . وهو في ديوانه ١١٢ ، والوحشيات (الحماسة الصغرى) لأبي تمام ٢٧٠ ، وفيه : (يجود) في موضع (يغيث) . ومن غير نسبة في تهذيب اللغة للأزهري (نصر) ١٢/ ١٦٠ ، والمخصص لابن سيدة ٩/ ١٢١ ، واللسان (نصر) ٥/ ٢١١ .

(٤) في (أ) : (ذكر) .

(٥) مشكل القرآن لابن قتيبة ٣٦٠ . وليس فيه : الذي ذكره من الاختناق .

(٦) قرأ أبو عمرو ، وابن عامر ، وورش عن نافع : (ثم ليقطع) بكسر اللام ، وقرأ الباقون بسكون اللام : (ثم ليقطع) . السبعة ٤٣٤ ، ٤٣٥ ، والتبصرة ٢٦٥ ، والتيسير ١٥٦ ، والإقناع ٢/ ٧٠٥ .

(٧) في (ظ) و(د) و(ع) : (فالأصل) .

(٨) في (أ) : (وثم) ، والمثبت من باقي النسخ هو الموافق لما في الحجة .

(٩) في (أ) : (مع الواو والفاء) .

(١٠) في (ظ) : (فإنهما) ، وهو خطأ .

كل واحد منهما لا ينفرد بنفسه . فسكن اللام ، كما ذكرنا في من سكن (وهي) (فهي)[١][٢] . وأما (ثم) فإنه ينفصل بنفسه ويسكت عليه ، فليس في هذا كالفاء والواو [ولهذا لم يسكن أبو عمرو بعد (ثم) . ومن سكن بعده شبه الميم من (ثم) بالواو والفاء][٣] وجعله كقولهم : (أراك[٤] منتفخاً) . وعلى هذا قول العجاج :

فَبَاتَ مُنْتَصْباً وما تَكَرْدَسا[٥][٦]

(١) في (أ) : (وفي) ، وهو خطأ .

(٢) في الحجة للفارسي ٥/ ٢٧٠ : وقبل ذلك قولهم : ﴿وَهِيَ﴾ [هود :٤٢] ، ﴿فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ﴾ [البقرة :٧٤] .

(٣) ساقط من (ظ) و(د) و(ع) .

(٤) في (أ) و(د) : (اذاك) ، وفي (ظ) و(ع) : (اداك) ، والتصويب من الحجة ٥/ ٢٧٠ .

(٥) في (أ) : (بكردشا) .

(٦) هذا الشطر من الرجز للعجاج بهذه الرواية (منتصباً) في الحجة للفارسي ١/ ٤٠٨ ، ٥/ ٢٧٠ ، والخصائص لابن جني ٢/ ٣٣٨ ، وفي اللسان (نصب) ١/ ٧٥٨ من غير نسبة .
وروايته في ديوان العجاج ١٣٠ ، وتهذيب اللغة (كردس) ١٠/ ٤٢٣ ، واللسان (كردس) ٦/ ١٩٥ : (فبات منتصباً وما تكردسا) . ولا شاهد فيه على هذه الرواية . وهو يصف فيها حماراً وحشياً ، وبعده :
إذا أحس نبأة توجساً
قال الأصمعي في شرحه لديوان العجاج ١٣٠ : (قوله (منتصباً) أي منتصباً . والمكردس : الذي قد رمى بنفسه .

وهذا مما تقدم الكلام فيه . ومن قرأ بعض هذا بالسكون وبعضه بالحركة[١] من : ﴿ثُمَّ لْيَقْطَعْ﴾ ﴿ثُمَّ لْيَقْضُواْ﴾ ، ﴿وَلْيُوفُواْ﴾ ، ﴿وَلْيَطَّوَّفُواْ﴾ [الحج :٢٩] ، فإنه أخذ بالوجهين لاجتماعهما في الجواز[٢] .

١٦ . وقوله : ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ ؛ أي ومثل ذلك . يعني ما تقدم من آيات القرآن[٣] . وإن شئت قلت : وهكذا . وهو مذهب مقاتل بن سليمان[٤] . ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾ ؛ أنزلنا القرآن .

﴿ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ . قال ابن عباس : يريد لأهل التوحيد . ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ﴾ ؛ أي وأنزلنا إليك أن الله يهدي . قال ابن عباس : يعني[٥] يرشد إلى دينه ﴿مَن يُرِيدُ﴾ .

وهذا الآية دليل على أن مِلاك الهدى والضلالة منوط بالإرادة تكذيباً للقدرية .

---

(١) قرأ بعض هذا بالسكون وبعضه بالحركة : أبو عمرو ، وابن عامر في غير رواية ابن ذكوان ، وورش عن نافع ، وابن كثير في رواية قنبل .
فقرأ أبو عمرو ، وابن عامر ، وورش عن نافع : (ثم ليقطع) و(ثم ليقضوا) بكسر اللام ، ووافقهم في (ليقضوا) وحدها ابن كثير في رواية قنبل .
ووافق هؤلاء المتقدمون بقية القراء في قراءة (وليوفوا) و(وليطوفوا) بإسكان اللام . أمَّا رواية ابن ذكوان عن ابن كثير فبالكسر في المواطن الأربعة .
السبعة ٤٣٤ ، ٤٣٥ ، والمبسوط لابن مهران ٢٥٧ ، والتبصرة ٢١٥ ، والتيسير ١٥٦ ، والنشر ٢/ ٣٢٦ .

(٢) من قوله : (والأصل) إلى هنا هذا كلام الفارسي في الحجة ٥/ ٢٦٩ ، ٢٧٠ مع تصرف . انظر : علل القراءات للأزهري ٢/ ٤٢٠ ، ٤٢١ ، وإعراب القراءات السبع وعللها لابن خالويه ٢/ ٧٣ ، وحجة القراءات لابن زنجلة ٤٧٣ ، ٤٧٤ .

(٣) انظر : البغوي ٥/ ٣٧١ ، وزاد المسير لابن الجوزي ٥/ ٤١٤ ، ٤١٥ .

(٤) تفسير مقاتل ٢/ ٢١ أ .

(٥) في (ظ) : (يريد) .

١٧. قوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ الآية . تقدم الكلام في تفسير هؤلاء الفرق المذكورة[١] إلى قوله : ﴿وَٱلْمَجُوسَ﴾ .

قال الأزهري : والمجوس معرب ، أصله : منْج كُوش ، وكان رجلاً صغير الأذنين ، هو أول من دان بدين المجوس ، ودعاهم إلى المجوسية ، فعربته[٢] العرب فقالت : مجوس ، وربما تركت العرب صرف مجوس تشبيهاً بالقبيلة وذلك أنه اجتمع فيه التأنيث والعجمة ، ومنه قوله[٣] :

كنَارِ مَجُوس تَسْتَعرُ اسْتِعارا

(١) انظر : البسيط ١/ ٧٥٦ ، ٥٧ أ ، ب أزهرية .

(٢) في (ظ) و(د) و(ع) : (فعربت) .

(٣) هذا عجز بيت أنشده الأزهري في تهذيب اللغة ١٠/ ٦٠٢ من غير نسبة وهو للتوأم اليشكري ، أجاز به شعراً قاله امرؤ القيس ، وكان امرؤ القيس قد نازع التوأم وقال له : إن كنت شاعراً فملط (التمليط : أن يقول الشاعر نصف بيت ويتمه الشاعر الآخر . القاموس المحيط (ملط) ٢/ ٣٨٧) أنصاف ما أقول وأجزها ، فقال التوأم : نعم ، فقال امرؤ القيس :

أصاح أريك برقاً هب وهنا

ويروى :

أحارِ ترى بُريقاً هب وهنا

فقال التوأم :

كنَارِ مَجُوس تَسْتَعرُ اسِتْعَاراً

وهذا البيت مع الخبر في ديوان امرئ القيس ١٧٤ من رواية الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء ، وفي لسان العرب (مجس) ٦/ ٢١٣ ، وتاج العروس للزبيدي (ملط) ٢٠/ ١٢٣ .

ونسب سيبويه في الكتاب ٣/ ٢٥٤ ، والجوهري في الصحاح (مجس) ٣/ ٩٧٧ البيت لامرئ القيس . وهو من غير نسبة في كتاب ما ينصرف وما لا ينصرف للزَّجَّاج ٨٢ ، والمذكر والمؤنث لابن الأنباري ٢/ ١٣٩ ، وتاج العروس للزبيدي (مجس) ١٦/ ٤٩٦ .

وقد تمجَّس الرجل إذا دان[١] بدين المجوس، ومَجَّس غَيره إذا علَّمه دين المجوسية[٢].

وقال غير الأزهري: المجوس، يقال: إنهم سموا بذلك لأن الميم جُعلت بدلاً من النون، كان يقال لهم النجوس[٣] لنجاستهم وتدينهم باستعمال النجاسة، وقد تعتقب الميم النون مثل الغيم[٤] والغين والأيم والأين[٥].

والقول ما ذكره الأزهري.

قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ﴾؛ يعني مشركي العرب.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾. قال أبو إسحاق: خبر (إن) الأولى جملة الكلام مع (إن) الثانية[٦].

يعني قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ﴾.

---

(١) في (أ): (كان)، وهو خطأ.

(٢) تهذيب اللغة للأزهري (مجس) ١٠/ ٦٠١، ٦٠٢.
انظر: الصحاح للجوهري (مجس) ٣/ ٩٧٧، ولسان العرب (مجس) ٦/ ٢١٣ـ٢١٥.

(٣) في (ظ) و(ع) و(د): (المجوس)، وهو خطأ.

(٤) في (أ): (الغنم والغنن)، وهو خطأ.

(٥) لم أجد من ذكر هذا القول في ما وقفت عليه من المصادر اللغوية. وقد ذكره باختصار السمين الحلبي في الدر المصون ٨/ ٢٤٥ ولم ينسبه لأحد. والغيم والغين: السحاب. والأيم والأين: الحية.
انظر: الإبدال والمعاقبة والنظائر للزَّجَّاج ١٠٠، والإبدال لأبي الطيب اللغوي ٢/ ٤٢٣، ٤٣٤.

(٦) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٤١٧.

قال الفرَّاء : وربما قالت العرب : إن أخاك إن الدين عليه لكثير . فيجعلون (إن) في خبره . وأنشد :

إن الخليفة إن الله سربله . . . البيت[١]

وهذا كما ذكرنا[٢] في قوله : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾ [الكهف :٣٠] .

قال الفرَّاء : وإنما جاز هذا لأن الاسمين قد اختلفا ، فحسن رفض الأول وجعل الثاني كأنه هو المبتدأ ، فحسن لاختلاف اسمي[٣] (إن) ، ولا يجوز : إنك إنك[٤] قائم ، ولا : إن أباك إنه قائم ؛ لاتفاق الاسمين[٥] .

---

(١) كلام الفرَّاء وإنشاده في معاني القرآن له ٢/ ٢١٨ . والبيت لجرير من قصيدة يمدح بها عبدالعزيز بن عبدالوليد بن عبدالملك بن مروان ، وتتمته :

سِرْبال ملك به تُرْجَى الخواتيمُ

وهو في ديوانه ٢/ ٦٧٢ وروايته فيه : يكفي الخليفة أن الله سربله ، ولا شاهد فيه على ذلك .
وخزانة الأدب ١٠/ ٣٦٤ـ٣٦٨ وعجزه عنده :

لباس ملك به تُرْجى الخواتيم

قال البغدادي ١٠/ ٣٦٤ : سربله : ألبسه ، يتعدى لمفعولين أولهما ضمير الخليفة ، والثاني اللباس بمعنى الثوب . . . وتُرجى ـ بالزاي والجيم ـ والإرجاء : السوق . والخواتيم : جمع خاتام لغة في الخاتم . يريد إن سلاطين الآفاق يرسلون إليهم خواتمهم خوفاً منه ، فيضاف ملكهم إلى ملكه . ويروى (ترجى) بالراء المهملة من الرجاء . وهذه الرواية أكثر من الأولى .

(٢) في (ع) : (ذكره) ، وهو خطأ .

(٣) في (أ) : (إسم) .

(٤) إنك (الثانية) : ساقطة من (ظ) .

(٥) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢١٨ مع تصرف واختلاف في العبارة .

قال الزَّجَّاج : وليس بين البصريين خلاف في أن (إن)[١] تدخل على كل ابتداء وخبر ، تقول : إن زيداً إنه قائم[٢] .

فأجاز أبو إسحاق ما استقبحه الفرَّاء ولم يجزه .

وقال صاحب النظم : لما قال ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ وما تبع ذلك[٣] من الكلام وطال صارت (إن) كأنها مُلغاة لتباعدها عن خبرها[٤] فأعاد[٥] ذكرها عند الجواب ؛ ليعلم أن الجواب متصل بالابتداء توكيداً للشرح . قال : ويجوز أن يكون إنما وجب أن يقدم ذكر الله -عز وجل- في مبتدأ الخبر[٦] على نظم : إن الله يفصل[٧] يوم القيامة بين الذين آمنوا والذين هادوا . فلما قدم ذكرهم في الابتداء أعاد ذكر اسمه بالتقديم ليدل على أن وضع مبتدأيه[٨] على هذا النظم .

معنى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ﴾ . قال ابن عباس : يقضي بينهم يوم القيامة .

وفسر الزَّجَّاج هذا الفصل والقضاء بين هؤلاء الفرق بإدخال المؤمنين الجنة والآخرين النار ، واحتج بقوله بعد هذا : ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ﴾ . وقوله : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ الآية .

وقوله : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ من أعمال هؤلاء الفرق .

---

(١) (إن) : ساقطة من (ظ) .
(٢) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٤١٨ .
(٣) (ذلك) : ساقطة من (ظ) و(د) و(ع) .
(٤) في (أ) : (حيزها) .
(٥) في (أ) : (وأعاد) .
(٦) في (أ) : (الخير) . وهو تصحيف .
(٧) في (ظ) زيادة (بينهم) بعد قوله : (يفصل) .
(٨) في (أ) : (مبتدأ به) .

قال ابن عباس : شـــهيد على ما في قلوبهم عالم به . وقال أهل المعاني : إن الله -عز وجـــل- يفصل بين الخصوم في الدين يوم القيامة بما يضطر إلى العلم بصحة الصحيح فيبيض وجه المحق ويسود وجه المبطل[١] .

ومعنى الشهيد : العليم بما شاهده ، والله -عز وجل- يعلم كل شيء قبل أن يكون بأنه علام الغيوب .

١٨. قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ ﴾ ألم تعلم ؛ لأن المـــراد الرؤية بالقلب والفعل . وقد ذكرنا هذا في قوله : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ ﴾ [البقرة :٢٤٣] الآية .

وقولـــه : ﴿ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ قـــال الفرَّاء : يعني أهل الســـموات ، ﴿وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ قال : يعني كل خلق [من الجبال ومن الجن وأشباه ذلك[٢] .

وقوله : ﴿وَٱلشَّمْسُ﴾ إلى قوله : ﴿ وَٱلدَّوَآبُّ ﴾ وصف الله -تعالى- هذه الأشياء كلها][٣] بالسجود ، واختلفوا في معنى سجود هذه الأشياء ، والصحيح أن المراد بســـجودها خضوعها وذلتها وانقيادها لمولاها في ما[٤] يريد منها[٥] . وهذا القول هو اختيار الزَّجَّاج والنحاس .

قال الزَّجَّاج : السجود هاهنا الخضوع لله ، وهو طاعة مما خلق الله من الحيوان والموات ، فالســـجود هاهنا سجود طاعة . واحتج بقوله تعالى : ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴾ [فصلت :١١][٦] .

---

(١) انظر : القرطبي ١٢/ ٢٣ فقد ذكر هذا القول مختصراً بمعناه ، وصدره بقول : قيل .

(٢) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢١٩ .

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) .

(٤) في (أ) : (بما) .

(٥) بل الصحيح ما قاله الأزهري في تهذيب اللغة ٤/ ٣٤٠ بعد ذكره لهذه الآية : فسجود هذه المخلوقات عبادة منها لخالقها لا نفقهها عنها كما لا نفقه تسبيحها . اهـ .

(٦) معاني القرآن ٣/ ٤١٨ .

وقال النحاس : هذا القول صحيح بيِّن ، فكل شيء منقاد لله -عز وجل- على ما خلقه ، وعلى ما رزقه ، وعلى ما أصحه وعلى ما أسقمه ، وليس هذا سجود العبادة[١] .

وقال قوم : إن السجود من هذه الأشياء التي هو موات ومن الحيوان الذي لا يعقل إنما هو أثر الصنعة فيها والتسخير والتصوير الذي يدعو العارفين إلى السجود لله عز وجل[٢] .

وهذا القول ؛ كالأول لأن تسخيرها وأثر الصنعة فيها لخضوعها وذلتها لخالقها ، ويدل على أن غير العاقل يوصف بسجود الخضوع قول الشاعر[٣] :

ترى الأكْمَ فيها سُجَّداً للحَوافِرِ

---

(١) من قوله : وقال قوم . . إلى قوله : أثر الصنعة فيها . منقول عن معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٤١٨ .
ومن قوله : والتسخير . . .إلخ منقول عن الكشف والبيان للثعلبي ٣/ ٤٩ أ .

(٢) القطع والائتناف للنحاس ٤٨٩ .

(٣) هذا عجز بيت لزيد الخيل ، وصدره :
بجيش تضلُّ البُلْق في حَجَراته
وهو في ديوانه ٦٦ ، وتأويل مشكل القرآن ٣٢٢ ، والمعاني الكبير ٢/ ٨٩٠ كلاهما لابن قتيبة ، والطبري ٢/ ٢٤٢ ، والكامل للمبرِّد ٢/ ٢٠١ ، والرواية عندهم : (منه) في موضع (فيها) .
وهو من غير نسبة في معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٤١٨ ، والأضداد لابن الأنباري ٢٩٥ ، والصحاح للجوهري (سجد) ٢/ ٤٨٣ ، واللسان (سجد) ٣/ ٢٠٦ . والرواية عندهما : فيها .
والبلق : جمع بلقاء ، والبلقاء : هي الفرس التي يكون فيها بلق يعني : سواد وبياض . أو البلقاء : الفرس التي ارتفع التحجيل فيها إلى الفخذين . و(حجراته) : نواحيه . والأكم : جمع أكمة ، وهي التل أو الموضع يكون أشد ارتفاعاً مما حوله .
انظر : لسان العرب (بلق) ١٠/ ٢٥ ، و(حجر) ٤/ ١٦٨ ، والقاموس المحيط ٣/ ٢١٤ ، ٤/ ٧٥ .
قال ابن قتيبة في المعاني الكبير ٢/ ٨٩ : يقول : إذا ضلت البلق فيه مع شهرتها فلم تعرف فغيرها أحرى أن تضل ، يصف كثرة الجيش ، ويريد أن الأكم قد خشعت من وقع الحوافر .

أي خشعت من وطي الحوافر عليها . هذا الذي ذكرنا مذهب أرباب المعاني[١] .

وقال مجاهد : سجود الجماد وكل شيء سوى المؤمنين تحول ظلالها كما قال : ﴿وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ﴾ [الرعد :١٥][٢] .

قال أهل المعاني : كأنه يجعل ذلك لما فيه من العبرة بتصريف الشمس في دورها عليه سجوداً[٣] .

وقال أبو العالية : ما في السماء نجم ولا شمس ولا قمر إلَّا يقع لله ساجداً حين يغيب ، ثم لا ينصرف حتى يؤذن له فيرجع إلى مطلعه[٤] .

وعلى هذا ، فكل شيء مما خلقه[٥] الله -تعالى- يسجد لله حقيقة السجود ، ويدل عليه قوله عز وجل : ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة :٧٤] وقوله : ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ﴾ [الأنبياء :٧٩] إلَّا أنا لا نعلم كيفية ذلك ، وقد قال الله تعالى : ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء :٤٤] .

---

(١) نسب الثعلبي في الكشف والبيان ٣/ ٤٩ أ هذا القول لأرباب الحقائق .

(٢) ذكره عن مجاهد الثعلبي ٣/ ٤٩ أ وبنحوه رواه الطبري ١٧/ ١٣٠ . وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ١٧ ونسبه أيضاً لعبد بن حميد وابن المنذر .

(٣) ذكره الطوسي في التبيان ٧/ ٢٦٨ ، والجشمي في التهذيب ٦/ ١٧١ ب من غير نسبة لأحد .

(٤) ذكره الثعلبي ٣/ ٤٩ أ ، ورواه الطبري ١٧/ ١٣٠ . وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ١٨ ونسبه أيضاً لعبد بن حميد وابن المنذر .

(٥) في (ظ) و(د) و(ع) : (خلق) .

وقال أربـاب الأصول : الجمادات لا تعقل ولا تميز فـإن حدثت لها حالة[١] في التمييز فذلك[٢] بأن الله -تعالى- يحدث لهـا في تلك الحالة عقلاً وتمييزاً ، وإلَّا فالتمييز منها محال ما دامت على حقيقة صنعتها الأولى .

قوله تعالى : ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ يعني المؤمنين الذين يسجدون لله تعالى . ﴿وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ﴾ بكفـره وهو مع ذلك يسـجد لله ظله ، قاله مجاهد[٣] . فعلى هذا ، قوله : ﴿وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ﴾ من جملة الساجدين .

قال قوم : تم الكلام في وصف الساجدين عند قول : ﴿وَٱلدَّوَآبُّ﴾ ، ثم ابتدأ فقال : ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾[٤] .

روى ابن الأنباري عن ابن عباس أنه قال : وكثير من الناس في الجنة[٥] .

وقال في رواية عطاء : وكثير من الناس يوحده وليس كلهم ، وكثير حق عليه العذاب ممن لا يوحده[٦] .

وعلى هذا يصح الوقف عـلى ﴿ٱلدَّوَآبِّ﴾ ، ثم ابتدأ بذكر فريقي الجنة والنار والإيمان والكفر .

---

(١) في (ظ) و(د) و(ع) : (حال) .

(٢) في (ظ) و(د) و(ع) : (فذاك) .

(٣) الكشـف والبيان للثعلبي ٣/ ٤٩ أ عن مجاهد بنصه . وقد رواه الطبري ١٧/ ١٣٠ . وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ١٧ ، وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر .

(٤) انظر : المكتفى في الوقف والابتدا للداني ٣٩٣ .

(٥) رواه ابـن الأنبـاري في كتابه إيضـاح الوقف والابتـداء ٢/ ٨٧٢ . وذكره القرطبـي ١٢/ ٢٤ عن ابـن عباس من رواية ابن الأنباري . وذكره أبو عمرو الداني في كتابه المكتفى في الوقف والابتدا ٣٩٣ عن ابن عباس .

(٦) ذكره الرازي ٢٣/ ٢٠ من رواية عطاء ، عن ابن عباس .

وقال آخرون : التمام عند قوله : ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ ، وانقطع ذكر الساجدين ثم ابتدأ فقال : ﴿وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ﴾ أي بإبائه وامتناعه من السجود ، وهؤلاء غير داخلين في جملة الساجدين[١] .

قال الفرَّاء : قوله ﴿حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ﴾ يدل على أن المعنى : وكثير أبى السجود ؛ لأنه لا يحق عليه العذاب إلَّا بتركه السجود[٢] .

وهذا القول هو اختيار نافع والكسائي وأبي حاتم[٣] ، وهو أن الوقف على ﴿ٱلنَّاسِ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ . قال الفرَّاء : يريد من يُشقْهِ الله فما له من مُسْعد[٤] . وكذا روي عن ابن عباس[٥] .

وقال في رواية عطاء : ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ﴾ يريد[٦] : من تهاون بعبادة الله[٧] .

يعني أن تهاونه بعبادة الله [من إهانة الله][٨] إياه وطرده ، ﴿فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ﴾ يريد أن مصيره إلى النار وليس إلى الكرامة كما يُكْرم أولياؤه[٩] .

---

(١) انظر : إيضاح الوقف والابتداء لابن الأنباري ٢/ ٧٨٢ ، والقطع والائتناف للنحاس ٤٨٨ ، ٤٨٩ ، ومنار الهدى في بيان الوقف والابتداء للأشموني ٢٥٥ .

(٢) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢١٩ .

(٣) ذكره عنهم النحاس في القطع والائتناف ٤٨٨ .

(٤) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢١٩ .

(٥) انظر : تنوير المقباس ٢٠٧ .

(٦) (يريد) : ساقطة من (ظ) ، وفي (د) و(ع) : (يريد : ومن يهن الله) من تهاون .

(٧) ذكره عنه القرطبي ١٧/ ٢٤ .

(٨) ما بين المعقوفين ساقط من (ظ) .

(٩) قال الطبري ١٧/ ١٣٠ : ﴿فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ﴾ بالسعادة يسعده بها .

وقوله : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ ؛ أي في خلقه من الإهانة والكرامة والشقاء والسعادة .

١٩. وقوله تعالى : ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ﴾ يعني : الفرق الخمسة الكافرة والمؤمنين ، وهم الذين ذكروا في قوله : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ الآية . فالخصم : اسم للواحد وللجميع ، فقوله ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ﴾ كالفئتين ، لذلك قال : ﴿خَصْمَانِ﴾ لأنهما جمعان . قاله الزَّجَّاج[١] .

وزاد الفرَّاء : وليسا برجلين ، ولو قيل : اختصما كان صواباً ، ومثله : ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ﴾ [الحجرات :٩] يذهب إلى الجمع ، ولو قيل : اقتتلتا لجاز[٢] .

وذكرنا معنى الاختصام عند قوله : ﴿وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا﴾ [النساء :١٠٥] .

وقوله : ﴿فِي رَبِّهِمْ﴾ ؛ أي في دين ربهم .

قال الكلبي : وذلك أن اليهود والنصارى قالوا نحن أولى بالله منكم يا معشر المسلمين ؛ لأن نبينا قبل نبيكم ودينا قبل دينكم وكتابنا قبل كتابكم . فقال المسلمون : بل نحن أولى وأحق بالله ، آمنا بكتابنا ونبينا ونبيكم ، وكفرتم أنتم بنبينا حسداً . فكان هذا خصومتهم في ربهم[٣] .

---

(١) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٤١٩

(٢) معاني القرآن للفرَّاء ١/ ٢٢٠ .

(٣) روى الطبري ١٧/ ١٣٢ عن عاصم والكلبي أنهما قالا : أهل الشرك والإسلام حين اختصموا أيهم أفضل . وذكر الثعلبي في الكشف والبيان ٣/ ٤٩ أ عن الكلبي قال : هم المؤمنون والكافرون .

هذا قول مجاهد والحسن[١] ، وابن عباس في رواية عطاء[٢] ، وأكثر المفسرين[٣] ، واختيار الزَّجَّاج[٤] والفرَّاء[٥] ، وقالوا : الخصمان هم المؤمنون والكافرون .

وروي عن أبي ذر وعلي -رضي الله عنهما- أنهما قالا : نزلت هذه الآية في الذين بارزوا يوم بدر من الفريقين ، وكان من المسلمين حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث[٦] ، ومن الكفار عتبة وابنه الوليد وشيبة ابنا ربيعة[٧] ، وأقسم أبو ذر أن هذه الآية نزلت في هؤلاء الستة[٨] .

---

(١) رواه الطبري ١٧/ ١٣٢ عن مجاهد والحسن قالا : هم المؤمنون والكافرون .

(٢) لم أجد من ذكره من رواية عطاء ، لكن رواه الطبري ١٧/ ١٣٢ من رواية العوفي بنحو ما ذكره الواحدي هنا عن الكلبي . وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٢٠ وعزاه لابن جرير وابن مردويه .

(٣) انظر : الطبري ١٧/ ١٣٢ ، والكشف والبيان ٣/ ٤٩ أ ، والدر المنثور ٦/ ٢٠ .

(٤) انظر : معاني القرآن ٣/ ٤١٩ فقد ذكر نحو رواية الكلبي .

(٥) انظر : معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢١٩ ، فقد ذكره نحو رواية الكلبي .

(٦) هو عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبدمناف بن قصي ، القرشي ، المطلبي . أحد السابقين الأولين . أسلم قديماً ، وكان مع النبي ﷺ بمكة ، ثم هاجر ، وشهد بدراً وبارز فيها وأصيب في المبارزة ، فاحتمل وبه رمق ، ثم توفي بالصفراء -قرية بين المدينة وينبع- في العشر الأخير من رمضان سنة اثنين من الهجرة رضي الله عنه . وكان ابن ثلاث وستين سنة .
طبقات ابن سعد ٣/ ٥٠ ، والاستيعاب ٣/ ١٠٢٠ ، وأسد الغابة ٣/ ٣٥٦ ، وسير أعلام البنلاء ١/ ٢٥٦ ، والإصابة ٢/ ٤٤٢ .

(٧) هو شيبة بن ربيعة بن عبدشمس ، أحد زعماء قريش في الجاهلية ، أدرك الإسلام ولم يسلم ، وناصبه العداء ، قتله حمزة -رضي الله عنه- يوم بدر بعد مبارزته .
السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٣٥٦ ، والبداية والنهاية ٣/ ٢٧٧ ، والأعلام للزركلي ٣/ ١٨١ .

(٨) روى البخاري في كتاب التفسير ، سورة الحج ، باب ﴿هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡ﴾ ٨/ ٤٤٣ ، ومسلم في كتاب التفسير ، باب في قوله تعالى ﴿هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡ﴾ ٤/ ٢٣٢٣ عن أبي ذر -رضي الله عنه- أنه كان يقسم قسماً إن هذه الآية ﴿هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡ﴾ نزلت في حمزة وصاحبه وعتبة وصاحبيه يوم برزوا في بدر .
وروى البخاري في كتاب المغازي ، باب قتل أبي جهل ٧/ ٢٩٧ ، والنسائي في تفسيره ٢/ ٨٥ عن علي -رضي الله عنه- قال : فينا نزلت هذه الآية ﴿هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡ﴾ .

والظاهر هو الأول للإشارة بقوله : ﴿هَٰذَانِ﴾ إلى الفئتين المذكورتين في قول : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ الآية[١] .

وروي عن عكرمة أنه قال : الخصمان هما الجنة والنار[٢] . وهذا ليس بالقوي ولا المرضي[٣] .

ثم بيَّن الله -تعالى- حال الفريقين فقال : ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ . قال ابن عباس : يعني أهل الخمسة الأديان[٤] .

﴿قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ﴾ . قال الأزهري : أي[٥] : خيطت وسويت وجعلت لبوساً لهم[٦] .

قال ابن عباس : يريد حين صاروا إلى جهنم لبسوا المقطعات ؛ مقطعات النيران[٧] .

---

(١) واختاره الطبري ١٧/ ١٣٣ . قال ابن كثير ٣/ ٢١٢ : وقول مجاهد وعطاء أن المراد بهذه الكافرون والمؤمنون يشمل الأقوال كلها ، وينتظم فيه قصة بدر وغيرها ، فإن المؤمنين يريدون نصرة دين الله عز وجل ، والكافرون يريدون إطفاء نور إيمان وخذلان الحق وظهور الباطل ، وهو اختيار ابن جرير وهم حسن ، ولهذا قال فالذين كفروا . . . اهـ .

(٢) رواه الطبري ١٧/ ١٣٢ ، ١٣٣ .

(٣) قال الألوسي في روح المعاني ١٧/ ١٣٤ : وأما ما قيل من أن المراد بهذين الخصمين الجنة والنار فلا ينبغي أن يختلف في عدم قبوله خصمان أو ينتطح فيه كبشان .

(٤) ذكره القرطبي ١٢/ ٢٦ بمعناه من غير نسبة .

(٥) (أي) : ساقط من (ظ) و(د) و(ع) .

(٦) تهذيب اللغة للأزهري (قطع) ١/ ١٨٨ .

(٧) ذكره عنه بمعناه ابن الجوزي ٥/ ٤١٧ ، وذكره البغوي ٨/ ٣٧٤ وصدره بقوله : وقال بعضهم . وذكره القرطبي ١٢/ ٢٦ من غير نسبة .

قال شمر : المقطعات من الثياب كل ثوب يقطع ثم يخاط[١] .

وهذا القول هو الصحيح في تفسير المقطعات[٢] .

قال أبو إسحاق : وجاء في التفسير أن الثياب التي من (نار)[٣] من نحاس قد أذيب[٤] . وهذا الذي ذكره هو قول سعيد بن جبير[٥] .

وقوله : ﴿يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ﴾ . الحميم[٦] الماء الحار . وأحمَّ نفسه إذا غسلها بالماء الحار ، ومثله استحم إذا اغتسل بالحميم . [والحمام مشتق من الحميم . والمحم : الإناء الذي يسخن فيه الماء .][٧] والحميم عند ابن الأعرابي من الأضداد يكون الماء الحار والبارد[٨] .

---

(١) قول شمر في تهذيب اللغة للأزهري (قطع) ١/ ١٨٨ ، ١٨٩ .

(٢) قول ابو حيان ٦/ ٣٦ والظاهر ان هذا المقطع من النار .

(٣) في (أ) : (من النار) ، والمثبت من باقي النسخ وهو الموافق لما في المعاني .

(٤) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٤١٩ .

(٥) رواه الطبري ١٧/ ١٣٣ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٢١ وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم .

(٦) (الحميم) : زيادة من (ظ) و(د) و(ع) .

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من (ظ) .

(٨) تهذيب اللغة للأزهري (حم) ٤/ ١٥ وبعضه عن الليث ، وبعضه عن الأصمعي . والقائل : والحميم عن ابن الأعرابي . . . . هو الأزهري .
انظر : العين (حم) ٣/ ٣٣ ، والأضداد لابن الأنباري ١٣٨ ، والصحاح للجوهري (حمم) ٥/ ١٩٠٥ ، ولسان العرب (حمم) ١٢/ ١٥٣ ، ١٥٤ .

قال رسول الله ﷺ : «إنَّ الحميمَ ليصبُّ على رؤوسهم فينفذ[١] الجمجمة ، حتى يخلص إلى جوفه ، فيسلت[٢] ما في جوفه ، حتى يبلغَ[٣] قدميه ، وهو الصهر ، ثم يعاد كما كان»[٤] .

وقال ابن عباس : لو سقطت منه نقطة على جبال الدنيا لأذابها[٥] .

والذي ذكر في الخبر هو معنى

٢٠. قوله : ﴿ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴾ .

قال الليث : الصهر : إذابة الشحم ، والصهارة ما ذاب منه ، ويقال صهرته فاصطهر ، ويقال للحرباء[٦] إذا تلألأ ظهرها[٧] من شدة الحر قد صَهَرَهُ الحر واصطهر الحرباء[٨] .

---

(١) ينفذ : أي يخرق ويجوز . الفائق في غريب الحديث للزمخشري ٢/ ٢٩٦ ، وغريب الحديث لابن الجوزي ٢/ ٤٢٤ .

(٢) فيسلت : أي يقطع ويستأصل . لسان العرب (سلت) ٢/ ٤٥ .

(٣) في (ظ) و(ع) و(د) : زيادة (إلى) .

(٤) رواه الإمام أحمد في مسنده ٢/ ٣٧٤ والترمذي في أبواب صفة جهنم ، باب ما جاء في صفة شراب أهل النار ٧/ ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، والطبري في تفسيره ١٧/ ١٣٣ ، ١٣٤ ، وابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير ٣/ ٢١٢ ، والحاكم في مستدركه ٢/ ٣٨٧ ، وأبو نعيم في الحلية ٨/ ١٨٢ ، ١٨٣ من طريق أبي السمح ، عن أبي حجيرة ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ ، به . قال الألباني في تخريج أحاديث مشكاة المصابيح ٣/ ١٥٨١ . وإسناده ضعيف .

(٥) ذكره عنه الزمخشري في الكشاف ٣/ ٩ ، والرازي في تفسيره ٢٣/ ٢٢ .

(٦) في (أ) : (للحوباء) ، وهو خطأ .
والحِرْباء : دويبة ذات قوائم أربع ، دقيقة الرأس ، مخططة الظهر ، تستقبل الشمس بنهارها . قال له الأزهري في تهذيب اللغة (حرب) ٥/ ٢٤ .

(٧) في تهذيب اللغة : (ظهره) . ولعله أصوب لأن الحرباء ذكر أم حبين ، انظر : الأزهري .

(٨) تهذيب اللغة للأزهري (صهر) ٦/ ١٠٩ نقلاً عن الليث . وهو في العين (صهر) ٣/ ٤١٢ . مع اختلاف يسير جداً ، وفيه : إذا تلألأ ظهره .

وقال ابن السكيت : يقال صهرته الشمس إذا اشتد وقعها عليه[١] .

وأنشد أبو عبيدة[٢] وغيره[٣] لابن أحمر[٤] :

تَرْوي[٥] لَقَىً أُلْقِيَ في صفصفٍ تصهــرهُ الشــمسُ فــما ينصهرُ[٦]

وقال أبو زيــد في قوله : ﴿يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ﴾ هــو الإحراق ، صَهَرتُه بالنار[٧] أصهره أنضجه[٨][٩] .

---

(١) تهذيب اللغة للأزهري (صهر) ٦/ ١٠٩ عن ابن السكيت .

(٢) مجاز القرآن ٢/ ٤٨ .

(٣) الطبري ١٧/ ١٣٤ . والثعلبي في الكشف والبيان ٣/ ٤٩ ب .

(٤) في (ظ) و(د) و(ع) : (ابن الأحمر) .

(٥) في النسخ جميعها : (تردي) ، والتصويب من مجاز القرآن والطبري ، وغيرهما .

(٦) البيت أنشده أبو عبيدة لابن أحمر في مجاز القرآن ٢/ ٤٨ .
وهــو في ديوان ابن أحمــر ٦٨ ، والأضداد لابن الأنباري ١٦٥ ، ومقاييــس اللغة لابن فارس (لقى) ٥/ ٢٦١ وعنــده : (تؤوي) في موضع (تروي) ، والصحاح للجوهــري (صهر) ٢/ ٧١٧ ، (روى) ٦/ ٢٣٦٤ ، ولسان العرب (صهر) ٤/ ٤٧٢, ومن غير نسبة في الطبري ١٧/ ١٣٤ .
وهــو من أبيات لــه يصف فيها فرخ قطــاة . وقوله : (تروي) : تســقي ، قال أبو عبيــدة : تصير له راوية . . .كما رواية القــوم عليهم . اهـ . (لقى) قال ابن الأنباري : اللقــى : الشيء الملقى لا يلتفت إليه ، فشبه الفرخ به . اهـ .
و(صفصف) : الصفصف المستوي من الأرض . قاله الفيروزآبادي ٣/ ١٦٣ .
(تصهره الشمس فما ينصهر) قال الجوهري : أي تذيبه الشمس فيصبر على ذلك .

(٧) في (ظ) : (النار) .

(٨) في (أ) : (نضجته) ، وفي تهذيب اللغة : (أنضجته) .

(٩) قول أبي زيد في تهذيب اللغة للأزهري (صهر) ٦/ ١٠٩ .

ونحو هذا قال الكسائي في تفسير الصهر : إنه الإحراق والإنضاج[١] . قال قتادة : يُذاب[٢] بذلك الحميم ما في بطونهم[٣] .

وهذا عبارة الفرَّاء[٤] ، وهو معنى الحديث الذي ذكرنا . وهو قول مجاهد[٥] . ولفظ ابن عباس في رواية نافع بن الأزرق[٦] . وقال ابن عباس في رواية عطاء : ينضج .

وذكر[٧] الأزهري عن أهل التفسير : يُغلي به ما في بطونهم حتى يخرج من أدبارهم[٨] .

وهذا هو اختيار الزَّجَّاج[٩] . وهو من قولهم صهرته الشمس ، إذا اشتد وقعها عليه .

فمعنى ﴿يُصْهَرُ﴾ : يُنضج ، ويُحرَّق ، ويُذَاب ، ويُغْلى . كل هذا صحيح مروي . والمعنى : أن أمعاءهم وشحومهم تذاب وتحرق بهذا الحميم ، وتنشوي جلودهم فتتساقط من حره[١٠] .

---

(١) لم أقف عليه .

(٢) في (أ) : (بدأت) ، وهو خطأ .

(٣) رواه عبدالرزاق في تفسيره ٢/ ٣٤ ، والطبري ١٧/ ١٣٥ .

(٤) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٢٠ .

(٥) رواه الطبري ١٧/ ١٣٤ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٢٢ وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٦) روى ابن الأنباري والطستي في مسائله كما في الدر المنثور ٦/ ٢٢ عن ابن عباس أن نافع بن الأزرق سأله عن قوله (يصهر) قال : يذاب .

(٧) في (أ) : (وذكرنا) ، وهو خطأ .

(٨) تهذيب اللغة للأزهري ٦/ ١٠٩ .

(٩) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٤١٩ .

(١٠) انظر : الكشف والبيان للثعلبي ٣/ ٤٩ ب .

٢١. وقوله: ﴿وَلَهُم مَّقَمِعُ مِنْ حَدِيدٍ﴾. قال الليث: المقمعة: شبه الجُرز[١] من الحديد والعمد يضرب بها الرأس وجمعها المقامع[٢][٣]. وأنشد[٤]:

ويمشي معد حوله بالمقامع

وأصله من قولهم: قمعت رأسه إذا ضربته ضرباً عنيفاً.

قال أبو عبيد: يقال: قمعت الرجل وأقمعته، بمعنى واحد[٥].

قال الضحاك في قوله[٦]: ﴿وَلَهُم مَّقَمِعُ مِنْ حَدِيدٍ﴾: هي المطارق[٧].

وقال ابن عباس: يريد أن زبانية جهنم تقمعهم بمقامع الحديد يضربونهم بها كلما أرادوا أن يخرجوا منها[٨].

---

(١) في (أ): (الجوز)، وفي (ظ): (الحر)، وفي (د): (الحرز)، وفي (ع): (الحرر)، وفي تهذيب اللغة ٧/ ٢٩٣: الجرزة، والصواب ما أثبتنا.
والجُرْز (بالضم، وبضمتين) كما قال الزبيدي في تاج العروس ١٥/ ٥٢ قال الأزهري في تهذيب اللغة (جرز) ١٠/ ٦٩ هو عمود من حديد.
ونقل الأزهري عن الليث قال: والجُرز من السلاح، والجميع: الجِرَزَة.

(٢) في (أ): (مقامع)، والمثبت من باقي النسخ والعين والتهذيب.

(٣) قول الليث في العين ١/ ١٨٩، وهو في تهذيب اللغة للأزهري (قمع) ١/ ٢٩٣ من غير نسبة.

(٤) هذا الشطر أنشده الليث في العين (قمع) ١/ ١٨٥ ولم ينسبه لأحد.
وذكره الفيروزآبادي في بصائر ذوي التمييز ٤/ ٢٩٧ نقلاً عن الليث، ولم ينسبه.
وفي المطبوع من البصائر: وتمشي معد.

(٥) قول أبي عبيد في تهذيب اللغة للأزهري (قمع) ١/ ٢٩١.

(٦) في النسخ جميعها: (قولهم).

(٧) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه ١٣/ ١٦٦. وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٢٢ وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن أبي حاتم.

(٨) (منها): ساقطة من (أ).

وقال الحسن : إن[١] النار ترميهم بلهبها ، إذا كانوا في أعلاها ضربوا بمقامع فهووا فيها سبعين خريفاً ، فإذا انتهوا إلى أسفلها ضربهم زفير لهبها فلا يستقرون ساعة[٢] .

٢٢. فذلك قوله : ﴿ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا مِنۡ غَمٍّ ﴾ ؛ يعني : كلما حاولوا الخروج من النار لما يلحقهم من الغم والكرب الذي أخذ بأنفاسهم ، حتى ليس لها مخرج ردوا إليها بالمقامع .

قال المفسرون : إن جهنم لتجيش[٣] بهم ، فتلقيهم إلى أعلاها ، فيريدون الخروج ، فيردهم الخزان فيها[٤] . وهذا كما قال الحسن .

ويقول لهم الخزنة : ﴿وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ﴾ . والحريق : الاسم من الاحتراق . قال أبو إسحاق : وهذا لأحد الخصمين .

٢٣. وقال في الخصم الذين هم المؤمنون : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾[٥] وهي مفسرة في سورة الكهف إلى قوله : ﴿ وَلُؤۡلُؤٗا ﴾ وهو ما يستخرج من البحر من جوف الصدف ، واللؤلؤ[٦] كباره ، والمرجان صغاره . ويجوز فيه تخفيف الهمزتين[٧] ويجوز تخفيف إحداهما وتحقيق الثانية[٨] .

---

(١) في (ظ) و(د) و(ع) : (من) ، وهو خطأ .

(٢) ذكره عنه ابن الجوزي ٥/ ٤١٧ ، وذكره الزمخشري في الكشاف ٣/ ٩ والرازي ٢٣/ ٢٢ إلى قوله : سبعين خريفاً .

(٣) تجيش : أي تغلي وترتفع ، لسان العرب (جيش) ٦/ ٢٧٧ .

(٤) انظر : الطبري ١٧/ ١٣٥ ، والكشف والبيان للثعلبي ٣/ ٤٩ ب .

(٥) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٤١٩ .

(٦) في (ظ) و(د) و(ع) : (فاللؤلؤ) .

(٧) في (ظ) و(د) و(ع) : (الهمزة) .

(٨) انظر : الحجة للفارسي ٥/ ٢٦٨ ، وإعراب القراءات السبع وعللها لابن خالويه ٢/ ٧٣ .
فقد ذكرا ذلك . قال ابن خالويه : والأصل الهمز . =

والمعنى : أنهم يحلون أساور من ذهب ومن لؤلؤ . أي منهما ؛ بأن يُرصع اللؤلؤ في الذهب . وقرئ ﴿وَلُؤْلُؤًا﴾ بالنصب[١] على : ويحلون لؤلؤاً . ويجوز أن يحمل على موضع الجار والمجرور ؛ لأن موضعهما نصب ، ألا ترى أن معنى ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ﴾ [يحلون فيها أساور][٢] . فحمله على الموضع[٣] .

وقوله : ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ يعني أنهم يلبسون في الجنة ثياب[٤] الإبريسم[٥] ، وهو الذي حرم لبسه في الدنيا على الرجال . قال رسول الله ﷺ : «من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة»[٦] .

٢٤. قوله تعالى : ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ ؛ أي أرشدوا إلى الطيب من القول .

= قال ابن خالويه : العربية تحتمل همزتهما ، وترك الهمز فيهما ، وهمز إحداهما ذلك كله جائز ، والأصل الهمز ، وتركه تخفيف بالواو .

(١) قرأ نافع وعاصم ﴿وَلُؤْلُؤًا﴾ بالنصب ، وقرأ الباقون (ولؤلؤ) بالخفض .
السبعة ٤٣٥ ، والتبصرة ٢٦٦ ، والتيسير ١٥٧ .

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) .

(٣) من قوله : (والمعنى) : أنهم يحلون أساور . .إلى هنا نقلاً عن الحجة للفارسي ٥/ ٢٦٨ مع اختلاف يسير .
انظر : إعراب القراءات السبع وعللها لابن خالويه ٢/ ٧٣ ، وحجة القراءات لابن زنجلة ٤٧٤ .

(٤) في (أ) : (لباب) ، وهو خطأ .

(٥) الإبريسم : نوع من الحرير . القاموس المحيط ٤/ ٧٩ .

(٦) رواه البخاري في كتاب اللباس ، باب لبس الحرير للرجال ١٠/ ٢٨٤ ، ومسلم في كتاب اللباس والزينة ، باب تحريم استعمال . . . والحرير على الرجل . . . . ٣/ ١٦٤١ ، ١٦٤٢ من حديث ابن الزبير : سمعت عمر يقول : قال النبي ﷺ . . . فذكره .
ورواه البخاري في الموطن السابق ، ومسلم في الكتاب والباب السابقين ٣/ ١٦٤٥ من حديث أنس رضي الله عنه .

قال ابن عباس : يريد لا إله إلَّا الله والحمد لله[١] . وزاد ابن زيد : والله أكبر[٢] .

وقال السدي : إلى القرآن[٣] .

﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ﴾ إلى الإسلام ، وهو دين الله وطريقه[٤] . والحميد : المحمود في أفعاله[٥] .

٢٥. قوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ . قال الفرَّاء : رد يفعلون على فعلوا[٦] ؛ لأن المعنى : أن الصد منهم كالدائم فاختير له يفعلون ، كأنك قلت : إن الذين كفروا[٧] من شأنهم الصد ، ومثله قوله : ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم﴾ [الرعد :٢٨] قال : وإن شئت[٨]

---

(١) ذكره عنه ابن الجوزي ٥/ ٤١٨ ، والقرطبي ١٢/ ٣٠ ، وأبو حيان ٦/ ٣٦١ . وذكره البغوي عنه ٥/ ٣٧٦ من دون قوله الحمد لله . وذكره الرازي ٢٣/ ٢٢ عنه من رواية عطاء : هو قولهم ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعۡدَهُۥ﴾ .

(٢) رواه الطبري ١٧/ ١٣٦ ، وذكره الثعلبي ٣/ ٥٠ أ .

(٣) ذكره عنه البغوي ٥/ ٣٧٦ ، وابن الجوزي ٥/ ٤١٨ . والرازي ٢٣/ ٢٢ ، وأبو حيان ٩/ ٣٦١ بنفس عبارة الواحدي .
قال أبو حيان ٦/ ٣٦١ : والطيب من القول إن كانت الهداية في الدنيا فهو قول لا إله إلَّا الله والأقوال الطيبة من الأذكار وغيرها ، ويكون الصراط طريق الإسلام ، وإن كان إخباراً عما يقع منهم في الآخرة فهو قولهم : (الحمد لله الذي صدقنا وعده) وما أشبه ذلك من محاورة أهل الجنة .

(٤) انظر : الطبري ١٧/ ١٣٦ ، فعلى هذا القول ، معنى صراط الحميد ؛ أي طريق الله ـ تعالى ـ الذي دعا عباده إليه .

(٥) والحميد : اسم من أسماء الله . واستظهر هذا القول أبو حيان ٦/ ٣٦١ .
وقال ابن عطية ١٠/ ٢٥٣ ، بعد ذكره للقول الأول : ويحتمل أنه يريد بالحميد الطريق نفسها ، فأضاف إليه على حد إضافته في قوله تعالى : ﴿وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ [يوسف :١٠٩] . اهـ .

(٦) أي عطف (يصدون) على (كفروا) .

(٧) عند الفرَّاء ٢/ ٢٢١ : إن الذين كفروا [و] من شأنهم الصد . زيادة واو .

(٨) في (أ) : (إن شئت) .

قلــت : رد[١] يفعلون على فعلوا ، لأن معناهمــا كالواحد فلو قيل : إن الذين كفروا وصدوا ، لم يكن فيه ما يسأل عنه[٢] .

وهذا معنى قول الكســائي : إن الذين كفروا ويصدون ، ولم يقل وصدوا ، وهي هيئة[٣] ، يعني أنه بمعنى الماضي .

ونحو هذا قال الزَّجَّاج : لفظ المســتقبل عطف به[٤] على الماضي ، لأن معنى ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ الذين هم كافرون ، وكأنه قال : إن الكافرين والصادين[٥] .

فهؤلاء جعلوا لفظ المستقبل هاهنا بمنزلة الماضي .

قال أبو علي : المعنى عندي أن الذين كفروا وصدوا [فلما كان المعطوف عليه ماضيــاً دل على أن المراد بالمضارع أيضاً المــاضي ، ويقوي هذا قوله : ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [محمــد :١] . قال : ويجوز أن يكون المضارع على بابه كأنه قال : إن الذين كفروا في ما مضى وهــم الآن يصدون مع ما تقدم من كفرهم . والأول كأنه أقوى . والإرادة بمثال المضارع الماضي مذهب ســيبويه ؛ لأنه قال[٦] : ويقع يفعل في موضع فعل في بعض المواضع وأنشد الشاعر[٧] فقال :

ولقد أمـرُّ علـى اللئيــمِ يسبني فمضيتُ ثمتَ قلتُ : لا يعنيني[٨]

---

(١) (رد) : ساقطة من (ظ) .

(٢) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٢٠ ، ٢٢١ مع اختلاف .

(٣) (هيئة) : مهملة في (ظ) و(د) و(ع) .

(٤) في (ظ) و(د) : (به عطف) .

(٥) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٤٢٠ .

(٦) الكتاب ٣/ ٢٤ .

(٧) في (أ) : (وأنشد) ، والمثبت من باقي النسخ .

(٨) البيت أنشــده سيبويه في الكتاب ٣/ ٢٤ منســوباً لرجل مولد من بني ســلول ، وكذلك في المقاصد النحوية للعيني ٤/ ٥٨ وفيه : وأعف ثم أقول ما . . . ، وتحصيل عين الذهب للشنتمري ١/ ٤١٦ . =

على معنى : ولقد مررت . انتهت الحكاية عن أبي علي[١] .

وذكرنا هذا وبيانه عند قوله : ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَـٰطِينُ﴾ الآية [البقرة :١٠٢] .

قوله تعالى : ﴿وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَـٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَـٰكِفُ فِيهِ﴾ . [قال أبو إسحاق : ﴿جَعَلْنَـٰهُ لِلنَّاسِ﴾[٢]] وقف التمام ، ومعنى ﴿جَعَلْنَـٰهُ لِلنَّاسِ﴾ كما قال : ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران :٩٦] ، ويكون ﴿سَوَآءً ٱلْعَـٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ﴾ رفعاً على الابتداء والخبر[٣] .

وهذا معنى قول الفرَّاء : جعل الفعل -يعني جعلناه- واقعاً على الهاء واللام التي في الناس ، ثم استأنف وقال : ﴿سَوَآءً ٱلْعَـٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ﴾ .

قال : ومن شأنِ العرب أن يستأنفوا بسواء[٤] إذا جاءت بعد حرف قد تم به الكلام ، فيقولون : مررت برجل سواءٌ عنده الخير والشر . والخفض جائز . وإنما اختاروا الرفع لأن سواء بمعنى واحد . ولو قلت : مررت على رجل واحد عنده الخير والشر لرفعت[٥] .

= ونسبه الأصمعي في الأصمعيات ١٢٦ لشمر بن عمرو الحنفي ، وروايته فيها : (مررت) في موضع (أمر) ، ولا شاهد فيهما على هذه الرواية .
والبيت بلا نسبة في معاني القرآن للأخفش ١/ ٣٢٣ ، والطبري ٢/ ٣٥١ وروايته فيه : فمضيت عنه وقلت : لا يعنيني ، والخصائص لابن جني ٣/ ٣٣٠ . انظر : الخزانة ١/ ٣٥٧ .

(١) لم أجده بنصه . انظر : الحجة ٣/ ٣٥ .

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ظ) .

(٣) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٤٢٠ .

(٤) في (أ) : (السواء) ، وهو خطأ .

(٥) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٢٢ . والعبارة الأخيرة فيه : لأن سواء في مذهب واحد ، كأنك قلت : مررتُ على رجل واحدٌ عند الخير والشر . وليس فيه لرفعت .

قال أبو علي : قوله : ﴿جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ﴾ ؛ أي مستقراً ومنسكاً[١] ومتعبداً . والمعنى على أنه نصبه لهم منسكاً ومتعبداً[٢] كما قال : ﴿وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾ ، وقوله : ﴿سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ﴾ رفع على أنه خبر ابتداء مقدم ، المعنى : العاكف والبادي فيه سواء . ومن نصب فقال (سواء[٣]) أعمل المصدر عمل[٤] اسم الفاعل فرفع (العاكف)[٥] [به كما يرفع بمستواه لو قال : مستوياً فيه العاكف والباد . فرفع العاكف][٦] بمستوٍ كذلك يرفعه بسواء . والأكثر الرفع في نحو هذا وأن لا تجعل هذا النحو من المصدر بمنزلة اسم الفاعل في الإعمال . ووجه إعماله أن المصدر قد يقام مقَام اسم الفاعل في الصفة في نحو : رجل عدل . فيصير عدل كعادل[٧] .

قال المفسرون في قوله : ﴿ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ﴾ : خلقناه وبنيناه[٨] للناس كلهم لم يخص به منهم بعضاً دون بعض[٩] .

---

(١) في (أ) : (أو منسكاً) .

(٢) في (أ) : كررت جملة : (والمعنى أنه نصب لهم منسكاً ومتعبداً) .

(٣) قرأ حفص عن عاصم : ﴿سَوَآءً﴾ نصباً ، وقرأ الباقون (سواء) رفعاً .
السبعة ٤٣٥ ، والتبصرة ٢٦٦ ، والتيسير ١٥٧ .

(٤) في (ظ) و(ع) : (على) ، وهو خطأ .

(٥) في الحجة ٥/ ٢٧١ : (فرفع العاكف فيه كما يرفع) .

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) .

(٧) الحجة لأبي علي الفارسي ٥/ ٢٧٠ـ٢٧٢ . مع اختلاف يسير وتقديم وتأخير انظر : علل القراءات للأزهري ٢/ ٤٢٣ ، وإعراب القراءات وعللها لابن خالويه ٢/ ٧٤ .
وذكر مكي بن أبي طالب وأبو شامة وجهاً آخر في قراءة النصب ، قال أبو شامة : ويجوز أن يكون حالاً من الهاء في ﴿جَعَلْنَٰهُ﴾ ، و﴿لِلنَّاسِ﴾ هو المفعول الثاني ؛ أي جعلناه لهم في حال استواء العاكف والبادي فيه .
الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي ٢/ ١١٨ ، وإبراز المعاني لأبي شامة ٦٠٤ .

(٨) هكذا في النسخ جميعها . وفي الكشف والبيان للثعلبي : (جـ٣ل ٥٠أ) المنقول منه النص ، والبسيط ٣/ ٢٦٥ : (بنيناه) .

(٩) الكشف والبيان للثعلبي ٣/ ٥٠ أ ، انظر : الطبري ١٧/ ١٣٧ .

﴿سَوَآءً ٱلْعَـٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ﴾ . قال ابن عباس : يريد الحاضر ، والبادي : الذي يأتيه من البلاد ، هم فيه سواء[١] .

وقال سفيان : العاكف فيه المقيم ، والبادي : الذي ينتابه[٢] .

[وقال قتادة : العاكف أهله ، والبادي غيرهم[٣] .

وقال السدي : العاكف المقيم فيه من أهل البلد ، والبادي الذي ينتابه][٤] من غير أهله .

وقال عطاء : العاكف أهل مكة ، والبادي من أتاه من أرض غربة[٥] .

وقال الفـرَّاء : العاكف من كان من أهل مكة ، والبادي من نزع إليه بحج أو عمرة[٦] .

وقال الزَّجَّاج : العاكف المقيم بها ، والبادي النازع إليها من أي بلد كان[٧] .

وقال ابن قتيبة : البادي الطارئ من البدو[٨] .

---

(١) روى ابن أبي حاتم كما في الدر المنثور ٦/ ٢٤ عن ابن عباس : (العاكف) أهل مكة (والباد) من كان من غير أهلها .

(٢) انظر : المحرر لابن عطية ١٠/ ٢٥٦ عن سفيان الثوري .

(٣) رواه عبدالرزاق في تفسيره ٢/ ٣٤ ، والطبري ١٧/ ١٣٧ .

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (ظ) .

(٥) رواه الطبري ١٧/ ١٣٨ بمعناه .

(٦) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٢١ .

(٧) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٤٢١ .

(٨) غريب القرآن لابن قتيبة ٢٩١ .

ومعنى البادي : النازع إليه من غربة . من قولهم : قد بدا القوم ؛ إذا خرجوا من الحضر إلى الصحراء . والمسافر باد وهو خلاف الحاضر[١] .

واختلفوا في أن العاكف والباد في إيش[٢] يستويان ؟ .

فذهب[٣] الأكثرون إلى أنهما يستويان في سكنى مكة والنزول بها ، فليس أحدهما بأحق بالمنزل يكون فيه من الآخر .

وقال عبدالرحمن بن سابط : العاكف فيه ومن يجئ من الحجاج والمعتمرين سواء في المنازل غير أن لا يخرج أحد من بيته[٤] .

وهذا قول ابن عباس ، وقتادة ، وسعيد بن جبير ، وابن زيد ، وأبي صالح[٥] .

ومن مذهب هؤلاء : أن كراء دور مكة وبيعها حرام لقوله تعالى : ﴿سَوَآءً ٱلْعَـٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ﴾ فجعل الطارئ كالمقيم فيه ، فليس أحد أحق بمنزلة من أحد إلَّا أن يكون سبق إلى منزل .

قال أبو علي : واستواء العاكف والبادي فيه دلالة على أن[٦] أرض الحرم لا تملك ، ولو ملكت لم يستويا فيه ، وصار العاكف فيها[٧] أولى بها من البادي

---

(١) انظر : لسان العرب (بدا) ١٤/ ٦٧ .

(٢) غير منقوطة في (أ) . ومعنى إيشٍ : أي شيء .

(٣) في (ظ) : (فذكر) .

(٤) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه ٤/ ٧٩ ، ٨٠ ، ورواه الطبري ١٧/ ١٣٧ بنحوه .

(٥) روى الطبري ١٧/ ١٣٧ هذا القول عن هؤلاء جميعاً .
وذكره الثعلبي في الكشف والبيان ٣/ ٥٠ أعنهم سوى قتادة .

(٦) (أن) : ساقطة من (ظ) و(د) .

(٧) في (ظ) : (فيه) .

لحق ملكه ، ولكن سبيلها كسبيل المساجد الذي من سبق إليها كان أولى [بالمكان لسبقه ، وسبيل المباح الذي من سبق إليه كان أولى][١] به[٢] .

وهذا مذهب ابن عمر ، قال : سواء أكلت مُحرَّماً أو كراء دار مكة[٣] .

وعلى قول هؤلاء ، المسجد الحرام في هذه الآية معناه الحرم كله كقوله : ﴿ٱلَّذِىٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ﴾ [الإسراء :١] وقد مر .

وقال آخرون[٤] : معنى ﴿سَوَآءً ٱلۡعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلۡبَادِ﴾ في تفضيله وتعظيم حرمته وإقامة المناسك به[٥] .

وهو مذهب مجاهد[٦] والحسن[٧] ، وقول من أجاز بيع[٨] دور مكة .

وعلى قول هؤلاء ، المراد بالمسجد الحرام عين المسجد الذي يصلى فيه اليوم .

قال إسماعيل بن إسحاق القاضي : فظاهر القرآن يدل على أن المسجد الذي يكون فيه قضاء النسك وقضاء الصلاة ، وكان المشركون يمنعون المسلمين عن الصلاة في المسجد الحرام والطواف فيه ، ويدعون أنهم أربابه وولاته[٩] ، وفي هذا نزل قوله تعالى : ﴿أَجَعَلۡتُمۡ سِقَايَةَ ٱلۡحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ﴾ الآية [التوبة :١٩] .

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ظ) .
(٢) الحجة لأبي علي الفارسي ٥/ ٢٧١ .
(٣) ذكره عنه الثعلبي في الكشف والبيان : (جـ٣ل ٥٠أ) .
(٤) في (ظ) : (وقال آخرون) مكررة مرتين .
(٥) (به) : ساقطة من (أ) .
(٦) رواه الطبري ١٠/ ١٣٧ ، ١٣٨ .
(٧) لم أقف عليه .
(٨) (بيع) : ساقطة من (ظ) و(د) و(ع) .
(٩) في (أ) : (وولاه) .

فأما المنازل فلم تزل[١] لأهل مكة الدور والمساكن ، غير أن المواساة تجب في أيام الموسم .

وجرت في هذه المسألة مناظرة بين الشافعي وإسحاق الحنظلي -رحمهما الله- بمكة[٢] ، وكان إسحاق[٣] لا يرخص في كراء بيوت مكة ، فاحتج الشافعي عليه بقوله تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم﴾ [الحج :٤٠] فنسب الديار إلى مالكيها ، وقال النبي ﷺ يوم فتح مكة : «من أغلق بابه فهو آمن ، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن»[٤] وقال ﷺ : «وهل ترك لنا عقيل من رِباع ؟»[٥] .

(١) في (ط) و(د) و(ع) : (يزل) غير منقوط أوله .

(٢) انظر خبر هذه المناظرة مفصلاً في : آداب الشافعي ومناقبه لابن أبي حاتم ١٨٠ ، ١٨١ ، ومناقب الشافعي للبيهقي ١/ ٢١٣-٢١٥ ، وطبقات الشافعية للسبكي ٢/ ٨٩ ، ٩٠ .

(٣) في (ظ) و(د) : (أبو إسحاق) ، وهو خطأ .

(٤) رواه الإمام أحمد في مسنده ٢/ ٢٩٢ ، ومسلم في صحيحه في كتاب الجهاد والسير ، باب فتح مكة ٣/ ١٤٠٨ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٥) رواه البخاري في كتاب الحج ، باب توريث دور مكة وبيعها وشرائها ٣/ ٤٥٠ ، ومسلم في كتاب الحج ، باب النزول بمكة للحاج وتوريث دورها ٢/ ٩٨٤ من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما . والربع : الدار . الصحاح للجوهري (ربع) ٣/ ١٢١١ .

قوله تعالى : ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ . جميع أهل المعاني قالوا في (بإلحاد) زيادة[١] ، معناه : ومن يُرِدْ فيه إلحاداً بظلم ، وهو قول الفرَّاء[٢] ، والأخفش[٣] ، والمبرِّد[٤] ، والزَّجَّاج[٥] .

---

(١) قال ابن العربي في أحكام القرآن ٣/ ١٢٧٦ : تكلم الناس في دخول الباء هاهنا ، فمنهم من قال : إنها زائدة . وهذا مما لا يحتاج إليه في سبيل العربية ، لأن حمل المعنى على الفعل أولى من حمله على الحرف ، فيقال المعنى : ومن يهم فيه بميل يكون ذلك الميل ظلماً ، لأن الإلحاد هو الميل في اللغة ، إلَّا أنه قد صار في عرف الشريعة ميلاً مذموماً ، فرفع الله الإشكال ، وبين أن الميل بالظلم هو المراد هنا .
وقال أبو حيان في البحر المحيط ٦/ ٣٦٣ بعد ذكره لقول من قال : إن الباء زائدة : والأولى أن تُضَمِّن (يرد) معنى (يتلبس) فيتعدى بالباء .
وقال ابن كثير ٣/ ٢١٤ : والأجود أنه ضمن الفعل هاهنا معنى (يهم) ، ولذا عداه بالباء فقال ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ﴾ ؛ أي يهم فيه بأمر فظيع من المعاصي الكبار ﴿بِظُلْمٍ﴾ أي عامداً قاصداً أنه ظلم ليس بمتأول .

(٢) انظر : معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٢٣ .

(٣) انظر : معاني القرآن للأخفش ٢/ ٦٣٦ .

(٤) في نسبة هذا القول للمبرِّد والزَّجَّاج نظر .
فإن أبا جعفر النحاس في كتابه معاني القرآن ٤/ ٣٩٥ بعد أن حكى عن الأخفش القول بأن الباء زائدة قال : وهذا عند أبي العباس خطأ ؛ لأنه لا يزاد شيء لغير معنى . والقول عنده أن يريد ما يدل على الإرادة ، فالمعنى : ومن إرادته بأن يلحد بظلم كما قال الشاعر :

أريدُ لأنسى ذكرها فكأنّما ... تَمثَّلُ لي ليلى بكلِ سبيلِ

وأما الزَّجَّاج فقد قال في كتابه معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٤٢١ : وقال أهل اللغة : إن معنى الباء الطرح . المعنى : ومن يرد فيه إلحاداً بظلم وأنشدوا :
ثم ذكر الزَّجَّاج بيتين من الشعر . ثم قال : والذي يذهب إليه أصحابنا أن الباء ليست بملغاة ، المعنى عندهم : ومن إرادته فيه بأن يلحد بظلم ، وهو مثل قوله : أريد لأنسى ذكرها . البيت .

(٥) المرجع السابق .

قال الفرَّاء : سمعت أعرابياً من ربيعة[١] وسألته عن شيء فقال : أرجو بذاك[٢] . يريد أرجو ذاك[٣] قال : ودخلت الباء في ﴿بِإِلْحَادٍ﴾ لأن تأويله : ومن يرد بأن[٤] يلحد فيه . ودخول الباء في (أن) أسهل منه في الإلحاد ؛ لأن (أن) تُضمر[٥] الخافض[٦] معها كثيراً ، فاجتمعت[٧] [دخول الخافض وخروجه ؛ لأن الإعراب لا يتبين فيها وقل][٨] دخولها في المصادر لتبين الإعراب[٩] فيها وأنشد[١٠] :

ألا هل أتاها والحوادثُ جَمَّة بأنَّ أمرأَ القيسِ بن تَمْلِكَ بيقرا[١١]

---

(١) ربيعة اسم لقبائل كثيرة . ولم يتميز لي المراد بها هنا . انظر : اللباب لابن الأثير ٢/ ١٥ ، ١٦ ، ومعجم قبائل العرب لكحالة ٢/ ٤٢٠ـ٤٢٦ .

(٢) في النسخ جميعها : بذلك . وأثبتنا ما في كتاب الفرَّاء ٢/ ٢٢٣ .

(٣) في (ظ) و(د) و(ع) : (بذلك) ، وهو خطأ .

(٤) في (ظ) : (أن) .

(٥) في (د) و(ع) : (يضم) ، وهو خطأ .

(٦) عند الفرَّاء في المعاني ٢/ ٢٢٣ : (الخوافض) ، وكذا الطبري ١٧/ ١٣٩ حيث نقل نص الفرَّاء من غير تصريح باسمه .

(٧) عند الفرَّاء في المعاني : (فاحتملت) ، وكذا الطبري ١٧/ ١٣٩ حيث نقل نص الفرَّاء من غير تصريح باسمه .

(٨) ما بين المعقوفين ساقط من (ع) .

(٩) عن الفرَّاء في المعاني : (لتبين الخفض والرفع فيها) .

(١٠) في (أ) زيادة : (الشاعر) ، بعد قوله : (وأنشد) . والأولى حذفها .

(١١) البيت أنشده الفرَّاء ٢/ ٢٢٢ لامرئ القيس ، وهو في ديوانه ٣٩٢ من رواية السكري وغيره ، والطبري ١٧/ ١٣٩ ، والصحاح للجوهري (بقر) ٢/ ٥٩٥ ، ولسان العرب (بقر) ٤/ ٧٥ ، وخزانة الأدب ٩/ ٥٢٤ـ٥٢٧ .

وهذا البيت من قصيدة طويلة قالها بعد أن ذهب إلى الروم مستنجداً بقيصر للأخذ بثأر أبيه .

قال البغدادي في الخزانة ٩/ ٥٢٦ : قوله : (ألا هل أتاها) الضمير لحبيبته ، وقوله : (والحوادث جمة) ؛ أي كثيرة ، جملة اعتراضية بين الفعل وفاعله . . . ، وفائدة الاعتراض : الإخبار بأن هجرته عن بلاده حادثة من الحوادث ، والعرب تتمدح بالإقامة في البدو . . وتملك بفتح المثناة الفوقية : اسم امرأة . . فمنهم ـ يعني من الشراح ـ من قال : أمه تَمْلك ، ومنهم من قال : جدته ، ويحتمل أن تكون جدته من =

فأدخل الباء على (أن) وهي في موضع رفع[١] .

وقال المبرِّد : قال آخــرون : إنما يحمل هذا على مصدره . والمعنى : من كانت إرادته واقعة بالإلحاد[٢] ، فدخلت الباء للمصدر .

وأنشد الزَّجَّاج[٣] على هذا المذهب قول كثير :

أُريد لأنْسى ذكرها . . . البيت

قال : والمعنى : إرادتي لهذا ، ومعنى الإلحاد في اللغة : العدول عن القصد[٤] . وذكرنا ذلك في سورة النحل[٥] .

واختلفوا في المراد بالإلحاد بالظلم المتوعد عليه بالعذاب الأليم ، فقال مجاهد وقتادة : هو الشرك وعبادة غير الله[٦] .

= قبل أمه أو أمهاتها . والله أعلم . اهـ .

و(بيقــرا) : قيل : بَيْقَرا لرجل بيقرة ، إذا هاجر من أرض إلى أرض ، وقيل : بَيْقر الرجل ، أقام بالحضر وترك قومه بالبادية . وقيل : بيقر الرجل ، إذا خرج من الشام إلى العراق .

الصحاح للجوهري ٢/ ٥٩٥ ، ولسان العرب ٤/ ٧٥ .

(١) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٢٢ ، ٢٢٣ .

(٢) في (ظ) و(د) و(ع) : (على الإلحاد) .

(٣) البيت أنشده الزَّجَّاج في معاني القرآن ٣/ ٤٢١ من غير نسبة ، وهو بتمامه :

أريــدُ لأنــسى ذكــرهـا فـكـأنَّـمـا تـمــثــلُ لي لــيــلى بــكــلِ سـبـيـلِ

وهو في ديوان كثــير ١٠٨ ، والكامل للمبرِّد ٣/ ٩٧ ، وأمالي القالي ٢/ ٦٣ ، ولســان العرب (رود) ٣/ ١٨٨ ، والمقاصد النحوية للعيني ٢/ ٢٤٩ ، وخزانة الأدب ١٠/ ٣٢٩ .

(٤) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٤٢١ .

(٥) عند قوله تعالى : ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ﴾ [النحل :١٠٣] .

(٦) ذكره الثعلبي في الكشــف والبيان ٣/ ٥٠ ب عنهما . ورواه عبدالرزاق في تفســيره ٢/ ٣٤ ، والطبري ١٧/ ١٤٠ عن قتادة .

وهو قول عطاء[١] ، وهو قول حبيب بن أبي ثابت ، والكلبي .

وذكر هو سبب نزوله قال[٢] : نزل في عبدالله بن خطل[٣] حين قتل الأنصاري ، وارتد وهرب إلى مكة[٤] ، فنزل فيه ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ﴾ يعني يميل عن الإسلام ، ثم يظلم ، فيدخل الحرم بشرك[٥] .

---

(١) رواه سعيد بن منصور في تفسيره : (ل١٥٥ب) من طريق حبيب بن أبي ثابت ، عنه قال : القتل والشرك . وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٢٩ وعزاه لسعيد وعبد بن حميد وابن المنذر .
وقال النحاس في معاني القرآن ٤/ ٣٩٤ : وروى هشيم ، عن الحجاج ، عن عطاء ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ﴾ قال : من عبد غير الله عز وجل . وقد تقدم أن الرواية عن عطاء هي من طريقه . وجاء عنه تفسير آخر ، فروى الطبري ١٧/ ١٤١ عنه قال : هم المحتكرون الطعام بمكة .

(٢) في (ظ) : (وقال) .

(٣) هو عبدالله بن هلال بن خطل ، وقيل : غالب بن هلال بن خطل ، اسم خطل : عبد بن مناف ، من بني تيم بن فهر بن غالب ، كان اسمه عبدالعُزى فأسلم فسمي عبدالله ، ثم أن النبي ﷺ بعثه مصدقاً ، وبعث معه رجلاً من الأنصار ، وكان له مولى مسلم فغضب عليه غضبة ، فقتله ، ثم ارتد مشركاً ، وكان له قينتان تغنيان بهجاء رسول الله ﷺ والمسلمين ، فلهذا أهدر النبي ﷺ دمه ، فقتل وهو معلق بأستار الكعبة يوم فتح مكة ، واشترك في قتله أبو برزة الأسلمي وسعيد بن حريث المخزومي .
السيرة النبوية لابن هشام ٤/ ٢٩ ، والكامل في التاريخ لابن الأثير ٢/ ١٦٩ ، والبداية والنهاية ٤/ ٢٩٧ ، وفتح الباري لابن حجر ٤/ ٦١ .

(٤) المصادر السابقة .

(٥) ذكره الرازي ٢٣/ ٢٥ عن مقاتل . وقد روى ابن أبي حاتم في تفسيره كما في تفسير ابن كثير ٣/ ٢١٥ من طريق ابن لهيعة عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال في قوله : ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ﴾ : (نزلت في عبدالله بن أنيس أن رسول الله ﷺ بعثه مع رجلين أحدهما مهاجر والآخر من الأنصار ، فافتخروا في الأنساب ، فغضب عبدالله بن أنيس ، فقتل الأنصاري ثم ارتد عن الإسلام ، ثم هرب إلى مكة ، فنزلت فيه . ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ﴾ وسنده ضعيف ، لضعف ابن لهيعة .

وقـال آخرون : هو كل شيء كان منهياً عنه ، حتى قال ابن مسـعود : لو أن رجلاً بـ (عدن أبين)[١] همَّ أن[٢] يعمل بسـيئة عند البيت أذاقه الله عذاباً أليماً[٣] . وقال الضحاك : إن الرجل ليهم بالخطيئة بمكة وهو بأرض أخرى ، فتكتب عليه ولم يعلمها[٤] .

وهذا قول السدي[٥] ، وابن زيد[٦] ، ومجاهد في رواية عثمان بن الأسود[٧] .

---

(١) في (أ) : (بعدان أيبن) ، وهو خطأ . و(عدن أبين) مدينة مشـهورة على سـاحل بحر اليمن ، ويقال لها (عدن أبين) للتمييز بينها وبين (عدن لاعة) في بلاد حجة باليمن .
انظر : معجم البلدان لياقوت ٦/ ١٢٦ ، ١٢٧ ، ومراصد الاطلاع للبغدادي ٢/ ٩٢٣ ، ومعجم المدن والقبائل اليمنية للمقحفي ٢٧٩ .

(٢) (أن) : ساقطة من (ظ) و(د) و(ع) .

(٣) رواه الإمـام أحمد في مسـنده ٦/ ٦٥ ، ٦٦ وإسـحاق بن راهويه في مسـنده كـما في المطالب العالية لابن حجـر ٥١٥ ، وإتحاف المهرة للبوصيري : (جـ٣ل ٩٠ب) ، والبزار في مسـنده كما في كشـف الأسـتار للهيثمي ٣/ ٦٠ ، والطبري في تفسـيره ١٧/ ١٤١ ، وابن أبي حاتم في تفسيره كما في تفسير ابن كثير ٣/ ٢١٤ ، ٢١٥ ، والحاكم في مستدركه ٢/ ٣٨٧ ، ٣٨٨ .
قال ابن كثير في تفسـيره ٣/ ٢١٥ بعد أن ذكر سـند ابن أبي حاتم ورواية الإمام أحمد : هذا الإسـناد صحيح على شرط البخاري ، ووقفه أشبه من رفعه .
وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ٧٠ : رواه أحمد وأبو يعلى والبزار ، ورجال أحمد رجال الصحيح .
وقال ابن حجر في المطالب العالية ٣/ ٣٥٢ والمسندة ٥١٥ : قوي الإسناد .
وقال البوصيري في إتحاف المهرة ٣/ ٩٠ ب بعد ذكره لرواية إسحاق : هذا إسناد موقوف صحيح .

(٤) رواه الطبري ١٧/ ١٤١ ، وذكره السـيوطي في الدر المنثور ٦/ ٢٩ وعزاه لابن أبي شـيبة وابن جرير وابن المنذر .

(٥) انظر : الطبري ١٧/ ١٤٠ ، ١٤١ .

(٦) في الطبري ١٧/ ١٤١ عنه قال : الإلحاد : الظلم في الحرم .

(٧) روى عبدالرزاق في تفسـيره ٢/ ٣٤ عن الثوري ، وسـعيد بن منصور في تفسـيره : (ل٥٥ب) عن ابن المبارك كلاهما يعني الثوري وابن المبارك عن عثمان بن الأسـود عن مجاهد قال : بيع الطعام بمكة إلحاد .
ورواه سـعيد بن منصور (ل ٥٥ ب) عن إسـماعيل بن زكريا عن عثمان بن الأسـود عن مجاهد قال : احتكار الطعام بمكة إلحاد ، وليس الجالب كالمقيم .

وقال ابن عباس : هو استحلال ما حرم الله[١] . وهذا قول ابن جريج[٢] .

وقال في رواية عطاء : هو قتل ما نهى الله عنه من الصيد ، ودخول مكة بغير إحرام ، وأخذ حمام مكة ، وأشياء كثيرة لا يجوز للمحرم أن يفعلها[٣] .

وعلى هذا القول ، هذا الإلحاد والظلم يختص باستحلال محظورات الإحرام وركوبها[٤] .

وقوله : ﴿نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ . قال أبو إسحاق[٥] : هو خبر (إن) للمذكور في أول الآية . قال : والمعنى أن الكافرين والملحدين[٦] في المسجد الحرام نذيقهم[٧] من عذاب أليم . قال : ويجوز أن يكون محذوفاً فيكون المعنى : إن الذين هذه صفتهم هلكوا[٨] .

---

(١) رواه الطبري ١٧/ ١٤٠ عنه من رواية العوفي .

(٢) ذكره عنه الثعلبي في الكشف والبيان ٣/ ٥٠ .

(٣) في (ظ) و(د) و(ع) : (لا يجوز أن يفعلها المحرم) .

(٤) قال الطبري ١٧/ ١٤١ : وأولى الأقوال : التي ذكرناها في تأويل ذلك بالصواب القول الذي ذكرناه عن ابن مسعود وابن عباس من أنه معني بالظلم في هذا الموضع : كل معصية لله ، وذلك ؛ لأن الله عم بقوله : ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ﴾ ولم يُخصص به ظلم من دون ظلم في خبر ولا عقل ، فهو على عمومه .
وقال النحاس في معاني القرآن ٤/ ٣٩٤ : وأبين ما قيل فيه أن معنى ﴿بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ﴾ لكل معصية ؛ لأن الآية عامة . وقال أبو حيان في البحر ٦/ ٣٦٣ ، بعد ذكره للأقوال : والأولى حمل هذه الأقوال على التمثيل لا على الحصر ، إذ الكلام يدل على العموم .
وقال ابن كثير ٣/ ٢١٥ : وهذا الآثار وإن دلت على أن هذه الأشياء من الإلحاد ولكن هو أعم من ذلك ، بل فيها تنبيه على ما هو أغلظ منها .

(٥) (إسحاق) : مكان بياض في (أ) . ثم (أ) بعد ذلك (وعلى هذا القول) وقد ضرب عليه الناسخ ، لأنه مكرر بسبب انتقال نظره إلى السطر الذي قبله .

(٦) (والملحدين) : ساقطة من (ظ) و(د) و(ع) .

(٧) عند الزَّجَّاج : (نُذقُهم) .

(٨) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٤٢٠ مع تصرف يسير .

والعرب ربما تحذف الخبر إيجازاً واختصاراً كما روي أن النبي ﷺ رأى عبدالله بن عمر، فقال: «إن عبدالله»[(١)]. ولم يزد على هذا كأنه أراد: إن عبدالله رجل صالح، أو ما أشبهه.

قال أبو إسحاق: والأول الوجه[(٢)][(٣)].

٢٦. قوله تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ﴾. الكلام في (بوأنا) قد سبق في مواضع منها قوله: ﴿تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٢١] وقوله: ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ﴾ [يونس: ٩٣].

---

(١) رواه الطبراني كما في مجمع الزوائد ٩/ ٢٤٦ عن مجاهد قال: شهد ابن عمر -رحمه الله- الفتح وهو ابن عشرين، ومعه فرس حرور ورمح ثقيل، فذهب ابن عمي يختلي لفرسه، فقال رسول الله ﷺ: إن عبدالله.

قال الهيثمي في المجمع ٩/ ٢٤٦: ورجاله رجال الصحيح إلا أن مجاهداً أرسله.

تنبيه: وقع في المطبوع من مجمع الزوائد: (إن عبدالله رجل صالح) ولفظ (رجل صالح) زادها المعلق على المجمع كما نبه هو على ذلك في الحاشية حيث قال: (رجل صالح) مستدركة من شذرات الذهب. وهذا خطأ من المعلق، فإن حديث (إن عبدالله رجل صالح) بزيادة (رجل صالح) حديث آخر رواه البخاري في صحيحه في كتاب التعبير، باب الاستبرق ودخول الجنة في المنام ١٢/ ٤٠٣ عن ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: رأيت في المنام كأن في يدي سرقة من حرير، لا أهوي بها إلى مكان في الجنة إلا طارت بي إليه، فقصصتها على حفصة، فقصتها حفصة على النبي ﷺ فقال: (إن أخاك رجل صالح)، أو قال: (إن عبدالله رجل صالح). اهـ.

(٢) في (أ): (أوجه)، وهو خطأ.

(٣) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٤٢٠.

وقوله : ﴿لِإِبْرَٰهِيمَ﴾ أدخل اللام ولم يدخلها في ﴿بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾[١] . وذكر الفرَّاء فيه وجهين :

أحدهما : أن اللام دخلت[٢] ؛ لأن المعنى : جعلنا[٣] . [وكذلك[٤] فسره ابن عباس[٥] .

قال أبو إسحاق : جعلنا][٦] مكان البيت مُبوَأً لإبراهيم[٧] .

وقال مقاتل بن حيان : هيأنا[٨] . وعلى هذا اللام من صلة معنى (بوأنا) لا من صلة لفظه[٩] .

الوجه الثاني[١٠] : أن اللام صلة للتأكيد كقوله : ﴿رَدِفَ لَكُم﴾ [النمل :٧٢][١١] .

وقال بعض أهل اللغة : تفسير ﴿بَوَّأْنَا﴾ هاهنا : بيَّنا له مكان البيت ، يدل على هذا ما ذكره السدي : أن الله لما أمره ببناء البيت لم يدر أين يبنى ، فبعث الله ريحاً

---

(١) في (أ) : (بوأنا بني إسرائيل) .
(٢) في (أ) زيادة : (على) بعد قوله : (دخلت) ، ولا معنى لها .
(٣) انظر : معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٢٣ .
(٤) في (أ) : (ولذلك) ، وهو خطأ .
(٥) ذكره عنه الثعلبي في الكشف والبيان ٣/ ٥١ أ .
(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (ظ) .
(٧) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٤٢٢ .
(٨) ذكره عنه الثعلبي في الكشف والبيان ٣/ ٥١ أ .
(٩) في (ظ) و(د) و(ع) : (لفظ) .
(١٠) (الثاني) : ساقط من (ظ) و(د) و(ع) .
(١١) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٢٣ ، وفيه : وإن شئت كان بمنزلة قوله : ﴿قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم﴾ معناه : ردفكم .

خجوجاً[١] ، فكنست له ما حول الكعبة عن الأساس الأول الذي كان البيت عليه قبل أن رفع[٢] أيام الطوفان[٣] .

وقال الكلبي : بعث الله سحابة على قدر البيت في العرض والطول فيها رأسٌ يتكلم له لسان وعينان ، فقامت بحيال[٤] البيت ، وقالت : يا إبراهيم ، ابنِ على قدري . فذلك قوله : ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ﴾[٥] .

وقال بعض أهل المعاني : ﴿بَوَّأْنَا﴾ أصله من (باء) إذا رجع[٦] ، وتفسير ﴿بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ﴾ جعلنا مكان البيت له مبوأ يرجع إليه بعلامة ، [وتلك العلامة][٧] ما ذكره السدي والكلبي .

قوله تعالى : ﴿أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا﴾ [قال الكلبي : لما فرغ إبراهيم من البيت ، وطاف به أسبوعاً ، أوحى الله إليه : أن يا إبراهيم ، لا تشرك بي شيئاً][٨] .

وعلى هذا في الكلام محذوف وهو : وأوحينا إليه ، أو : وعهدنا إليه .

---

(١) عند الطبري : يقال لها ريح الخجوج . والخجوج : هي الريح الشديدة المرِّ والملتوية في هبوبها . القاموس المحيط ١/ ١٨٤ .

(٢) في النسخ جميعها : (رفع) ، وفي الوسيط ٢/ ٢٦٦ : (يرفع) .

(٣) رواه الطبري ١٧/ ١٤٣ عنه من دون قوله : الذي مكان البيت . .الطوفان .
وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٣١ وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم والبيهقي في الدلائل . والله أعلم بصحة ذلك فهو من الإسرائيليات .

(٤) بحيال : أي بإزاء . الصحاح للجوهري (حيل) ٤/ ١٦٧٩ .

(٥) انظر : الدر المنثور ٦/ ٣٠ . والله أعلم بصحة ذلك .

(٦) ذكر هذا المعنى الطوسي في التبيان ٧/ ٢٧٤ ، والجشمي في التهذيب ٦/ ١٧٣ من غير نسبة لأحد .

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) .

(٨) ساقط من (ظ) .

﴿أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا﴾ ؛ أي لا تعبد معي غيري . قال ابن عباس : وفي هذا رد على مشركي مكة ؛ لأنهم كانوا يَدَّعون أنهم[١] على دين إبراهيم ، فأخبر الله -تعالى- أنهم قد كَذَبُوا ؛ لأن إبراهيم كان موحداً قد أوحي[٢] إليه : أن لا تشرك بالله شيئاً .

وقال المبرِّد : معنى لا تشرك بالله شيئاً : وحد الله كأنه قيل له[٣] : وحدني في هذا البيت .

قوله : ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ﴾ . قال قتادة : من الشرك وعبادة الأوثان[٤] .

وقال عبيد بن عمير : من الآفات والريب[٥] . وهذا مما سبق تفسيره في سورة البقرة[٦] .

قوله : ﴿وَٱلْقَآئِمِينَ﴾ يعني : المصلين[٧] الذين هم قيام في صلاتهم .

٢٧. قوله تعالى : ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ﴾ . معنى التأذين : النداء والتصويت للإعلام[٨] وذكرنا ذلك عند قوله : ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ﴾ [الأعراف :٤٤] وقوله : ﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ﴾ [يوسف :٧٠] وقوله : ﴿وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة :٣] .

---

(١) (أنهم) : ساقطة من (ظ) و(د) و(ع) .
(٢) في (ظ) : (وأوحي) .
(٣) (له) : ساقطة من (أ) .
(٤) رواه عبدالرزاق في تفسيره ٢/ ٣٤ ، والطبري ١٧/ ١٤٣ .
(٥) رواه الطبري ١٧/ ١٤٣ .
(٦) انظر : البسيط عند قوله تعالى : ﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ﴾ [البقرة :١٢٥] .
(٧) في (ظ) : (والمصلين) .
(٨) انظر : تهذيب اللغة للأزهري (أذن) ١٥/ ١٧ ، ١٨ ، والصحاح للجوهري ٥/ ٢٠٦٨ ، ولسان العرب ١٣/ ٩-١٢ .

قال جماعة المفسرين : لما فرغ إبراهيم من بناء البيت قيل له : أذن[١] في الناس بالحج . قال : يا رب وما يبلغ صوتي ؟ قال : أذن ، وعلي البلاغ . فصعد إبراهيم على أبي قبيس والمقام معه ، ثم صاح : يا أيها الناس ، إن الله يدعوكم إلى حج بيته الحرام ، ليثيبكم به الجنة ، ويجيركم[٢] من عذاب النار . نادى ما شاء الله من ذلك ، فأجابه من كان في أصلاب الرجال وأرحام النساء : لبيك اللهم لبيك . من[٣] أجاب يومئذ حج على قدر الإجابة ، إن أجاب مرة فمرة ، وإن أجاب مرتين فمرتين على قدر ذلك . فذلك[٤] قوله : ﴿يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾[٥] .

هذا الذي ذكرنا هو[٦] قول جماعة المفسرين إلَّا الحسن ، فإنه قال : هذا الأمر بالتأذين للنبي ﷺ أمر أن يفعل ذلك في حجة الوداع ، ففعل ذلك حيث قال : يا أيها الناس ، كتب عليكم الحج[٧] .

وإنما قال : ﴿يَأْتُوكَ﴾[٨] وإن كانوا يأتون الكعبة ، لأن المنادي كان إبراهيم ، فمن أتى الكعبة حاجاً فكأنه قد أتى إبراهيم عليه السلام ، لأنه مجيب نداه . وفيه أيضاً تشريف لإبراهيم حين خوطب بالإتيان .

---

(١) في (أ) : (فأذن) .

(٢) في (ظ) : (يخرجكم) ، وهو خطأ .

(٣) في (ظ) : (فمن) .

(٤) (فذلك) : ساقطة من (أ) .

(٥) ذكر نحو هذا ابن كثير في تفسيره ٣/ ٢١٦ ثم قال : هذا مضمون ما ورد عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وغير واحد من السلف والله أعلم . اهـ .
انظر : الطبري ١٧/ ١٤٤ ، ١٤٥ ، والكشف والبيان للثعلبي ٣/ ٥١ أ ، والدر المنثور للسيوطي ٦/ ٣٢_٣٥ .

(٦) (هو) : ساقطة من (ط) .

(٧) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان ٣/ ٥١ أو صدره بقوله : وزعم الحسن . اهـ .
وهذا القول المروي عن الحسن خلاف الظاهر .

(٨) (رجالاً) : في (أ) : (يأتوك رجالاً) .

ورجال : جمع راجل ، مثل : صَاحِب وصِحَاب ، وقَائِم[١] وقِيَام[٢] . وبُدئ بذكرهم تشريفاً لهم لزيادة تعبهم .

وقوله : ﴿وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ﴾ ؛ أي وركباناً . والضمور : الهزال ، ومثله الضُّمْرُ[٣] ، ضَمُرَ يَضْمُرُ ضُمُوراً[٤] .

قال ابن عباس : يريد الإبل وغيره[٥] . قال الكلبي : لا يدخل بعير ولا غيره الحرم إلَّا وقد ضمر .

وقوله : ﴿يَأْتِينَ﴾ جمع الفعل لمعنى[٦] كل ، ولو قال : يأتي ، على اللفظ صح[٧] .

قوله : ﴿مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ أي طريق بعيد . قاله الجميع[٨] .

وذكرنا الكلام في الفج عند قوله : ﴿فِجَاجًا سُبُلًا﴾ [الأنبياء :٣١] . والعميق : البعيد . قال الليث : الفج المضرب البعيد[٩] .

---

(١) (وقائم) : ساقطة من (أ) .

(٢) من قوله : (ورجال) إلى هنا منقول عن معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٤٢٢ بنصه .

(٣) الضُّمْر : بالضم وبضمتين . و(ضمر) كنصر وكرم . قال الفيروزآبادي في القاموس المحيط (ضمر) ٢/ ٧٦ .

(٤) تهذيب اللغة للأزهري (ضمر) ١٢/ ٣٦ نقلاً عن الليث .

(٥) رواه الطبري ١٧/ ١٤٦ من دون قوله : (وغيره) .

(٦) في (ظ) : (بمعنى) .

(٧) (صح) : ساقطة من (أ) .

(٨) انظر : الطبري ١٧/ ١٤٦ ، وابن كثير ٣/ ٢١٦ ، والدر المنثور ٦/ ٣٦ .

(٩) تهذيب اللغة للأزهري (عمق) ١/ ٢٩٠ نقلاً عن الليث . انظر : العين (عمق) ، و(معق) ١/ ١٨٦ ، ١٨٧ .

وقال غيره[١] : هو الشعب الواسع بين جبلين . قال[٢] : ويقال : مَعِيق وعَميق ، العميق في الطريق أكثر .

قال الفرَّاء لغة أهل الحجاز عميق ، وبنو تميم تقول[٣] : معيق[٤] .

وتقول العرب[٥] : بئر عميقة ومعيقة ، [وقد][٦] أعمقتها وأمعقتها ، وقد عمُقَت ومَعُقَت مَعَاقَةَ ، وإنها لبعيدة العَمْق والمَعْق[٧] . والأمْعَاق والأعْمَاق : أطراف المفازة البعيدة[٨] . قال رؤبة[٩] :

وقاتم الأعماق خاوي المخترق

٢٨. قوله : ﴿لِّيَشْهَدُوا۟﴾ ؛ أي ليحضروا مشاهد مكة ومشاعرها . يعني : الناس الذين ذكروا في قوله : ﴿يَأْتُوكَ﴾ .

---

(١) القائل : وقال غيره هو الأزهري انظر : تهذيب اللغة ١/ ٢٩٠ .

(٢) يعني الليث كما في تهذيب اللغة للأزهري (عمق) ١/ ٢٩٠ ، وانظر : العين ١/ ١٨٦ ، ١٨٧ .

(٣) (تقول) : ساقطة من (ظ) .

(٤) تهذيب اللغة للأزهري (عمق) ١/ ٢٩٠ ، وليس هذا النص موجوداً في معاني الفرَّاء انظر : ٢/ ٢٢٤ .

(٥) في (ظ) و(د) و(ع) : (والعرب تقول) .

(٦) زيادة من تهذيب اللغة للأزهري ١٠/ ٢٩٠ .

(٧) تهذيب اللغة للأزهري (عمق) ١/ ٢٩٠ غير منسوب لأحد .

(٨) تهذيب اللغة للأزهري (عمق) ١/ ٢٩٠ منسوباً لليث . وهو في كتاب العين (عمق) ١/ ١٨٧ مع اختلاف يسير ، ومعه بيت رؤية كاملاً منسوباً إليه .

(٩) هذا شطر من أرجوزة لرؤبة في وصف مفازة ، وهو في ديوانه ١٠٤ ، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ١/ ٣٨٠ ، والطبري ١٥/ ٨٨ ، وتهذيب اللغة للأزهري (عمق) ١/ ٢٩٠ ، واللسان (عمق) ١٠/ ٢٧١ ، وخزانة الأدب ١٠/ ٢٥ ، ٢٦ .
قال البغدادي في الخزانة ١٠/ ٢٥ ، ١/ ٨١ : (وقاتم) مجرور بـ(رب) المحذوفة بعد الواو . وهو صفة لموصوف محذوف ؛ أي رب بلد قاتم . قال الأصمعي : القُتْمةُ : الغبْرة . وأسود قاتم ؛ أي رب بلد مُغْبَرّ . والأعماق : جمع عمق بفتح العين : وضمها ، وهو ما بعد من أطراف المفاوز . والخاوي : الخالي . والمخترق بفتح الراء : مكان الاختراق ، من الخرق وهو الشق ، استعمل في قطع المفازة .

قوله : ﴿مَنَٰفِعَ لَهُمْ﴾ . قال ابن عباس في رواية أبي رزين : هي الأسواق[١] .

وهو قول سعيد بن جبير والسدي : يعني التجارة[٢] . واختيار ابن قتيبة[٣] .

وعلى هذا ، المنافع تختص بمنافع الدنيا .

وقال في رواية عطاء : منافع لهم في الدنيا والآخرة[٤] .

وهو قول مجاهد : يعني التجارة ، وما يرضي الله -سبحانه- من عمل الدنيا والآخرة[٥] .

والمنافع -على هذا القول- شائعة في الأجر والتجارة[٦] .

وقال العوفي ، وسعيد بن المسيب ، والباقر[٧] : هي العفو والمغفرة[٨] . فخصوا المنافع بمنافع الآخرة .

---

(١) ذكره الثعلبي ٣/ ٥١ أ عنه من رواية أبي رزين . ورواه الطبري ١٧/ ١٤٦ عنه من رواية أبي رزين . وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٣٧ وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم ، عن ابن عباس .

(٢) ذكره عن سعيد الثعلبي في الكشف والبيان ٣/ ٥١ ب ، ورواه عنه الطبري ١٧/ ١٤٦ . وذكره عن السدي ابن الجوزي في زاد المسير ٥/ ٤٢٤ .

(٣) انظر : غريب القرآن لابن قتيبة ٢٩٢ .

(٤) رواه ابن أبي حاتم كما في الدر المنثور ٦/ ٣٧ عنه ، وذكره ابن كثير ٣/ ٢١٦ عنه -رضي الله عنه- ولم يبين من رواه عنه .

(٥) رواه عبدالرزاق في تفسيره ٢/ ٣٦ ، والطبري ١٧/ ١٤٧ .

(٦) قال ابن الجوزي ٥/ ٤٢٥ : وهو أصح .

(٧) في (أ) : (النامر) .

(٨) ذكره عنهم الثعلبي جميعهم في الكشف والبيان ٣/ ٥١ ب . وعن الباقر رواه الطبري ١٧/ ١٤٧ .

وهذا القول اختيار أبي إسحاق ، قال : ليشهدوا ما ندبهم الله إليه مما فيه النفع لهم في آخرتهم[١] .

قولــه :﴿وَيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡلُومَٰتٍ﴾ . قال ابن عباس في رواية عطاء : يريد أيام الحج ، وهي يوم عرفة والنحر وأيام التشريق[٢] .

---

(١) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٤٢٣ ، قال الطبري رحمه الله في تفسيره ١٧/ ١٤٧ ، وأولى الأقوال بالصواب قول من قال : عني بذلك ليشــهدوا منافع لهم من العمل الذي يرضى الله والتجارة ، وذلك أن الله عم لهم منافع ما يشهد له الموسم جميعه ويأتي له مكة أيام الموسم من منافع الدنيا والآخرة ، ولم يخصص من ذلك شيئاً من منافعهم بخبر ولا عقل ، فذلك على العموم في المنافع التي وصفت .

(٢) ذكره عــن ابن عباس من رواية عطاء البغوي في تفســيره ٥/ ٣٧٨ . وذكره الرازي ٢٣/ ٢٩ عنه من رواية عطاء لكن ليس فيها ذكر يوم عرفة .

وهذه الرواية التي ذكرها الواحدي هنا عن ابن عباس ضعيفة .

وقــد جاء عن ابن عباس روايات في المــراد بالأيام المعلومات أصحها أن الأيــام المعلومات هي أيام العشر . رواه البخــاري عنه تعليقاً بصيغة الجزم في كتاب العيدين ، باب فضل العمل في أيام التشريق ٢/ ٤٥٧ ، ووصلــه ابن حجر في الفتح ٢/ ٤٥٨ ، وتغليق التعليق ٢/ ٣٧٧ من رواية عبد بن حميد في تفسيره من طريق عمرو بن دينار : سمعت ابن عباس . . . الأيام المعلومات أيام العشر .

ورواه البيهقي في السنن الكبرى ٥/ ٢٢٨ من طريق هُشيم ، حدثنا أبو بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : المعلومات : العشر . وإسناده صحيح .

وذكره ابن كثير في تفسيره ٣/ ٢١٦ من رواية شعبة وهشيم ، عن أبي بشر ، عن سعيد عن ابن عباس .

وذكــر هذا القول عــن ابن عباس الســيوطي في الــدر المنثــور ١/ ٥٦٢ فقال : وأخــرج الفريابي وعبد بن حميد والمروزي في العيدين وابــن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الشــعب والضياء في المختاره من طرق ، عن ابن عباس قال : الأيــام المعلومات أيام العشر ، والأيام المعدودات أيام التشريق .

وهذا القول اختيار أبي إسحاق[١] . وقال الحسن وقتادة : الأيام المعلومات أيام عشر ذي الحجة ، والمعدودات أيام التشريق[٢] .

وإنما قيل لهذه معدودات ؛ لأنها قليلة ، وقيل لتلك معلومات ؛ للحرص على علمها[٣] بحسابها من أجل وقت الحج في آخرها[٤] .

وقال مقاتل : المعلومات أيام التشريق[٥] . وهذا قول القرظي ، لأنه جعل المعدودات والمعلومات واحدة[٦] . والاختيار قول ابن عباس .

قال أبو إسحاق : لأن الذكر هاهنا يدل على التسمية على ما ينحر لقوله : ﴿عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾[٧] .

---

(١) اختار أبو إسحاق الزَّجَّاج في كتابه معاني القرآن ٣/ ٤٢٣ أن الأيام المعلومات هي يوم النحر والأيام التي بعده ينحر فيها ، قال : لأن الذكر هاهنا يدل على التسمية على ما ينحر لقوله : ﴿عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ .
فلم يذكر الزَّجَّاج يوم عرفة ؛ لأن يوم عرفة ليس من أيام النحر ، فقول الواحدي : وهذا القول ـ يعني قول ابن عباس في رواية عطاء ـ اختيار أبي إسحاق . خطأ .

(٢) رواه عن قتادة عبدالرزاق في تفسيره ٢/ ٣٧ ، والطبري ١٧/ ١٤٨ . وذكره عن الحسن الزمخشري ٣/ ١١ ، وابن الجوزي ٥/ ٤٢٥ ، وابن كثير ٣/ ٢١٦ . وهذا القول هو أصح الروايات عن ابن عباس كما قدمنا . وهو قول أكثر المفسرين كما قال الثعلبي في الكشف والبيان ٣/ ٥١ ب .
وقال ابن كثير في تفسيره ٣/ ٢١٦ بعد ذكره هذا القول عن ابن عباس : وروى مثله عن أبي موسى الأشعري ، ومجاهد ، وقتادة ، وعطاء ، وسعيد بن جبير ، والحسن والضحاك ، وعطاء الخراساني ، وإبراهيم النخعي ، وهو مذهب الشافعي ، والمشهور عن أحمد بن حنبل . اهـ .

(٣) في (أ) : (عملها) ، وهو خطأ .

(٤) هذا قول الثعلبي في تفسيره الكشف والبيان ٣/ ٥١ب .

(٥) الكشف والبيان للثعلبي ٣/ ٥١ ب .

(٦) ذكره عنه الثعلبي في الكشف والبيان ٣/ ٥١ ب .

(٧) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٤٢٣ .

[يعنـــي أن هذه الأيام يجب أن تختص بأيام الذبح ، لأن قوله : ﴿لِّيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾][1] المراد به التسمية عند الذبح .

قال قتادة : كان[2] يقال : إذا ذبحت نسيكتك فقل : بسم الله والله أكبر ، اللهم منك عن فلان[3] . ونحو هذا ذكر الكلبي .

وأول وقـــت الذبح يوم النحر إذا طلعت الشـــمس ، ومضى من اليوم مقدار صلاة رســـول الله ﷺ ، فمن ذبح قبل هذا لم يحتســـب مـــن الضحايا ، وآخر أيام الذبح إذا غربت الشـــمس يوم الثالث عشر ، فهـــي أربعة أيام ، والليالي في خلال هذه الأيام وقت[4] ذبح[5] .

ومن فسر المعلومات بالعشر مـــن ذي الحجة قال : لما كان يقع هذا النوع من الذكـــر في آخر يوم منها جاز أن يوصف الذكر بأنه فيها كلها ، لأن هذا اليوم وهو اليوم العاشر من جملة العشر فالذكـــر واقع في العشر ، والعشر ليس تخلو من هذا الذكر .

قوله : ﴿عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم﴾ ؛ أي على ذبح ما رزقهم من بهيمة الأنعام .

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) .

(٢) (كان) : ساقطة من (أ) .

(٣) ذكره عنه السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٣٧ وعزاه لعبد بن حميد وابن أبي حاتم .

(٤) في (ظ) : (للذبح) .

(٥) انظـــر : الأم ٢/ ١٨٧ ، والحاوي الكبير للـــماوردي ٤/ ٣٧٨ ، والمغني لابن قدامة ٥/ ٣٠٠ ، ٣٠١ ، وروضة الطالبين للنووي ٣/ ١٩٩ ، ٢٠٠ ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٢/ ٤٢ـ٤٤ .

قال ابن عباس : يريد البدن من الإبل والبقر والضأن والمعز ، كل ذلك يريدون بها الله عز وجل .

﴿بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ هي الأنعام ، وذكرنا الكلام في هذا مستقصى في أول سورة المائدة .

وفي هذا دليل على أن الضحايا والهدايا مختصة بالأنعام ، وتفسيرها ما ذكره ابن عباس ، وذكرناه في مواضع[١] .

قوله تعالى : ﴿فَكُلُوا۟ مِنْهَا﴾ قال ابن عباس : أجاز الله -تعالى- الأكل مما أهديت ، وأما الكفارة فلا يأكل منها أصحابُها .

قال أبو إسحاق : ﴿فَكُلُوا۟ مِنْهَا﴾ . ليس بأمر لازم ، من شاء أكل من أضحيته ومن شاء لم يأكل ، وإنما هو إباحة كما قال : ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُوا۟﴾ [المائدة :٢] ، وإنما قال : ﴿فَٱصْطَادُوا۟﴾ ؛ لأنه قد كان حظر عليهم الصيد وهم محرمون ، فأباح لهم الصيد ، وكذلك هذا الأمر هاهنا بعد حظرهم كان[٢] على أنفسهم أكل الأضاحي ، لأن أهل الجاهلية كانوا إذا نحروا لم يستحلوا أن يأكلوا من نسائكهم شيئاً ، فأعلم الله -عز وجل- أن ذلك جائز[٣] .

هذا معنى قول ابن عباس : أجاز الله الأكل مما أهديت . وقوله[٤] : (أما الكفارة فلا يأكل منها أصحابها) : كل هدي كان صاحبه متطوعاً به جاز له الأكل ، فأما إذا كان كفارة وجبراناً لنقصان نسك أو ترك نسك ، فلا يجوز له أن يأكل منه ،

---

(١) انظر : البسيط عند قوله تعالى : ﴿فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ﴾ [البقرة :١٩٦] .

(٢) (كان) : ليست عند الزَّجَّاج ، وهي في النسخ جميعها .

(٣) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٤٢٣ .

(٤) يعني ابن عباس .

وذلك مثل دم القران والتمتع[١] ، لأنه وجب بترك أحد الميقاتين ، وكذلك دم الإساءة ؛ لأنه وجب بسبب مجاوزة الميقات وكذلك دما[٢] القَلَم والحلق وسائر المحظورات[٣] ، وإنما أكل رسول الله ﷺ من لحم هديه[٤] ، لأنه أفرد الحج فلم يجب عليه في حجه دم[٥] .

والذي ذكرنا في قوله : ﴿فَكُلُواْ﴾ أنه أمر إباحة ، هو قول جميع المفسرين[٦] .

---

(١) هذا مذهب الشافعي . وذهب جمهور العلماء إلى جواز الأكل من دم القرآن والتمتع ، لأن النبي ﷺ أكل من هديه وكان قارناً ، وأزواج النبي ﷺ تمتعن معه في حجة الوداع ، وأدخلت عائشة الحج على العمرة فصارت قارنة ، ثم ذبح عنهن النبي ﷺ البقرة ، فأكلن من لحمها . انظر : تفصيل ذلك في صحيح البخاري كتاب الحج ، باب ما يأكل من البدن ٣/ ٥٥٧ ، ٥٥٨ ، وأحكام القرآن للجصاص ٣/ ٢٣٦ ، والمغني لابن قدامة ٥/ ٤٤٤ـ٤٤٦ .

(٢) في (ظ) : (دم) .

(٣) انظر : الأم ٢/ ١٨٤ ، وأحكام القرآن للجصاص ٣/ ٣٣٧ ، والحاوي ٤/ ١٨٧ ، والمغني ٥/ ٤٤٤ـ ٤٤٦ ، وروضة الطالبين ٣/ ٢٢١ ، ٢٢٢ ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٢/ ٤٤ .

(٤) روى مسلم في صحيحه في كتاب الحج ، باب حجة النبي ﷺ ٢/ ٨٩٢ من حديث جابر ـرضي الله عنهـ أن النبي ﷺ أمر من كل بدنة ببضعة فجعلت في قدر ، فطبخت ، فأكلا من لحمها وشربا من مرقها .

(٥) الصواب أن النبي ﷺ كان قارناً للأحاديث الصحيحة الصريحة ، ومن ذلك ما رواه مسلم في صحيحه في كتاب الحج ، باب جواز التحلل بالإحصار وجواز القرآن ٢/ ٩٠٤ عن ابن عمر أنه أوجب حجاً مع عمرته ، وطاف لهما طوافاً واحداً ، ثم قال : هكذا فعل رسول الله ﷺ . انظر بسط القول في هذا الأمر وتحقيقه في : زاد المعاد لابن القيم ٢/ ١٠٧ـ١٢٢ .

(٦) انظر : أحكام القرآن للجصاص ٣/ ٢٣٥ .

قال إبراهيم ومجاهد : إن شاء أكل ، وإن شاء لم يأكل . وكان أهل الجاهلية إذا نحروا لم يستحلوا أكل ذبائحهم[١] .

قوله :﴿وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ﴾ . قال ابن عباس : البائس : الذي ظهر بؤسه في ثيابه ووجهه ، وبان البؤس عليه . والفقير الذي لم يظهر بؤسه ، وثيابه نقية ، ووجهه وجه غني[٢] .

وهذا الذي ذكره يوجب الفرق بينهما ، وحينئذ فيجب أن يكون (والفقير) بواو العطف ، وإذا ذكر معه[٣] بغير حرف العطف فهو من صفة البائس .

والبائس : الذي ناله[٤] بؤس ، وهو شدة الفقر . يقال : قد بؤس وبئس ، إذا صار ذا بؤس . ذكر ذلك الزَّجَّاج[٥] .

وروي عن ابن عباس : أنه فسر البائس هاهنا بالزَّمِن[٦] .

---

(١) رواه سعيد بن منصور في تفسيره : ل١٥٦ ب ، والطبري ١٧/ ١٤٨ عن إبراهيم من دون قوله : (وكان أهل . . . .)
وذكره ابن كثير في تفسيره ٣/ ٢١٧ عن إبراهيم بنحو ما ذكره الواحدي مع تقديم وتأخير .
وذكره عنه السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٣٧ بلفظ كان المشركون لا يأكلون ذبائح نسائكهم ، فأنزل الله (فكلوا . . . . فرخص للمسلمين ، فمن شاء . . . .)
وعزاه لعبدالرزاق وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم . وعن مجاهد رواه الطبري ١٧/ ١٤٨ من دون قوله : وكان المشركون .

(٢) ذكره عنه الرازي ٢٣/ ٢٩ .

(٣) (معه) : ساقطة من (ظ) و(د) و(ع) .

(٤) في (أ) : (يناله) .

(٥) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٤٢٣ .

(٦) رواه الطبري ١٧/ ١٤٨ من رواية العوفي عنه .

وقال عطاء ومجاهد : هو الذي يسألك[١] ويمد إليك يده[٢] .

قال أصحابنا : من أهدى أو ضحى فحسن أن يأكل النصف ويتصدق بالنصف لقوله : ﴿فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا﴾ . فتقسم الأضحية على هذين الأمرين[٣] ، ومنهم من قال : يقسمها أثلاثاً لما روى أن النبي ﷺ قال : «إنما نهيتكم عن أكل لحوم الأضاحي لأجل الدافة التي دفت ، ألا فكلوا[٤] وادخروا[٥] وائتجروا»[٦] أي اطلبوا الأجر بالإطعام . فيقسمها أثلاثاً على الأوامر الثلاثة[٧] .

الدافة الجماعة التي[٨] يدفون ؛ أي يسيرون سيراً ليس بالشديد[٩] . ولعل قوماً وردوا على رسول الله ﷺ ، فنهى أصحاب الضحايا عن أكلها لتشبع الواردة[١٠] .

---

(١) في (أ) : (يسأل) .

(٢) رواه الطبري ١٧/ ١٤٩ . وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٣٨ . وعزاه لعبد بن حميد .

(٣) انظر : الحاوي الكبير للماوردي ٤/ ٣٨٠ ، وروضة الطالبين للنووي ٣/ ٢٢٣ .

(٤) في (ظ) و(د) و(ع) : (كلوا) .

(٥) في (أ) : (فادخروا) .

(٦) رواه الإمام أحمد في مسنده ٦/ ٥١ ، ومسلم في صحيحه في كتاب الأضاحي ٣/ ١٥٦١ ، وأبو داود في سننه في كتاب الأضاحي باب حبس لحوم الأضاحي ٨/ ٧ ، ٨ ، والنسائي في سننه في كتاب الضحايا ، باب الادخار من الضحايا ٧/ ٢٣٥ من حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ باللفظ المذكور هنا ، لكن في روايتهم (وتصدقوا) بدل (وائتجروا) .
وقد وردت هذه اللفظة في الحديث الذي رواه أبو داود في سننه في كتاب الأضاحي ، باب حبس لحوم الأضاحي ٨/ ٩ من حديث نبيشة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : إنا كنا نهيناكم عن لحومها أن تأكلوها فوق ثلاث لكي تسعكم ، فقد جاء الله بالسعة ، فكلوا وادخروا وائتجروا .

(٧) انظر : الحاوي الكبير ٤/ ٣٨٠ ، وروضة الطالبين ٣/ ٢٢٣ .

(٨) (التي) : ساقطة من (ظ) و(د) و(ع) .

(٩) ذكره الأزهري في تهذيب اللغة (دف) ١٤/ ٧٢ من رواية أبي عبيد ، عن أبي عمرو .

(١٠) في حديث عائشة الذي تقدم تخريجه : (دف أهل أبيات من أهل البادية حُضرة الأضحى زمن رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : «ادخروا ثلاثاً ثم تصدقوا بما بقي» الحديث .

٢٩. قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ﴾. قال أبو إسحاق: أهل اللغة لا يعرفون التفث إلَّا من التفسير[١].

وقال النضر: التفث: النسك من مناسك الحج، رجل تَفِث؛ أي مُغْبرٌّ[٢] شعث، لم يدَّهن ولم يستحد[٣].

قال الأزهري: لم يفسر أحد من اللغويين التفث كما فسره ابن شميل، جعل التفث الشعث، وجعل قضاءه إذهاب الشعث بالحلق وما أشبهه[٤].

وقال ابن الأعرابي في قوله: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ﴾: قال: قضاء حوائجهم من الحلق والتنظيف[٥].

وقال المبرِّد: التفث هاهنا فضول الشعر والأظفار من شعر الإبطين والعانة، وأصل التفث في كلام العرب: كل قاذورة تلحق الإنسان فيجب عليه نقضها. ﴿لْيَقْضُوا﴾؛ أي ليحكموا[٦] الأمر فيه[٧].

هذا كلام أهل اللغة في التفث، والأمر على ما قاله الزَّجَّاج، وليس له أصل في اللغة يسند إليه، وإنما عرف ذلك من التفسير. ويشبه أن يكون الأمر على ما ذكره المبرِّد من[٨] أن التفث معناه في اللغة: الوسخ والقذارة من طول الشعر والأظفار.

---

(١) معاني القرآن للزَّجَّاج ٤/ ٤٢٣.
(٢) في (أ): (مغير).
(٣) قول النضر بن شميل في تهذيب اللغة للأزهري (تفث) ١٤/ ٢٦٦.
(٤) تهذيب اللغة للأزهري (تفث) ١٤/ ٢٦٦.
(٥) قول ابن الأعرابي في تهذيب اللغة للأزهري (تفث) ٤/ ٢٦٧.
(٦) في (أ): (فيحكموا).
(٧) ذكره الرازي ٢٣/ ٣٠ عن المبرِّد.
(٨) (من): ساقطة من (أ).

والقلم والحلق من أعمال الحج ، ثم سمى أعمال الحج كلها التفث . يدل[١] على هذا ما روي عن عكرمة أنه قال : التفث : الشعر والظفر[٢] . يعني ما طال منهما .

قال ابن عباس في رواية عطاء : يريد الذبح ، وحلق الرأس والشعر كله ، وقص الأظفار[٣] .

وقال في رواية الوالبي : هو وضع الإحرام بحلق الرأس ، وقص الأظفار ، ولبس الثياب ، ونحوها[٤] .

وقال في رواية عكرمة : قضاء النسك كله[٥] .

---

(١) في (ظ) : (ويدل) .

(٢) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان ٣/ ٥١ ب . ورواه ابن أبي شيبة في مصنفه ٤/ ٨٤ ، والطبري ١٧/ ١٤٩ .

(٣) روى سعيد بن منصور في تفسيره ١٥٦ أ ، وابن أبي شيبة في مصنفه ٤/ ٨٥ ، والطبري في تفسيره ١٧/ ١٤٩ ، والأزهري في تهذيب اللغة ١٤/ ٢٦٦ من طريق عبدالملك بن أبي سليمان ، عن عطاء ، عن ابن عباس قال في التفث : حلق الرأس ، والأخذ من العارضين ، ونتف الإبط ، وحلق العانة ، والموقف بعرفة ، والسعي بين الصفا والمروة ، رمي الجمار ، وقص الأظفار ، وقص الشارب ، والذبح . هذه رواية سعيد بن منصور وليس في رواية ابن أبي شيبة ذكر الموقف بعرفة أو السعي ، ورواية الطبري نحو رواية سعيد ، ورواية الأزهري نحو رواية ابن أبي شيبة .

(٤) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان ٣/ ٥١ ب من رواية الوالبي . وورواه الطبري ١٧/ ١٥٠ من رواية الوالبي ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٤٠ وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٥) ذكره ابن الجوزي ٥/ ٤٢٦ وابن كثير في تفسيره ٣/ ٢١٧ من رواية عكرمة ، عنه .

وهو قول ابن عمر[١] ، ومجاهد[٢] ، والقرظي[٣] أنه مناسك الحج : من الوقوف والطواف ، والسعي ، ورمي الجمار ، وأخذ الشارب ، ونتف الإبط ، وحلق العانة ، وقص الأظفار .

قال أبو إسحاق : كأنه الخروج من الإحرام إلى الإحلال[٤] .

قال أصحابنا : ذكر الله -تعالى- النحر في الآية الأولى في قوله : ﴿وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ ثم عقب ذلك بقضاء التفث ؛ فدل على أن ترتيب أفعال يوم النحر : أن يبدأ الحاج بنحر الهدي بعد رمي الجمار ثم بالحلق ، وهذا من طريق الندب بالسنة لا من طريق الوجوب[٥] .

وأفعال يوم النحر أربعة : الرمي ، والنحر ، والحلق ، والطواف ، وهو طواف الفرض . ويسعى بين الصفا والمروة إن لم يكن سعى على إثر طواف القدوم ، وإن كان قد سعى يحسب له ذلك[٦] من فرض حجه ؛ لأن السعي يجوز أن يتقدم على الوقوف بعرفة ، ولكن لا يصح سعي إلَّا في إثر طواف[٧] . وطواف الفرض لا يصح إلَّا بعد الوقوف بعرفة . وتقديم أفعال يوم النحر بعضها على بعض يجوز[٨] ،

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه ٤/ ٨٥ ، والطبري ١٧/ ١٤٩ . وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٣٩ وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر .

(٢) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه ٤/ ٨٥ ، والطبري ١٧/ ١٤٩ . وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٤٠ وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٣) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه ٤/ ٨٥ ، والطبري ١٧/ ١٤٩ . وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٤٠ وعزاه لابن أبي شيبة .

(٤) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٤٢٤ .

(٥) انظر : الحاوي ٤/ ١٨٦ ، والمغني ٥/ ٣٢٠ ، وروضة الطالبين ٣/ ١٠٢ .

(٦) (ذلك) : ساقطة من (أ) .

(٧) انظر : الحاوي ٤/ ١٥٧ ، والمغني ٥/ ٢٤٠ ، وروضة الطالبين ٣/ ٩٠ .

(٨) وهذا قول جمهور العلماء . وقال أبو حنيفة : إن قدم الحلق على الرمي أو على النحر فعليه دم . والحديث الآتي ذكره دليل عليه .
انظر : الأم ٢/ ١٨٣ ، والحاوي ٤/ ١٨٦ ، ١٨٧ ، والمغني ٥/ ٣٢٠ ، وروضة الطالبين ٣/ ١٠٢ .

وما[١] سئل رسول الله ﷺ [يوم النحر][٢] عن شيء[٣] قدم أو أخر إلَّا قال : «افعل ولا حرج»[٤] .

والقراءة في تسكين لام ﴿لْيَقْضُوا﴾ وتحريكها ذكرنا وجهها عند قوله : ﴿ثُمَّ لْيَقْطَعْ﴾[٥] .

وقوله : ﴿وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ﴾ . قال ابن عباس : هو نحر ما نذروا من البدن[٦] . وقال مجاهد : يعني نذر الحج والهدي ، وما نذر الإنسان من شيء يكون في الحج[٧] . والمعنى : وليوفوا بما[٨] نذروا لله من هدي وبدنة وغير ذلك .

وقال بعضهم : يعني الذين نذروا أعمال البر في أيام حجهم أمرهم الله بالوفاء بها[٩] . وربما ينذر الرجل أن يتصدق إن رزقه الله لقاء الكعبة[١٠] . وإن كان على الرجل نذور مطلقة لا يتقيد بأهل بلدة[١١] مخصوصة فالأفضل[١٢] أن يتصدق

---

(١) في (د) و(ع) : (ومما) ، وهو خطأ .

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ع) .

(٣) في (ظ) : (عن شيء يوم النحر) ، تقديم وتأخير .

(٤) رواه البخاري في صحيحه في كتاب الحج ، باب الفتيا على الدابة عند الجمرة ٣/ ٥٦٩ ، ومسلم في صحيحه في كتاب الحج ، باب من حلق قبل النحر أو نحر قبل الرمي ٢/ ٩٤٨ من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما .

(٥) في (أ) : (ثم ليقضوا) ، وهو خطأ .

(٦) رواه الطبري ١٧/ ١٥٠ من رواية علي بن أبي طلحة ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٤٠ وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٧) رواه الطبري ١٧/ ٤٠ . وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٤٠ مختصراً ، وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٨) في (أ) : (مما) .

(٩) ذكره ابن الجوزي ٥/ ٤٢٧ من غير نسبة لأحد .

(١٠) يعني رؤية الكعبة .

(١١) في (ظ) و(د) و(ع) : (بلد) .

(١٢) في (أ) : (والأفضل) .

ويهدي إلى الكعبة وأهلها ، فذلك قوله : ﴿وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ﴾ ؛ أي وليتموها بقضائها ، ولذلك لم يقل بنذورهم كما قال : ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ﴾ [التوبة :١١١] وقال : ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ﴾ [الفتح :١٠] لأن المراد به الإتمام . والإتمام لا يقتضي الجارة .

قوله : ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ ؛ يعني الطواف الواجب ، ويسمى[١] طواف الإفاضة ، لأنه يكون بعد الإفاضة من عرفات ، ويُسمى طواف الزيارة لأنه يزور البيت[٢] بعد الوقوف[٣] . ويكون هذا الطواف في يوم النحر أو بعده .

قال عطاء عن ابن عباس : إن كانت معك امرأة فإذا رميت[٤] جمرة العقبة وزرت البيت حلت لك ، وإن لم[٥] تكن معك امرأة فلا[٦] عليك أن تزور البيت حتى تفرغ من جميع أيام الجمار . يعني بالزيارة الطواف .

---

(١) في (أ) : (وسمي) .
(٢) في (أ) : (إليها) ، وهو خطأ .
(٣) في (أ) : (الطواف) ، وهو خطأ .
(٤) في (ظ) : (فارميت) ، وهو خطأ .
(٥) (لم) : ساقطة من (ظ) .
(٦) في (د) و(ع) : (ولا) .

قال أصحابنا : الآية تدل على وجوب الطواف بالبيت . فلو طاف فدخل[١] الحجر أو مشى على جدار الحجر لم يحسب طوافه ؛ لأنه طاف في البيت[٢] ، وذلك أن الحجر من البيت[٣] .

وقوله ﴿ٱلْعَتِيقِ﴾ روى[٤] ابن الزبير قال : قال رسول الله ﷺ : «إنما سَمَّى الله[٥] البيت العتيق ؛ لأن الله أعتقه من الجبابرة ، فلم يظهر عليه جبار قط»[٦] .

وهذا قول مجاهد وقتادة وابن عباس والكلبي[٧] ، قالوا : أُعتق من الجبابرة ، فلم يسلط عليه جبار أراد دخوله ، ولكن يذل له ويتواضع .

---

(١) في (ظ) : (ودخل) ، وفي (د) و(ع) : (أو دخل) .

(٢) في (ظ) : (بالبيت) .

(٣) انظر : الأم ٢/ ١٥٠ ، ١٥١ ، والحاوي الكبير للماوردي ٤/ ١٤٩ ، وروضة الطالبين للنووي ٣/ ٨٠ ، ٨١ .

(٤) في (أ) : (وروى) .

(٥) في (د) و(ع) : (إنما سمي البيت العتيق) .

(٦) رواه البخاري في التاريخ الكبير ١/ ٢٠١ ، والترمذي في سننه في كتاب التفسير ، سورة الحج ٩/ ١٤ ، والبزار في مسنده كما في كشف الأستار ٢/ ٤٥ ، والطبري في تفسيره ١٧/ ١٥١ ، ١٥٢ ، والحاكم في مستدركه ٢/ ٣٨٩ ، والواحدي في الوسيط ٣/ ٢٦٨ ، ٢٦٩ كلهم من طريق عبدالله بن صالح كاتب الليث ، عن الليث ، عن ابن خالد بن مسافر ، عن الزهري ، عن ابن عروة بن الزبير ، عن عبدالله بن الزبير ، به .
وضعفه الهيثمي في مجمع الزوائد ٣/ ٢٩٦ ، بعبدالله بن صالح كاتب الليث .
وضعف هذا الحديث الألباني كما في ضعيف الجامع ٢/ ٢١٠ .

(٧) ذكره عن مجاهد وقتادة وابن عباس الثعلبي في الكشف والبيان ٣/ ٥١ ب . وعن مجاهد رواه عبدالرزاق في تفسيره ٢/ ٣٧ ، والطبري ١٧/ ١٥١ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٤١ وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم . وعن قتادة رواه الطبري ١٧/ ١٥١ . وعن ابن عباس رواه عبد بن حميد وابن أبي حاتم كما في الدر المنثور ٦/ ٤١ .

وهذا القول أكثر ما جاء في التفسير[١] . وقال سفيان بن عيينة : سمي بذلك لأنه لم يملك قط[٢] . هو قول مجاهد في رواية عبيد المكتب[٣] قال : ليس لأحد فيه شيء[٤] .

فعلى هذا ، يُسمي العتيق ؛ لأنه لم يدعه أحد من الناس .

قال الزَّجَّاج : وقيل ﴿ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾ الذي أعتق من الغرق أيام الطوفان[٥] ، ودليل هذا القول : ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ﴾ [الحج :٢٦] ، وهذا دليل أن البيت رفع وبقي مكانه[٦] .

وعلى هذه الأقوال العتيق بمعنى : المعتق .

يقال : أعتقت المملوك فهو معتق وعَتِيقٌ[٧] . فالبيت[٨] مُعتقٌ من الجبابرة ومن ملك الناس ومن الغرق .

---

(١) انظر : الطبري ١٧/ ١٥١ ، والكشف والبيان للثعلبي ٣/ ٥١ ب .

(٢) ذكره عن ابن عيينة الثعلبي في الكشف والبيان : (جـ٣ل ٥٢أ) . والبغوي ٥/ ٣٨٢ ، وابن الجوزي ٥/ ٤٢٨ .

(٣) هو عبيد بن مهران المكتب ، الكوفي ، مولى لبني ضَبَّة . روى عن مجاهد والشعبي وغيرهما . وهو ثقة قليل الحديث .
طبقات ابن سعد ٦/ ٣٤٠ ، والكشاف للذهبي ٢/ ٢٣٩ ، وتهذيب التهذيب ٧/ ٧٤ ، وتقريب التهذيب ١/ ٥٤٥ .

(٤) ذكره الثعلبي ٣/ ٥٢ أ .
ورواه عبدالرزاق في تفسيره ٢/ ٣٧ ، وقد تصحف فيه المكتب إلى المكتري ، والطبري ١٧/ ١٥١ عن مجاهد من رواية عبيد المكتب .

(٥) وهو قول سعيد بن جبير وعكرمة . انظر : ابن كثير ٣/ ٢١٨ ، والدر المنثور ٦/ ٤١ .

(٦) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٤٢٤ .

(٧) هذا قول الزَّجَّاج بنصه ٣/ ٤٢٤ .

(٨) في (أ) : (قال فالبيت) .

وقال الحسن : ﴿ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾ : البيت القديم[١] .

وهو قول ابن زيد[٢] ، ودليل هذا التأويل قوله : ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾ الآية [آل عمران :٩٦] . وعلى هذا القول : ﴿ٱلْعَتِيقِ﴾ : فعيل من عتق يعتق إذا صار عتيقاً قديماً[٣] . وقول من قال إن العتيق : بمعنى الكريم من قولهم : فرس عتيق ليس بشيء ؛ لأن معنى العتيق في الخيل : السابق ، يقال عتقت الفرس إذا سبقت الخيل فنجت[٤][٥] .

وليس يحسن هذا المعنى في البيت .

٣٠. قوله تعالى : ﴿ذَٰلِكَ﴾ قال أبو إسحاق : موضع (ذلك) رفع . المعنى : الأمر ذلك[٦] .

يعني ما ذكر من أعمال الحج .

وقوله : ﴿وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ﴾ . قال الليث : الحرمة ما لا يحل انتهاكه ، وتقول : فلان له حُرمة ؛ أي تحرم منا لصحبة[٧] أو حق[٨] .

وقال الزَّجَّاج : الحرمة : ما وجب القيام به ، وحرم التفريط فيه[٩] .

---

(١) ذكره عنه الزَّجَّاج ٣/ ٤٢٤ . وذكره السيوطي بمعناه في الدر المنثور ٦/ ٤١ وعزاه لابن أبي حاتم .
(٢) رواه الطبري ١٧/ ١٥١ .
(٣) انظر : تهذيب اللغة للأزهري (عتق) ١/ ٢١٠ ، والصحاح للجوهري ٤/ ١٢٥٠ .
(٤) (فنجت) : ساقطة من (أ) .
(٥) تهذيب اللغة للأزهري ١/ ٢١٠ من رواية أبي عبيد عن الأصمعي .
(٦) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٤٢٤ .
(٧) في (ظ) و(د) و(ع) : (الصحبة) ، وهو خطأ . وعند الأزهري : تحرم بنا بصحبة أو بحق .
(٨) تهذيب اللغة للأزهري (حرم) ٥/ ٤٤ نقلاً عن الليث ، وهو في العين ٣/ ٢٢٣ وفيه : بصحبة وبحق .
(٩) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٤٢٤ .

وأما معنى الحرمات هاهنا ، فقال عطاء : هي معاصي الله[١] .

وعلى هـذا الحرمات : هي ما نهي عنها ، ومنع مـن الوقوع فيها وانتهاكها ، وتعظيم حرمات الله ترك ما حرمه الله .

وقال مجاهد : الحرمة مكة والحج والعمرة ، وما نهى الله عنه من معاصيه[٢] .

فزاد مجاهد المناسك والمأمور بقيامها ، وقد جمع في هذا القول المأمور به والمنهي عنه [فالمأمور به من مناسـك الحج حرم التفريط فيه][٣] والمنهي عنه من المعاصي حرم ملابستها فهي كلها حرمات .

وقال ابن عباس في رواية عطاء : يريد فرائض الله عز وجل ، وسننه[٤] .

وهذا القول هو أجمع الأقوال ؛ لأنه يجمع المأمور به والمنهي عنه .

وكثير من أهل التأويل اختاروا في معنى الحرمات هاهنا أنها المناسك ، لدلالة ما يتصل بها من الآيات عليه ، فقال أبو إسحاق : ﴿حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ﴾ : الحج والعمرة وسائر المناسك . ثم قال : وكل ما فرضه الله فهو من حرمات الله[٥] .

يعني أن تفسـير الحرمات في هذه الآية ما ذكر ، ويجوز أن يسـمى الفرائض كلها حرمات الله ؛ لأنها مما يحرم التفريط فيها .

---

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٤٤ عنه ، وعزاه لعبد بن حميد .

(٢) رواه الطبري ١٧/ ١٥٣ ، وذكره السـيوطي في الدر المنثور ٦/ ٤٤ وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ظ) .

(٤) ذكره القرطبي ١٢/ ٥٤ من غير نسبة .

(٥) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٤٢٤ .

وقال ابن قتيبة : يعني رمي[١] الجمار ، والوقوف بجمع ، وأشباه ذلك ، وهي شعائر الله[٢] .

وهذه كلها[٣] من المناسك . وعلى هذا تعظيم المناسك : القيام بها .

وخص ابن زيد الحرمات بما يقع عليه اسم الحرام ، فقال : الحرمات هي خمس : البيت الحرام ، والبلد الحرام ، والشهر الحرام ، والمسجد الحرام ، والإحرام[٤][٥] .

ويدل على هذا التأويل قوله تعالى : ﴿وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ﴾ [البقرة :١٩٤] وقد مر .

وقوله : ﴿فَهُوَ﴾ ؛ أي التعظيم . والفعل يدل على المصدر ، فكنى عنه[٦] .
وقوله : ﴿خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ يعني في الآخرة .

وقال ابن عباس : فإن ذلك زيادة له في طاعة الله والمخافة منه .

وقوله : ﴿وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ﴾ ؛ يعني : الإبل والبقر والغنم ﴿إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ ؛ أي تحريمه يعني في سورة المائدة من الميتة والمنخنقة . الآية[٧] .

---

(١) (رمي) : ساقطة من (ظ) .
(٢) غريب القرآن لابن قتيبة ٢٩٢ .
(٣) في (ظ) و(د) و(ع) : (وهذا كله) .
(٤) (والإحرام) : ساقطة من (أ) .
(٥) رواه الطبري ١٧/ ١٥٣ وليس في روايته : هي خمس ، والإحرام ، وكذا ذكره الثعلبي في الكشف والبيان ٣/ ٥٢ أ بمثل رواية الطبري .
وذكره البغوي ٥/ ٣٨٣ بمثل رواية الواحدي من دون قوله : هي خمس . وذكره أبو حيان في البحر ٦/ ٣٦٦ بمثل رواية الواحدي لكن بدل الإحرام : المحرم حتى يحل .
(٦) انظر : البحر المحيط لأبي حيان ٦/ ٣٦٦ .
(٧) وهي الآية الثالثة من سورة المائدة .

قوله تعالى : ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ﴾ . الرجس : الشيء القذر . وكل قذر رجس[١] . وذكرنا الكلام فيه عند قوله :﴿رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ [المائدة :٩٠] وقوله : ﴿كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ﴾ [الأنعام :١٢٥] .

والأوثان : جمع وثن . قال شمر : الأوثان عند العرب : كل تمثال من خشب أو حجارة أو ذهب أو فضة أو نحاس ونحوها ، وكانت العرب تنصبها وتعبدها ، وكانت النصارى تنصب الصليب وتعظمه ، وهو كالتمثال ، ولذلك سماه الأعشى وثناً ، فقال :

تطوفُ[٢] العُفاةُ بأبوابهِ كطوفِ النصارى ببيتِ الوثنِ[٣]

أراد بالوثن : الصليب . وسمى رسول الله ﷺ الصليب وثناً كما سماه الأعشى[٤] ، وهو ما روي أن عدي بن حاتم قال : قدمت على النبي ﷺ ، وفي عنقي صليب من ذهب ، فقال : «ألق هذا الوثن عنك»[٥] أراد به الصليب[٦] .

---

(١) تهذيب اللغة للأزهري (رجس) ١٠/ ٥٨١ .

(٢) في (ظ) و(ع) : (تطوف) : وفي (د) : (يطوف) وفي (أ) : (بطوف) ، وفي تهذيب اللغة (تطوف) .

(٣) البيت في ديوانه ٢١ من قصيدة يمدح بها قيس بن معد يكرب ، والأضداد لابن الأنباري ٨٨ ، وتهذيب اللغة للأزهري (عفا) ٣/ ٢٢٤ ، و(وثن) ١٥/ ١٤٤ ، واللسان (وثن) ١٣/ ٤٤٣ . والعفاة : جمع عاف ومعتف ، وهو كل من جاءك يطلب فضلاً أو رزقاً . تهذيب اللغة للأزهري (عفا) ٣/ ٢٢٤ .

(٤) قوله : وسمى . . الأعشى . هذا من كلام الواحدي . أما شِمْر فإنه بعد أن فسَّر الوثن في البيت بالصليب قال : وقال عدي بن حاتم : قدمت .

(٥) أخرجه البخاري في التاريخ الكبير ٧/ ١٠٦ ، والترمذي في جامعه في كتاب التفسير ، سورة براءة ٨/ ٤٩٢ ، والطبري في تفسيره (شاكر) ١٤/ ٢١٠ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ٤/ ٤٢ ب ، والطبراني في الكبير ١٧/ ٩٢ ، والبيهقي في سننه ١٠/ ١١٦ .
وقد حسن هذا الحديث أبو العباس بن تيمية في كتابه الإيمان ٦٤ ، وحسنه الألباني في كتاب غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام ١٩ ، ٢٠ .

(٦) قول شمر في تهذيب اللغة للأزهرية (وثن) ١٥/ ١٤٤ .

واشـــتقاق هذا اللفـــظ من قولهم : وَثَـــن الشيء ، إذا قـــام في مكانه وثبت . والواثن : الشيء المقيم الراكد في مكانه . قال رؤبة :

على أخلاء الصَّفاء الوُثَّن[١]

[يعني الدوم[٢] على العهد][٣][٤] .

فســـمى الصنم وثناً ، لأنَّه ينصب ويركز في مكان فـــلا يبرح عنه . والمعنى : كونوا على جانب من الأوثان فإنها رجس .

قال ابن عباس : يريد عبادة الأوثان[٥] . وعلى هذا ، فالرجس عبادة الأوثان ، لأنها سبب الرجس ، وهو المأثم في قول الكلبي[٦] .

وقال عطاء عن ابن عباس : الرجس : العذاب[٧] . وهو قول ابن زيد[٨] .

---

(١) هذا الشـــطر من الرجز لرؤبة أنشـــده الأزهـــري في تهذيب اللغة ١٠/ ١٤٥ في ســـياق كلام نقله عن الليث ، ثم قال الأزهري : قال الليث : يروى بالثاء والتاء .
قال الأزهري : المعروف : وتَنَ يَتِنُ وتونا ، بالتاء . . ولم أســـمع (وثـــن) بهذا المعنى لغير الليث ، ولا أدري أحفظه عن العرب أم لا ؟ اهـ .
وهذا الشـــطر في لســـان العرب (وتن) و(وثن) ١٣/ ٤٤٢ . وهو في ديوان رؤبة ١٦٣ ضمن أرجوزة يمدح بها بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري ، وروايته في الديوان (الوُتَّنِ) .

(٢) (الدوم) : ساقط من (د) و(ع) .

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ظ) .

(٤) من قوله : الواثن : الشيء . . إلى هنا . نقلاً عن تهذيب اللغة للأزهري (وثن) ١٥/ ١٤٥ وهو منسوب فيه إلى الليث .

(٥) روى الطـــبراني ١٧/ ١٥٤ من طريق العوفي ، عن ابن عباس قال : فاجتنبوا طاعة الشـــيطان في عبادة الأوثان .

(٦) ذكره عنه البغوي في تفسيره ٣/ ١٨٧ .

(٧) ذكره البغوي ٣/ ١٨٧ ، وابن الجوزي ٣/ ١٢١ عن عطاء .

(٨) رواه عنه الطبري (شاكر) ١٢/ ١١١ .

وقال الزَّجَّاج : الرجس : اللعنة في الدنيا ، والعذاب في الآخرة[١] .

وهذه الأقوال ذكروها في قوله : ﴿كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ﴾ [الأنعام :١٢٥] .

قال الأخفش في هذه الآية : المعنى : فاجتنبوا الرجس الذي يكون منها . أي عبادتها[٢] .

وعلى هذا سميت عبادتها رجساً ؛ لأنها تؤدي[٣] إلى الرجس الذي هو اللعنة والعذاب . وعلى قول الكلبي هي رجس ؛ لأنها مأثم .

وقال أبو إسحاق : (من) هاهنا تخليص[٤] جنس من أجناس[٥] ، المعنى : فاجتنبوا الرجس الذي هو وثن[٦] .

وهذا قول أكثر أهل التأويل جعلوا (من) هاهنا تبييناً للجنس . وعلى هذا ، الرجس : الوثن ، سمي رجساً كما سمي عبادتها[٧] رجساً في القول الأول . وليس الرجس في هذه الآية من القذارة والاستقذار في شيء .

---

(١) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٢٩٠ .

(٢) معاني القرآن للأخفش ٢/ ٦٣٨ .

(٣) في (أ) : (لا تؤدي) ، وهو خطأ .

(٤) عند الزَّجَّاج في معانيه : (لتخليص) .

(٥) هو أن تذكر شيئاً تحته أجناس ، والمراد أحدها ، فإذا أردت واحداً منها بينته ، كهذه الآية . فلو اقتصر على الرجس لم يعلم المراد ، فلما صرح بذكر الأوثان علم أنها المراد من جنس الرجس . وقرنت بـ(من) للبيان .
انظر : شرح المفصل لابن يعيش ٨/ ١٢ ، ومغني اللبيب لابن هشام ١/ ٣٤٩ ، ٣٥٠ ، والبرهان للزركشي ٤/ ٤١٧ .

(٦) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٤٢٥ .

(٧) في (أ) : (عادتها) .

وقال المبرد : ﴿فَٱجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ﴾ والأوثان كلها رجس ، وتأويله والله أعلم : فاجتنبوا الرجس[١] المضاف إلى هذا الاسم ، كما قال -عز وجل- في وصف أصحاب نبيه ﷺ ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح :٢٩] وكلهم مؤمن ، ولكن تأويله -والله أعلم- المضافين إلى هذا الوصف . قال : ومن ذلك قول سيبويه في أول كتابه : هذا باب علم ما الكلم من العربية[٢] ؛ أي ما الكلم المضاف إلى هذه اللغة التي يقال لها العربية ؛ لأن الكلم بعضها ، كما أن الرجس ليس بعض الأوثان . انتهى كلامه[٣] .

وهذا هو معنى ما ذكره الزَّجَّاج .

قوله تعالى : ﴿وَٱجْتَنِبُواْ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾ . الزور[٤] : الباطل والكذب[٥] .

واختلفوا في معنى قول الزور هاهنا فذهب قوم إلى أنه الشرك بالله . وهو أن أهل الجاهلية كانوا يقولون في تلبيتهم : لبيك لا شريك لك إلا شريك[٦] هو لك[٧] ، يريدون الصنم .

---

(١) (الرجس) : ساقط من (أ) .

(٢) الكتاب لسيبويه ١/ ١٢ .

(٣) لم أقف عليه .

(٤) (الزور) : ساقطة من (أ) . ومكانها : (حنفاء لله) .

(٥) تهذيب اللغة للأزهري ١٣/ ٢٣٨ نقلاً عن ابن السكيت .

(٦) هكذا في النسخ جميعها . وفي (البسيط) ، وعند الثعلبي : إلَّا شريكاً .

(٧) هذا قول مقاتل بن حيان رواه عنه ابن أبي حاتم في (تفسيره) كما في الدر المنثور للسيوطي ٦/ ٤٥ .

وقال عطاء عن ابن عباس : يريد قولهم : الملائكة بنات الله . وروى خريم بن فاتك[١] : أن النبي ﷺ قام خطيباً ، فقال : «عدلت شهادة الزور بالشرك بالله» . مرتين ، ثم قرأ هذه الآية[٢] . يريد أنه قد جمع في النهي بين عبادة الوثن وشهادة الزور[٣] .

وهذا قول عبدالله بن مسعود[٤] ، ووائل بن ربيعة[٥] .

---

(١) هو خُريم بن فَاتِك بن الأخْرم ويقال : خريم بن الأخرم بن شداد بن عمرو بن فاتك الأسدي أسد خزمة ، أبو أيمن ، ويقال : أبو يحيى . له صحبة . قيل : إنه شهد بدراً ، وقيل : لم يشهدها وإنما شهد الحديبية ، وقيل : إنما أسلم يوم الفتح ، توفي في عهد معاوية .
طبقات ابن سعد ٦/ ٣٨ ، والاستيعاب ٢/ ٤٦ ، وأسد الغابة ٢/ ١١٢ ، والإصابة ١/ ٤٢٣ .

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده ٤/ ٣٢١ ، وأبو داود في سننه في كتاب القضاء ، باب في شهادة الزور ١٠/ ٧ ، وابن ماجه في سننه في كتاب الأحكام ، شهادة الزور ٢/ ٥٠ كلهم من طريق سفين بن زياد العصفري ، عن أبيه ، عن حبيب بن النعمان ، عن خريم بن فاتك : أن النبي ﷺ صلى الصبح ، فلما انصرف قام قائماً فقال : . . الحديث . وليس في رواية الإمام أحمد تكرار القول . وعند أبي داود وابن ماجه : ثلاث مرات .
ورواه الطبري ١٧/ ١٥٤ مختصراً . ورواه الطبراني في الكبير ٤/ ٢٠٩ بمثل رواية أبي داود وابن ماجه .
قال الزيلعي في كتابه تخريج أحاديث الكشاف ٢/ ٣٨٣ ، ٣٨٤ : قال ابن القطان في كتابه الوهم والإيهام : حديث خريم ـ وتصحف في المطبوع إلى خزيم بن فاتك ـ لا يصح ؛ لأنه من رواية زياد العُصفري وهو مجهول ، عن حبي بن النعمان الأسدي ولا يعرف بغير هذا ولا يعرف حاله . اهـ .
وضعفه أيضاً الألباني في تعليقه على كتاب الإيمان لأبي عبيد ١٠٠ ، وأعله بالجهالة والاضطراب .

(٣) قال أبو عبيد القاسم بن سلام في كتابه الإيمان ١٠٠ معلقاً على الحديث والآية : نهى الله عنهما معاً في مكان واحد ، فهما في النهي متساويان ، وفي الأوزار والمأثم متفاوتان .

(٤) رواه عبدالرزاق في مصنفه ٨/ ٩٣٢٧ ، وابن أبي شيبة في مصنفه ٧/ ٢٥٧ ، والطبري في تفسيره ١٧/ ١٥٤ ، والطبراني في الكبير ٩/ ١١٤ .
وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٤/ ٢٠١ : وإسناده حسن .
وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٤٥ وعزاه لعبدالرزاق والفريابي وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر والطبراني والخرائطي في مكارم الأخلاق ، والبيهقي .

(٥) وائل بن ربيعة ، روى عن ابن مسعود ، يُعَد في الكوفيين ، روى عنه المسيب بن رافع وشمر بن عطية . =

وذكر أبو إسحاق قولاً آخر، فقال: الآية تدل على أنهم نُهُوا أن يُحرِّمُوا ما حرم أصحابُ الأوثان نحو قولهم: ﴿مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا﴾ [الأنعام: ١٣٩]، ونحو تحريمهم[١] البحيرة والسائبة[٢]، فأعلمهم الله -عز وجل- أن الأنعام محللة إلا ما حرم منها، ونهاهم الله عن قول الزور وهو أن يقولوا: هذا حلال وهذا حرام ليفتروا على الله كذباً[٣][٤].

٣١. وقوله: ﴿حُنَفَآءَ﴾. قال ابن عباس: يريد موحدين. وهذا كقول من قال: مسلمين مستقيمين على الدين[٥]. والحنيف: المائل عن الأديان كلها إلى دين الإسلام[٦].

= هذا مجموع ما قاله عنه ابن سعد في طبقاته ٦/ ٢٠٤، والبخاري في التاريخ الكبير ٨/ ١٧٦٠، وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ٩/ ٤٣، وابن حبان في الثقات ٥/ ٤٩٥. وروى هذا الأثر عنه سعيد بن منصور في تفسيره: ل١٥٦ أ، وابن أبي شيبة في مصنفه ٧/ ٢٥٩، والطبري في تفسيره ١٧/ ١٥٤.

(١) تصحفت في المطبوع من معاني الزَّجَّاج إلى: نحرهم.

(٢) البحيرة: هي الناقة التي كان أهل الجاهلية يشقون في أذنها شقاً، والبحر في كلام العرب: الشق.
والسائبة: هي المسيبة المخلاة. وكان أهل الجاهلية يفعل ذلك أحدهم ببعض مواشيه، فيحرم الإنفاع به على نفسه، أو يجعله لبعض آلهته.
وبين أهل التفسير خلاف في صفة البحيرة والسائبة، وكيفية عمل أهل الجاهلية فيها، والسبب الذي من أجله كانوا يفعلون ذلك.
انظر: تفسير الطبري ١١/ ١١٦-١٣٤، وتهذيب اللغة للأزهري (بحر) ٥/ ٣٧، ٣٨، (سيب) ١٣/ ٩٩، وتفسير ابن كثير ٢/ ١٠٧، ١٠٨.

(٣) في (أ): (الكذب)، والمثبت من باقي النسخ هو الموافق لما في معاني الزَّجَّاج.

(٤) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٤٢٥. قال النحاس في معاني القرآن ٤/ ٤٦ بعد ذكره للأقوال في معنى الزور: والمعاني متقاربة، وكل كذب وزور، وأعظم ذلك الشرك.
ثم قال: والذي يوجب حقيقة المعنى. فذكر قول أبي إسحاق من غير نسبة.

(٥) ذكر الماوردي في النكت ٤/ ٢٣ عن الضحاك قال: مسلمين لله.

(٦) انظر: تهذيب اللغة للأزهري (حنف) ٥/ ١١٠.

وهذا القول اختيار الزَّجَّاج ؛ لأنه قال : تأويله : مسلمين لا يميلون إلى دين غير[١] الإسلام[٢] .

وقال مجاهد : ﴿حُنَفَآءَ﴾[٣] متبعين[٤] . والحنيفية عند مجاهد اتباع الحق . وقال السدي والحسن : حَجَّاجاً[٥] .

والحنيفية عند العرب حج البيت[٦] . وذكرنا الكلام في هذا عند قوله : ﴿بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا﴾ [البقرة :١٣٥] .

قوله : ﴿غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ﴾ . قال الكلبي : غير مشركين بالله في التلبية ، وذلك أن أهل الجاهلية كانوا يشركون في تلبيتهم بقولهم[٧] : إلَّا شريك هو لك .

---

(١) (دين) : زيادة من (أ) .

(٢) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٤٢٥ .

(٣) في (أ) : (حنيفاً) ، وهو خطأ .

(٤) رواه الطبري (شاكر) ٣/ ١٠٧ ، عند قوله : ﴿بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا﴾ [البقرة :١٣٥] .
وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٤٦ وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٥) روى ابن أبي حاتم في تفسيره ١/ ٣٩٦ ، ٣٩٧ عن ابن عباس في قوله : ﴿حَنِيفًا﴾ يقول : حاجاً . ثم قال ابن أبي حاتم : وروى الحسن ، والضحاك ، وعطية ، والسدي ، نحو ذلك .
وروى الطبري في تفسيره ٣/ ١٠٤ ، ١٠٦ عن كثير بن زياد قال : سألت الحسن عن الحنيفية قال : هو حج هذا البيت .
وروى الأزهري في تهذيب اللغة ٥/ ١١٠ بإسناده عن مرزوق قال : سمعت الضحاك يقول في قوله : ﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ﴾ قال : حجاجاً . وكذلك قال السدي قال : حنفاء : حجاجاً .

(٦) انظر : تهذيب اللغة للأزهري (حنف) ٥/ ١١٠ ، ولسان العرب (حنف) ٩/ ٥٧ .

(٧) في (ظ) : (يقولون) .

وقال عبدالله بن القاسم[١] مولى أبي بكر رضي الله عنه : كان الناس يحجون وهم مشركون ، وكانوا يُسمون الحنفاء ، لأن العرب تسمي الحاج : الحنيف ، فلما أسلموا نزلت ﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ﴾[٢] .

أي كما أنهم كانوا حنفاء مشركين فأنتم حنفاء غير مشركين بالله .

ثم ضرب لمن أشرك مثلاً ، فقال : ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ﴾ [أي سقط][٣] ﴿مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ﴾ . يقال : خَطِفَ يَخْطَفُ ، إذا أخذ بسرعة[٤] . وخَطَفَ يَخْطِفُ أيضاً[٥] . وذكرنا الكلام فيه عند قوله : ﴿يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ﴾ [البقرة : ٢٠] .

وقرأ نافع (فتخطِّفه الطير) بالتشديد[٦] . وإنما هو فتتخطِفه فحذف تاء التّفعّل[٧] ، وكلتا القراءتين حكاية حال تكون[٨] . قال ابن عباس : يريد تخطف لحمه .

---

(١) هو عبدالله بن القاسم ، التيمي ، البَصري ، مولى أبي بكر الصديق رضي الله عنه . رأى عمر ، وروى عن جابر وابن عباس وغيرهما . وثقه ابن حبان ، وقال ابن القطان : مجهول . وقال ابن حجر : مقبول . التاريخ الكبير للبخاري ٥/ ١٧٣ ، والثقات لابن حبان ٥/ ٤٦ ، والكاشف للذهبي ٢/ ١١٨ ، وتهذيب التهذيب ٥/ ٣٥٩ ، وتقريب التهذيب ١/ ٤٤١ .

(٢) رواه الطبري (شاكر) ٣/ ١٠٦ بنحوه . وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٤٥ بنحوه وعزاه لابن أبي حاتم .

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) .

(٤) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٤٢٥ .

(٥) انظر : تهذيب اللغة للأزهري (خطف) ٧/ ٢٤١_٢٤٣ .

(٦) السبعة ٤٣٦ ، والتبصرة ٢٦٦ ، والتيسير ١٥٧ . وقرأ الباقون بإسكان الخاء وتخفيف الطاء .

(٧) هكذا في (أ) ، وهو الموافق لما في الحجة للفارسي . وفي (ظ) : (الفعل) ، وفي (د) و(ع) : (التفعيل) .

(٨) هذا كلام أبي علي الفارسي في الحجة ٥/ ٢٧٦ .
وقال أبو منصور الأزهري في علل القراءات ٢/ ٤٢٤ : من قرأ (فتخطفه) والأصل (فتختطفه) فأدغم التاء في الطاء ، وألقيت حركة التاء على الخاء ففتحت . وبنحوه قال ابن خالويه في إعراب القراءات السبع وعللها ٢/ ٧٧ .
انظر أيضاً : حجة القراءات لابن زنجلة ٤٧٦ ، والكشف لمكي ابن أبي طالب ٢/ ١١٩ .

وقوله : ﴿أَوْ تَهْوِي بِهِ ٱلرِّيحُ﴾ ؛ أي تسقطه . يقال : هوى إذا سقط من أعلى إلى أسفل[١] . وقد مر[٢] .

قوله : ﴿فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ . قال ابن عباس وغيره : بعيد[٣] .

والسحق : البُعد . يقال : سحقاً له وبعداً ، وأسحقه الله سحقاً ، وإنه لسحيق : بعيد[٤] . والفعل منه[٥] سَحُقَ يَسْحَقَ[٦] .

قال قتادة : هذا مثل ضربه الله لمن أشرك به[٧] في بعده من الهدى وهلاكه[٨] .

وذكر أهل المعاني قول قتادة ، فقال الزَّجَّاج : هذا مثل ضربه الله للكافر في بُعده من الحق ، فأعلم أن بُعد من أشرك به من الحق كبعد من خر من السماء ، فذهبت به الطير أو هوت به الريح في مكان بعيد[٩] . ونحو هذا قال ابن قتيبة[١٠] .

وقال غيره : شبه حال المشرك[١١] بحال الهاوي من السماء في أنه لا يملك لنفسه حيلة حتى يقع حيث تسقطه الريح ، فهو هالك لا محالة إما باستلاب الطير

---

(١) انظر : تهذيب اللغة للأزهري (هوى) ٦/ ٤٨٨ .

(٢) انظر : البسيط عند قوله تعالى : ﴿وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ﴾ [طه :٨١] .

(٣) انظر : الطبري ١٧/ ١٥٥ ، والدر المنثور ٦/ ٤٦ .

(٤) تهذيب اللغة للأزهري (سحق) ٤/ ٢٤ عن الليث مع اختلاف يسير . انظر : العين (سحق) ٣/ ٣٧ .

(٥) في (أ) : (به) .

(٦) قال الفيروزآبادي في القاموس المحيط ٣/ ٢٤٤ : والسحق ، بالضم وبضمتين : البعد ، وقد سَحُق ككرم وعلم ، سُحقاً بالضم .

(٧) (به) : ساقطة من (ظ) .

(٨) رواه عبدالرزاق في تفسيره ٢/ ٣٨ ، والطبري ١٧/ ١٥٥ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٤٦ وعزاه لعبدالرزاق وابن جرير وابن أبي حاتم .

(٩) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٤٢٥ .

(١٠) انظر : غريب القرآن لابن قتيبة ٢٩٣ .

(١١) في (أ) و(د) و(ع) : (الشرك) .

لحمه ، وإما بسقوطه في المكان السحيق ، كذلك الكافر لا يملك لنفسه شيئاً ولا دفع ضر يوم القيامة حتى يقع في النار ، فهو هالك لا محالة[١] .

وقال أبو علي الفارسي : المعنى في هذا[٢] أنه قوبل به قوله : ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ﴾ [البقرة :٢٥٦] فكما كان المؤمن في إيمانه متمسكاً بالعروة الوثقى][٣] ، كان المشرك بعكس ذلك فلم يتمسك لكفره[٤] وشركه بشيء يتعلق به ، ولم يتمسك بما له فيه أمان من الخُرُور ونجاةٌ من الهُوي واختطاف الطير له ، كالمؤمن المتمسك بإيمانه فصار كمن خر من السماء ، فهوت به الريح ، فلم يكن له في شيء من ذلك مُتعلق ولا معتصم فيكون له ثبات[٥] .

٣٢. قوله تعالى : ﴿ذَٰلِكَ﴾ ؛ أي الأمر ذلك ، كما قلنا في قوله : ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ﴾ ذكره المبرِّد عن سيبويه في هذه الآية[٦] .

قوله : ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾ . قال مجاهد في رواية الحكم وابن أبي نجيح يعني استعظام البدن ، واستسمانها ، واستحسانها[٧] .

---

(١) ذكر الثعلبي في الكشف والبيان ٣/ ٥٢ أنحو هذا المعنى باختصار ، ونسبه إلى أهل المعاني . وذكره البغوي ٥/ ٣٨٤ إلى قوله : المكان السحيق . ولم ينسبه لأحد .

(٢) في (ظ) : (هذه) . وفي (ع) : (ذلك) .

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ظ) و(د) و(ع) .

(٤) في (ظ) : (مكفره) . وفي (د) و(ع) : (بكفره) .

(٥) الحجة لأبي علي الفارسي ٥/ ٢٧٦ .

(٦) لم أقف عليه .

(٧) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه ، القسم الأول من الجزء الرابع ٢٩٥ من رواية الحكم ، ولكن ليس فيها : واستسمانها .
ورواه عبد بن حميد في تفسيره كما في تغليق التعليق لابن حجر ٣/ ٨٧ ، والطبري ١٧/ ١٥٦ من طريق ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، به .

وقال ابن عباس في رواية عطاء : يريد الهدي إذا أشعر وقلد ، ثم نحر حتى يسيل دمه ، ثم وقف في موقف عرفة .

فعلى هذا ، يعني بتعظيم شعائر الله : استعظام الهدايا والضحايا .

والشعائر : جمع شعيرة ، وهي البدن يقال : أشعر الرجل بدنته ، إذا جعل عليها علامة ليعلم أنه أوجبها بدنة[١] وهو مذهب الشافعي[٢] -رحمه الله- في الإبل والبقر بجرح سنامها من الجانب الأيمن وهي مستقبلة القبلة كما فعل رسول الله ﷺ . وأما الغنم فإنها ضعيفة لا تحتمل الإشعار . والشعيرة بمعنى المُشْعَرة ، وذكرنا الكلام في هذا عند قوله : ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة :١٥٨] .

وعلى هذا القول ، المُهْدِي مندوب إلى طلب الأسمن والأعظم من الهدايا لقوله تعالى : ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ ومن الشعائر التي أريد بها الضحايا قول الكُميت :

نُقَتِّلُهُم جيلاً فجيلاً نَرَاهُمُ شَعائِرَ قُرْبَانٍ بِهِم يُتَقَرَّبُ[٣]

وهذا القول اختيار الزَّجَّاج ؛ لأنه قال : والذي يعني به هاهنا البُدن[٤] .

---

(١) انظر : تهذيب اللغة للأزهري (شعر) ١/ ٤١٧ ، والصحاح للجوهري ٢/ ٦٩٨ ، ولسان العرب ٤/ ٤١٣ .

(٢) انظر : الأم ٢/ ١٨٣ ، والحاوي الكبير ٤/ ٣٧٢ ، ٣٧٣ ، وروضة الطالبين ٣/ ١٨٩ .

(٣) البيت في هاشميات الكميت ٦٧ ، بمثل الرواية هنا . وفي مجاز القرآن لأبي عبيدة ١/ ١٤٦ منسوباً للكميت ، وفيه : تراهم . . . بها يتقرب . وهو في تهذيب اللغة للأزهري (شعر) ١/ ٤١٨ ، واللسان (شعر) ٤/ ٤١٤ ، وتاج العروس للزبيدي (شعر) ١٢/ ١٩٠ من إنشاد أبي عبيدة وبمثل روايته ، من غير نسبة للكميت .
قال أبو رياش القيسي في شرحه لهاشميات الكميت ٦٧ : جيلاً فجيلاً : جيشاً وخلقاً بعد خلق . يقول : نجعل قتل الخوارج قربة إلى الله كما تُقرب الشعائر إلى الله .

(٤) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٤٢٦ .

وقوله : ﴿فَإِنَّهَا﴾ . قال الفرَّاء : يريد : فإن الفعلة كما قال : ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأعراف :١٥٣] ومن بعده جائز . ولو قيل : فإنه من تقوى القلوب كان جائزاً . هذا كلامه[١] .

وليس بقوي ولا ظاهر هاهنا ، والصحيح أن المعنى : فإن تعظيمها ، فحذف المضاف لدلالة ﴿يُعَظِّمْ﴾ على التعظيم كما قال : ﴿وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ﴾ [الحج :٣٠] فكنى عن التعظيم لما دل يعظم عليه ، كذلك هاهنا حذف التعظيم لما كان يعظم يدل عليه ، والمعنى : فإن[٢] اتخاذ البدن من أعظمها وأسمنها من تقوى القلوب .

قال ابن عباس : يريد من التقوى الذي اتقاه المتقون .

وأضاف التقوى إلى القلوب لأن حقيقة التقوى تقوى القلوب[٣] ، كما روي في الحديث أن النبي ﷺ قال : «التقوى هاهنا» وأشار إلى صدره[٤] .

٣٣. قوله تعالى : ﴿لَكُمْ فِيهَا﴾ ؛ أي في الشعائر ﴿مَنَٰفِعُ﴾ ؛ أكثر أهل التفسير على أن المراد بهذا : أن[٥] في الهدايا منافع لصاحبها إلى أن يسميها هدياً ويشعرها ، فله منافع رسلها[٦] ونسلها وأصوافها وأوبارها وركوب

(١) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٢٥ .
(٢) (فإن) : ساقطة من (ظ) .
(٣) انظر : القرطبي ١٢/ ٥٦ .
(٤) هذا قطعة من حديث رواه الإمام أحمد في مسنده ٢/ ٢٧٧ ، ومسلم في صحيحه في كتاب البر والصلة ، باب تحريم ظلم المسلم ٤/ ١٩٨٦ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .
(٥) (أن) : ساقطة من (أ) .
(٦) رسلها : أي لبنها . لسان العرب (رسل) ١١/ ٢٨٢ .

ظهورها[١] ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّى﴾ وهو أن يسميها هدياً فتنقطع المنافع بعد ذلك .

وهذا قول مجاهد ، وعطاء ، والضحاك ، وقتادة ، ورواية مقسم عن ابن عباس ، والكلبي[٢] ، قال : تُحلب وتركب إلى أن تُقلَّد وتُسمَّى .

وهؤلاء لا يرون الانتفاع بلبنها ولا بوبرها ولا بظهرها بعد أن سُميت هدياً ، ويقولون : لا ينتفع بها غير أهل الله[٣] ، إلَّا عند الضرورة المخوف معها الموت .

وروى ابن أبي نجيح ، عن عطاء بن أبي رباح في قوله : ﴿لَكُمۡ فِيهَا﴾ ؛ أي في الهديا منافع ، قال : هو ركوبها وشرب لبنها إن احتاج ، ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّى﴾ إلى أن تنحر[٤] .

وهذا مذهب الشافعي[٥] رحمه الله ، وعنده أن المُهْدِي لو ركب هديه ركوباً غير فادح[٦] فلا بأس ، لما روي أن النبي ﷺ مر برجل يسوق بدنة ، فأمره بركوبها ،

---

(١) في (أ) : (ظهرها) .

(٢) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان ٣/ ٥٢ عنهم جميعاً إلَّا الكلبي .
ورواه الطبري في تفسيره ١٧/ ١٥٧ ، ١٥٨ عنهم إلَّا الكلبي .
وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٤٦ عن مجاهد ، وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير . وابن أبي حاتم .
ورواه سعيد بن منصور في تفسيره : ل١٥٦ أ عن عطاء والضحاك ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٤٦ عنهما ، وعزاه لسعيد بن منصور وعبد بن حميد ابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٣) يعني : فقراء الحرم .

(٤) رواه الطبري ١٧/ ١٥٨ عن عطاء من طريق ابن أبي نجيح إلى قوله : إن احتاج .
أما قوله : ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّى﴾ إلى أن تنحر ، فرواه الطبري ١٧/ ١٥٨ من رواية ابن جريج قال : قال عطاء : فذكره .

(٥) انظر : الأم ٢/ ١٨٣ ، والحاوي للماوردي ٤/ ٣٧٦ ، ٣٧٧ ، وفتح الباري ٣/ ٥٣٧ .

(٦) غير فادح : غير مثقل . لسان العرب (فدح) ٢/ ٥٤٠ .

وقال : «اركبها» . فقال : إنها هدي . فقال : «اركبها» . فقال : إنها هدي . فقال : «اركبها ويحك»[١] .

وله أن يحلب لبنها ، والآيـة تدل على هذا ؛ لأن قوله : ﴿لَكُمْ فِيهَا﴾ ؛ أي في الشعائر ، فالكناية عنها ، ولا تسمى شـعائر قبل إيجابها وتسميتها[٢] . وهذا يدل على إباحة الانتفاع بها وهي تسمى شعائر[٣] .

وعلى هذا القول ، المراد بالأجل المسمى : نحرها وذبحها .

وقوله : ﴿ثُمَّ مَحِلُّهَآ﴾ ؛ أي حيث يحل [نحرها . وذكرنا هذا عند قوله : ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ﴾ [البقرة :١٦٩] .

وقولـه : ﴿إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾ ؛ يعنـي عند البيت العتيـق . وهو][٤] الحرم كله ، قال رسول الله ﷺ : «كلُّ فِجاج مكة منحرٌ ومَذبح ، وكلُّ فِجاجِ مِنى مَنْحر ومَذْبح»[٥] .

---

(١) رواه بنحوه الإمام أحمد في مسنده ٣/ ٢٧٥ من حديث أنس رضي الله عنه ، لكن فيه (بدنه) بدل قوله : (هدي) .
ورواه بنحـوه البخاري في صحيحه في كتاب الحج ، باب ركوب البدن ٣/ ٥٣٦ ، ومسـلم في كتاب الحج ، باب جواز ركوب البدنة المهداة لمن احتاج إليها ٢/ ٩٦٠ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، لكن عندهما (بدنة) بدل (هدى) و(ويلك) بدل (ويحك) .

(٢) في (أ) : (تسمينها) ، وهو خطأ .

(٣) انظـر : الأم ٢/ ١٨٣ ، والحـاوي للـماوردي ٤/ ٣٧٦ ، وأحكام القرآن للكيـا الهراسي ٣/ ٢٨٢ ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٢/ ٥٦ ، ٥٧ .

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) .

(٥) رواه أبو داود في سـننه في كتاب الحج ، باب الصلاة بجمع ٥/ ٤١٣ ، وابن ماجه في سـننه في كتاب المناسك ، باب الذبح ٢/ ١٨٦ من حديث جابر ـ رضي الله عنه ـ مرفوعاً ، بلفظ : (كل عرفة موقف ، وكل منى منحر ، وكل المزدلفة موقف ، وكل فجاج مكة طريق ومنحر) .
وحسن هذا الحديث الزيلعي في نصب الراية ٣/ ١٦٢ . ومعنى فجاج : جمع فج وهو الطريق الواسع بين الجبلين . الصحاح للجوهري (فجج) ١/ ٣٣٢ .

وكثير من المفسرين يقولون : عني بالبيت العتيق : الحرم كله ؛ لأن الحرم كله منحر[١] .

وهذا وَهْمٌ لا يعبر عن الحـــرم بالبيت العتيق ولا يفهم ذلك منه ؛ لأن البيت اسم للبنية المعروفة ، فلا يقع على الحرم كله .

واحتج من قال بهذا بقول : ﴿فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا﴾ [التوبة :٢٨] يعني الحرم كله .

وهذا لا يُشبه قوله : ﴿ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾ ؛ لأن الحرم كله مسجد ، على معنى أنه يجوز الصلاة فيه[٢] كما روي في الحديث : «جُعِلت لي الأرضُ مسجداً»[٣] .

فسماها كلها مسجداً على المعنى الذي ذكرنا . والبيت لا يقع على الحرم كله ، لو كان الأمر على ما قالوا لقيل : ثم محلها البيت العتيق ، أي الحرم ، فلما قيل ﴿إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾[٤] دل عـــلى أن المعنى : عند البيت وما يقرب منه ؛ لأن (إلى) تضم الشيء إلى الشيء ، وتقربه منه[٥] .

---

(١) انظر : الطبري ١٧/ ١٦٠ ، والكشف والبيان للثعلبي ٣/ ٥٢ ب .

(٢) (فيه) : ساقطة من (أ) .

(٣) هـــذا قطعة من حديث رواه البخاري في صحيحه في كتاب الصـــلاة ، باب قول النبي ﷺ «جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً» ١/ ٥٣٣ ومسلم في صحيحه في كتاب المساجد ، ومواضع الصلاة ١/ ٣٧ من حديث جابر رضي الله عنه ، وأوله : «أُعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي» .

(٤) (العتيق) : زيادة من (أ) .

(٥) انظر : الأزهية في معاني الحروف ٢٨٢ ، ورصف المباني ١٦٩ ، والجنى الداني ٣٨٥ ، ٣٨٦ .

هذا الذي ذكرنا كله على قول من يقول الشعائر : الهدايا .

وقال آخرون : الشعائر المناسك[١] كلها ، ومشاهد[٢] مكة . وهي المعالم التي أمر الله بالقيام بها ، وندب إليها منها : عرفة ، والجمار ، والصفا والمروة ، والمشعر الحرام .

وهذا قول ابن زيد[٣] ، ورواية أبي رزين عن ابن عباس[٤] .

وعلى هذا ، معنى تعظيم الشعائر : توقيرها ، وترك الاستهانة بها .

قوله : ﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ﴾ ؛ أي بالتجارة والأسواق ، قال ابن عباس : لم يذكر منافع إلَّا للدنيا[٥] ﴿إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ إلى أن يخرج من مكة[٦] .

وقيل : ﴿مَنَافِعُ﴾ بالأجر والثواب لإقامة المناسك وتعظيم الشعائر ، ﴿إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ إلى انقضاء أيام الحج[٧] .

وقوله : ﴿ثُمَّ مَحِلُّهَا﴾ المحل[٨] على هذا القول مصدر أضيف إلى المفعول أي الحل من هذه الأعمال إلى البيت العتيق ، وهو الطواف به بعد قضاء المناسك .

---

(١) في (ع) : (الهدايلك) .
(٢) في (ظ) : (أي مشاهد) .
(٣) رواه الطبري ١٧/ ١٥٦ـ١٥٩ .
(٤) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان ٣/ ٥٢ ب من رواية أبي رزين ، عن ابن عباس .
(٥) في (أ) : (الدنيا) .
(٦) رواه الطبري ١٧/ ١٥٩ عنه من طريق أبي رزين إلى قوله : للدنيا . وذكر باقيه الثعلبي في الكشف والبيان ٣/ ٥٢ ب عنه من رواية أبي رزين .
(٧) الكشف والبيان للثعلبي ٣/ ٥٢ ب وصدره بقوله : وقال بعضهم .
(٨) (المحل) : ساقط من (ظ) و(د) و(ع) .

﴿إِلَى﴾ هاهنا صلة لفعل محذوف ، وهو القصد أو الحج . والمعنى : ثم محلكم أيها المحرمون حجكم وقصدكم ﴿إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾ بالزيارة والطواف .

وهذا معنى قول محمد بن أبي[١] موسى[٢] : محل المناسك الطواف بالبيت[٣] .

٣٤. قوله تعالى : ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ﴾ ؛ أي جماعة مؤمنة . يعني من الذين سلفوا وتقدموا ﴿جَعَلْنَا مَنسَكًا﴾ المنسك هاهنا : المصدر من نَسَك يَنْسُك ، إذا ذبح القربان[٤][٥] . وذكرنا معنى النسك في سورة البقرة[٦] . قال مجاهد في قوله : ﴿مَنسَكًا﴾ : يريد إهراقة الدماء[٧] .

وقال عكرمة[٨] ، وقتادة[٩] ، ومقاتل بن حيان : يعني ذبحاً .

---

(١) (أبي) : ساقطة من (ظ) .

(٢) محمد بن أبي موسى . روى عن زياد الأنصاري عن أبي بن كعب ، وروى عنه داود ابن أبي هند . وهو مجهول .
انظر : التاريخ الكبير للبخاري ١/ ٢٣٦ ، وتهذيب التهذيب ٩/ ٤٨٣ .

(٣) رواه الطبري ١٧/ ١٦٠ من طريق داود بن أبي هند ، عنه . وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٤٧ ، وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٤) في (أ) : (القران) ، وهو خطأ .

(٥) انظر : تهذيب اللغة للأزهري (نسك) ١٠/ ٧٤ .

(٦) عند قوله تعالى : ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾ [البقرة :١٢٨] .

(٧) رواه الطبري ١٧/ ١٦١ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٤٧ وعزاه لعبد بن حميد وابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٨) رواه سفيان الثوري في تفسيره ٢١٣ عن أبيه ، عن عكرمة بلفظ : ذبائح هم ذابحوها . وذكره النحاس في معاني القرآن ٤/ ٤٠٩ من رواية سفيان ، بلفظ : ذبحاً . وبمثل لفظ النحاس ذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٤٧ وعزاه لابن أبي حاتم .

(٩) ذكر الماوردي في النكت والعيون ٤/ ٢٤ ، والقرطبي ١٢/ ٥٨ عن قتادة أنه قال : ﴿مَنسَكًا﴾ حجاً .

وقراءة العامة بفتح السين ، وقرأ حمزة والكسائي بكسرها[١] .

قال أبو عـلي[٢] : الفتح أولى ؛ لأنه لا يخلو من أن يكـون مصدراً أو مكاناً ، وكلاهما مفتوح العين إذا كان الفعل على : فَعَـل يَفْعُل ، نحو : قَتَل يَقْتُلُ مَقْتَلاً ، وهذا مَقْتَلُه . ووجه الكسر : أنه قد يجيء اسـم المكان على المَفْعِل من هذا النحو ، نحو : المَطْلِع من طَلَع يَطْلُع ، والمسـجد من سجد يسجد ، فيمكن أن يكون هذا مما شذَّ عن قياس الجمهور ، فجاء اسم المكان على غير القياس ، ولا يقدم على هذا إلَّا بالسمع ، ولعل الكسائي سمع ذلك . هذا كلامه[٣] .

والذي يدل على أن الكسـائي سـمع ذلك أنه قال في كتابه[٤] : (منسـكاً) ، و(منسكا) لغتان ، كل[٥] قد قرئ بها[٦] .

وقـال عطاء عن ابن عباس : ﴿مَنسَكًا﴾ يريد شريعة . يعني الذبح ؛ لأنه من جملة ما شرع .

---

(١) السبعة ٤٣٦ ، والتبصرة ٢٦٦ ، والتيسير ١٥٧ ، والإقناع لابن الباذش ٢/ ٦٠٧ .

(٢) في (أ) : (أبو الفتح) سقطت لفظة (على) ، فتحرفت الكلمة إلى (أبو الفتح) .

(٣) الحجة لأبي علي الفارسي ٥/ ٢٧٨ ، وقوله : (الفتح أولى) لا وجه له ، لأن القراءة سنة متبعة . وقوله : (ولعل الكسـائي سمع ذلك) ذكره نحوه السمينُ الحلبي في الدر المصون ٨/ ٢٧٤ عن ابن عطية ، ثم تعقبه بقوله : وهذا الكلام منه غير مرضي ، كيف يقول : ويشـبه أن يكون الكسائي سمعه . الكسائي يقول : قرأت به فيكف يحتاج إلى سماع مع تمسكه بأقوى السماعات ، وهو روايته لذلك قرآناً متواتراً ؟ انظـر : علل القراءات للأزهـري ٢/ ٤٢٤ ، وحجة القراءات لابن زنجلة ٤٧٧ ، والكشـف لمكي ابن أبي طالب ٢/ ١١٩ .

(٤) لعله ذكره في كتاب معاني القرآن له ، وهو مفقود .

(٥) (كل) : زيادة من (أ) .

(٦) انظر : إعراب القراءات وعللها لابن خالويه ٢/ ٧٧ .

وقال الكلبي : عيداً[١] .

يعني وقتاً للذبح . فعلى هذا ، المنسك اسم لزمان الذبح .

قال[٢] أبو إسحاق : المنسك في هذا الموضع يدل على معنى النحر ، فكأنه قال : لكل أمة أن تتقرب بأن تذبح الذبائح لله . ويدل على ذلك قوله : ﴿لِّيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ المعنى : ليذكروا اسم الله على نحر ما رزقهم من بهيمة الأنعام[٣] .

وخص بهيمة الأنعام ؛ لأنَّ البهيمة من غير الأنعام لا يحل ذبحها وأكلها كالخيل والبغال والحمير[٤] ، فالبهيمة من الأنعام هي التي يجوز أن تُذبح في المناسك .

في هذه الآية دليل على أنَّ الذبائح ليست من خصائص هذه الأمة بل كانت لكل أمة ، وعلى أنَّ الضحايا لم تزل من الأنعام ، وأنَّ التسمية على الذبح كانت مشروعة .

قوله تعالى : ﴿فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ . قال أبو إسحاق : أي لا ينبغي أن تذكروا على ذبائحكم[٥] إلَّا الله وحده[٦] .

---

(١) ذكره عنه الماوردي ٤/ ٢٥ .

(٢) في (أ) بعد قوله قال : (فوملة) ، وليست في باقي النسخ ، ولا معنى لها .

(٣) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٤٢٦ .

(٤) الطبري ١٧/ ١٦٠ ، والكشف والبيان للثعلبي ٣/ ٥٢ ب .

(٥) في (أ) : (ذبائحهم) .

(٦) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٤٢٧ .

وقوله ﴿أَسْلِمُوا﴾ ؛ أي انقادوا وأطيعوا . وقال ابن عباس : أخلصوا[١] .

وقوله : ﴿وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾ . قال ابن عباس ، وقتادة ، والضحاك : المتواضعين[٢] . وقال مجاهد : المطمئنين إلى الله سبحانه[٣] . وقال الأخفش : الخاشعين[٤] . وقال ابن جرير : الخاضعين[٥] .

قال الزَّجَّاج : اشتقاقه من الخَبْت[٦] ، وهو المنخفض من الأرض . فكل مخبت[٧] متواضع[٨] . وذكرنا معنى الإخبات عند قوله : ﴿وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ [هود :٢٣] .

---

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٤٨ عن مقاتل بن حيان ، وعزاه لابن أبي حاتم .

(٢) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان ٣/ ٥٢ ب عن ابن عباس وقتادة .
ورواه عبدالرزاق في تفسيره ٢/ ٣٨ والطبري ١٧/ ١٦١ عن قتادة .
ورواه ابن أبي شيبة في مصنفه ١٣/ ٥٨٠ عن الضحاك ، وذكره السيوطي في الدر المثور ٦/ ٤٩ عنه وعزاه لابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٣) ذكره عنه بهذا اللفظ الثعلبي في الكشف والبيان ٣/ ٥٢ ب .
ورواه الطبري ١٧/ ١٦١ مقتصراً على أدلة . وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٤٨ بمثل رواية الطبري : وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٤) ذكره عنه الثعلبي في الكشف والبيان ٣/ ٥٢ ب . ولم أجده في كتابه معاني القرآن .

(٥) قوله في تفسيره ١٧/ ١٦١ بأطول من هذا حيث قال : الخاضعين لله بالطاعة ، المذعنين له بالعبودية ، المنيبين إليه بالتوبة .

(٦) في (أ) : (الخبت ، مخبث) ، وهو خطأ .

(٧) في (أ) : (الخبت ، مخبث) ، وهو خطأ .

(٨) معاني القرآن ٣/ ٤٢٧ . مع اختلاف يسير .

٣٥. قوله تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ . قال ابن عباس : يريد : خافت .

قال مقاتل بن حيان : ﴿وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ عندما يخوَّفون[١] .

وهـــذا على أنهم إنما توجل قلبوهم إذا خوفوا بالله ، ليس[٢] أنهم يخافونه حتى لا يرجونه .

وقوله : ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ﴾ يعني من البلاء والمصائب في طاعة الله . قاله ابن عباس ومقاتل[٣] .

﴿وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ في أوقاتها ، يؤدونها كما استحفظهم الله .

قال أبو إسحاق في قوله :][٤]﴿وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ : القراءة بالخفض وإسقاط النون ، والخفض على الإضافة . [ويجـــوز : والمقيمين الصلاة[٥] ، إلَّا أنه بخلاف

(١) ذكره عنه السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٤٩ وعزاه لابن أبي حاتم .
(٢) في (أ) : (وليس) .
(٣) ذكره عن مقاتل السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٤٩ وعزاه لابن أبي حاتم .
(٤) ساقط من (أ) .
(٥) هذه القراءة مروية عن ابن مسعود . الشواذ لابن خالويه ٩٥ .
انظر : تعليل القراءات الشواذ للعكبري ٢٦٧ .

المصحف][1] . ويجوز أيضـاً على بعد : والمقيمي الصـلاةَ[2] ، على حذف النون ونصب الصلاة لطول الاسم[3] ، وأنشد سيبويه[4] :

والحافظـو عـورةَ العشيرةِ لا يأتيهـم مـن ورائهـم وكـف

---

(١) ساقط من (ظ) .

(٢) هذه قراءة ابن أبي إسحاق والحسن ، ورويت عن أبي عمرو .
الشواذ لابن خالويه ٩٥ ، والمحتسب لابن جني ٢/ ٨٠ .

(٣) قال أبو الفتح عثمان بن جني في المحتسب ٢/ ٨٠ : أراد (المقيمين) فحذف النون تخفيفاً ، لا لتعاقبها الإضافة .
وقال العكبري في تعليل القراءات الشواذ ٢٦٧ : والنون محذوفة للتخفيف لطول الكلمة ، مثل قولهم : الحافظو . . . .

(٤) ذكر الزَّجَّاج في معاني القرآن ٣/ ٤٢٧ إنشاد سيبويه لهذا البيت ، لكن في المعاني (نطف) في موضع (وكف) .
والبيت أنشده سيبويه في الكتاب ١/ ١٨٥ ، ١٨٦ ونسبه لرجل من الأنصار وروايته فيه :
والحافظو . . . من ورائنا نطف .
وهو في شرح شواهد الإيضاح للقيسي ١٢٧ ، وخزانة الأدب ٤/ ٢٧٢ وفيه : من ورائنا نطف ، ٤/ ٢٧٥ـ٢٧٩ وفيه : من ورائنا و(كف) منسوباً لعمرو بن امرئ القيس الخزرجي ، وفي الاقتضاب للبطليوسي ٣/ ٢٠٧ منسوباً لقيس بن الخطيم ، وهو في ديوان قيس ١١٥ ، وفي لسان العرب (وكف) ٩/ ٣٦٣ منسوباً لعمرو بن امرئ القيس أو قيس بن الخطيم .
ومن غير نسبة في الإيضاح العضدي للفارسي ١٧٥ ، وتهذيب اللغة للأزهري (وكف) ١٠/ ٣٩٣ .
قال البطليوسي في الاقتضاب ٣/ ٢٠٧ : العورة المكان الذي نخاف منه العدو . والوكف هاهنا العيب ، ويروى : نطف وهو نحو الوكف . يقول : نحن نحفظ عورة عشيرتنا فلا يأتيهم من ورائنا شيء يعابون به من بيع ثغرهم وقلة رعايته ، هذا على رواية من روى من ورائنا ، ومن روى من ورائهم أخرج الضمير مخرج الغيبة على لفظ الألف واللام ؛ لأن معنى (الحافظو العشيرة) نحن الذين يحفظون عورة العشيرة ، كما تقول : أنا الذي قام ، فيخرج الضمير مخرج الغيبة وإن كنت تعني نفسك ، لأن معناه : أنا الرجل الذي قام ، وقد يقولون : أنا الذي قمت ، فعلى هذا رواية من روى : من ورائنا . اهـ .
انظر : الخزانة ٤/ ٢٧٤ ، ٢٧٥ .

وزعم أنه شاذ . انتهت الحكاية عن أبي إسحاق[١] .

ويحتاج هاهنا إلى أن نذكر طرفاً[٢] من شرح باب الإضافة مع الألف واللام .

قال أبو علي في كتاب الإيضاح : إذا ألحقت الألف واللام اسم الفاعل قلت : هذا الضارب زيداً ، ولا يجوز إضافة الضارب إلى زيد . فإن ثنيت[٣] قلت : الضاربان زيداً ، فإن حذفت النون قلت : الضاربا زيد ، وكذلك الجميع ، وقد يجوز إذا حذفت النون من اسم الفاعل في الاثنين والجميع إذا ألحقته[٤] الألف واللام أنْ تنصب فتقول : الضاربو زيداً ، وهكذا أنشدوا :

الحافظو عورة العشيرة

قال : والأكثر الجر كما قال تعالى : ﴿وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ . هذا كلامه[٥] .

ومعنى الضارب زيداً ؛ أي الذي ضرب زيداً ، ولا تجوز الإضافة في هذا ، ويجوز في التثنية والجمع[٦] نحو : الضاربا زيد والضاربو زيد ، وذلك لأنَّ زيداً في التثنية والجمع يعاقب نون التثنية والجمع ، والنون قد تكون مع الألف واللام ، وزيد في الضارب زيد لا يعاقب تنويناً ؛ لأنه لا يكون التنوين مع الألف واللام ، فلا يكون في الإضافة فائدة ، وذلك أن الغرض في الإضافة اللفظية أن يحذف التنوين ، فيحصل في اللفظ اختصار وتخفيف بسقوط التنوين ، ويعاقبه المفعول المنصوب فينجرُّ[٧] لقيامه مقام التنوين في اللفظ ،

(١) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٤٢٧ .
(٢) العبارة في (ظ) : (ويحتاج إلى أن يذكرهاهنا طرفاً) .
(٣) في (أ) : (نسيت) ، وهو خطأ .
(٤) في (ظ) : (ألحقتها) ، وفي باقي النسخ : (لحقته) ، والتصويب من كتاب الإيضاح .
(٥) الإيضاح العضدي لأبي علي الفارسي ١/ ١٧٥ .
(٦) في (ظ) و(د) و(ع) : (الجميع) .
(٧) في (أ) : (فيجر) .

وليس في الضارب تنوين فيحذف لذلك ، فـإذا قلت : (الضارب زيد) كنت قد عدلت عن الأصل الـذي هو النصب لغير غرض لفظي ولا حقيقي ، وفي التثنية والجمع جـاز الإضافة في اللفظ وعلى هذا قوله عز وجل : ﴿وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ ، كما قـال : الفاتحو باب الأمـير المبهم ، وأما من قـال الضاربا زيـداً والضاربو زيـداً فإنه لم[1] يحذف النـون لأجل الإضافة ، ولكنه يحذفه لطول الاسـم ، ولا يجعـل لحذفه تأثيراً[2] في الحكم ، ويبقى النصب على أصله كالبيت الذي أنشـده سـيبويه ، والأصل[3] في حذف النون لامتداد الاسـم في بيـت الكتاب[4] :

أبـني كليـبٍ إن[5] عـمي اللـذا قـتـلا الملـوكَ وفـككـا الأغـلالا

---

(١) موضع (لم) بياض في (ظ) .

(٢) (تأثيراً) ليست واضحة في (ظ) .

(٣) في (ظ) : (أصل) .

(٤) البيت في الكتاب ١/ ١٨٦ منسوباً للأخطل .
وهو في ديوانه ٣٨٧ ، و٤٤ ، وسر صناعة الإعراب ٢/ ٥٣٦ وأمالي أبن الشـجري ٢/ ٣٠٦ ، وشرح المفصل لابن يعيش ٣/ ١٥٤ ، والمقاصد النحوية للعيني ١/ ٣٢٤ ، وخزانة الأدب ٦/ ٦ ، ٧ .
قال البغدادي في الخزانة ٦/ ٧ :
البيت من قصيدة للأخطل يفتخر بقومه ويهجو جريراً . والألف للنداء . وبنو كليب ابن يربوع : رهط جرير . فخر الأخطل على جرير بمن اشـتهر من قومه من بني تغلب وساد كعمرو بن كلثوم التغلبي قاتـل عمرو بن هند ملك العرب ، وعُضم أبي حنش قاتل شرحبيل بن عمرو بن حجر ، وغيرهما من سـادات تغلب . والأغلال جمع غل وهـو طوق من حديد يجعل في عنق الأسـير ، . . . أي إنَّ عمَّيْه يفكان الغل من عنق الأسراء ، وينجونهم من أسر أعدائهم قسراً . اهـ .
قال السـكري في شرح ديوان الأخطل ١/ ١٠٨ ، ١٠٩ ، أحد عميْه أبو حنش عصم بن النعمان قاتل شرحبيـل بن الحارث بن عمرو آكل المـرار يوم الكلاب الأول ، والآخر دوكـس بن الفدوكس بن مالك بن جشم .
انظر الخلاف في أسماء عميه في : الخزانة ٦/ ٨ ، ٩ .

(٥) (إن) : ساقطة من (أ) .

أراد اللذان فحذف النون لطول الاسم بالصلة ، إذ قد اجتمع الذي والفعل والفاعل والمفعول ؛ لأن ما يتعلق بالموصول كله واصل في جملته ، وجار مجرى الجزء[١] من الاسم ، ألا ترى أن تقديمه ممتنع ، والأحسن إذا حذفت النون الكسر ، لأجل أن النون إذا حذف وجب أن يكون له أثر في اللفظ ، وإذا قصد النصب وجب أن تبقى النون لفظاً ، غير أن الذي ينصب مع الحذف لا يعتد بالحذف[٢] حرصاً على إبقاء لفظ[٣] النصب .

هذا الذي ذكرنا شرح ما ذكره أبو إسحاق مجملاً وهو مذهب البصريين[٤] .

وقال الفرَّاء : إنَّما جاز النصب مع حذف النون ، لأنَّ العرب لا تقول في الواحد إلا بالنصب . فيقولون : هو الآخذ حقه ، ينصبون الحق ، لا يقولون إلَّا ذلك ، والنون مفقودة ، فبنوا الاثنين والجميع على الواحد ، فنصبوا بحذف النون ، والوجه في الاثنين والجميع الخفض ؛ لأنَّ نونهما قد تظهر إذا شئت وتحذف إذا شئت ، وهي في الواحد لا تظهر ، فلذلك نصبوا ، ولو خفض في الواحد لجاز ذلك ، ولم أسمعه إلَّا في قولهم : الضَّارب الرجل ، فإنَّهم يخفضون الرجل وينصبونه ، فمن خفضه شَبَّهَه بمذهب قولهم : مررت بالحسن الوجه ، فإذا أضافُوه إلى مكنّى قالوا : أنْت[٥] الضَّارِبُهُ ، وأنتما[٦] الضَّارِبَاهُ[٧] ، وأنتم الضَّاربوه . والهاء في القضاء عليها خفض في الواحد والاثنين والجمع ، ولو نويت بها النصب

(١) في (ظ) و(ع) : (الجرِّ) .
(٢) في (أ) : (الحرف) .
(٣) في (أ) : (اللفظ) .
(٤) انظر : شرح المفصَّل لابن يعيش ٢/ ١٢٢ ، ١٢٣ ، والفوائد الضيائية للجامي ٢/ ١٤ .
(٥) (أنت) : ساقطة من (أ) .
(٦) في (ظ) و(د) و(ع) : (وأنتم) .
(٧) في (ظ) : (الضاربان) .

كان وجهاً . وكان ينبغي لمن نصب أن يقول : هو الضارب إيّاه ، ولم أسمع ذلك . هذا كلامه[١] .

وهو كما ذكرنا من مذهب البصريين إلَّا في إضافة الواحد ، فإنه يجوزه ، وعندهم لا يجوز ذلك .

وقوله : ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ . قال ابن عباس والكلبي : يريد يتصدقون من الواجب وغيره . وقال مقاتل : يؤدُّون الزكاة في طاعة ربهم[٢] .

٣٦. قوله تعالى : ﴿وَٱلْبُدْنَ﴾ . قال الزَّجَّاج : البدن بتسكين الدال وضمها ، بَدَنَةٌ وبُدْنٌ وبُدُنٌ ، مثل قولك : ثَمَرَةٌ وثُمْر وثُمُرٌ قال : وإنما سميت بدنة لأنها تبدن ؛ أي تسمن[٣] .

وقال الليث وغيره : البدنة بالهاء تقع على الناقة والبقرة والبعير مما يجوز في الهدي والأضاحي ، ولا تقع على الشاة ، وسميت بدنة لعظمها[٤] .

---

(١) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٢٦ .

(٢) انظر : تفسير مقاتل ٢/ ٢٥ ب .

(٣) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٤٢٨ .

(٤) تهذيب اللغة للأزهري ١٤/ ١٤٤ نقلاً عن الليث وغيره .

قال ابن السكيت : يقال : بدن[١] الرجل يبدن بَدْناً وبدانة فهو بادن إذا ضخم ، وهو رجل بَدَنٌ إذا كان كبيراً ، وأنشد[٢] :

أم[٣] ما بكاء البدن الأشيب[٤]

وقال ابن الأنباري : يجوز أن يكون سميت بدنة لعظمها وضخامتها .

ويجوز أن يكون سميت لسنِّها ، رجل بدن إذا كان كبير السن ، وبدنت ؛ أي أسنت ، وبدنت ؛ أي سمنت وضخمت[٥] .

والمفسرون يقولون في تفسير البدنة : إنَّها الإبل والبقر . وهو قول عطاء والسدي[٦] .

---

(١) (بدن) : ساقطة من (ظ) و(د) و(ع) .
وبدن كبصر وكرم . قاله الفيروزآبادي في القاموس المحيط ٤/ ٢٠٠ .

(٢) البيت أنشده ابن السكيت في إصلاح المنطق ٣٣٠ للأسود بن يعفر ، وأوله :
هل لشباب فَاتَ من مَطْلَب
هو في ديوان الأسود ٢١ وروايته فيه : (البائس) في موضع (البدن) ، وأدب الكاتب لابن قتيبة ٢٦٥ ، وتهذيب اللغة للأزهري (بدن) ١٤/ ١٤٤ ، وفيه : (بقاء) في موضع (بكاء) ، ولسان العرب (بدن) ١٣/ ٤٨ .
قال البطليوسي في الاقتضاب ٣/ ٢٠٩ يقول : هل يمكن طلب الشباب الغائب واسترجاعه ، بل كيف يبكي الرجل الأشيب شوقاً إلى أحبته ؟ . وذلك لا يليق به .

(٣) في (أ) و(ظ) : (أما) .

(٤) قول ابن السكيت وإنشاده في تهذيب اللغة للازهري ١٤/ ١٤٤ ، وهو في إصلاح المنطق ٣٣٠ .

(٥) لم أجد من ذكره عنه . انظر : تهذيب اللغة للأزهري (بدن) ١٤/ ١٤٤ ، والصحاح للجوهري ٥/ ٢٠٧٧ ، ولسان العرب ١٣/ ٤٨ ، ٤٩ .

(٦) ذكره عنه الثعلبي في الكشف والبيان ٣/ ٥٢ ب .
ورواه الطبري ١٧/ ١٦٣ عن عطاء بلفظ : البقرة والبعير .
وللمفسرين في البدن قول آخر وهو أنها الإبل خاصَّة ، ذكره الماوردي ٤/ ٢٦ وعزاه للجمهور . وحكاه القرطبي ١٢/ ٦١ عن ابن مسعود وعطاء والشافعي . وحكى القول الأول عن مالك وأبي حنيفة .
ثم قال القرطبي : والصحيح ما ذهب إليه الشافعي وعطاء ، لقوله ـعليه السلامـ في الحديث =

وقوله تعالى : ﴿جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِّن شَعَـٰٓئِرِ ٱللَّهِ﴾ ؛ أي من أعلام دينه . والمعنى : جعلنا لكم فيها عبادة لله عز وجل ، من سوقها إلى البيت ، وتقليدها ، وإشعارها ، ونحرها ، والإطعام منها . ومضى الكلام في تفسير الشعائر[١] .

وقوله : ﴿لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾ . قال ابن عباس : يريد في الدنيا والآخرة[٢] .

قال المفسرون : يعني النفع في الدنيا ، والأجر في العقبى[٣] .

وذكرنا هذا[٤] المعنى[٥] مستقصىً عند قوله : ﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَـٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ إلَّا أن المراد بتلك المنافع الدنيا لقولـه : ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ ، والمراد بالخير هاهنا خير الدنيا والآخرة ، كما ذكر ابن عباس .

= الصحيح في يوم الجمعة : من راح في الساعة الأولى فكأنما قرب بدنة ، ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة . . . . الحديث . فتفريقه ـعليه السلامـ بين البقرة والبدنة يدلُّ على أن البقرة لا يقال لها بدنة . والله أعلم . وأيضاً قوله تعالى : ﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا﴾ يدل على ذلك ، فإن الوصف خاصٌّ بالإبل ، والبقر يضجع ويذبح كالغنم . انتهى من القرطبي ١٢/ ٦١ .

والحديث الذي أشار إليه القرطبي : رواه البخاري في صحيحه في كتاب الجمعة ، باب فضل الجمعة ٢/ ٣٦٦ ، ومسلم في صحيحه في كتاب الجمعة ، باب الطيب والسواك يوم الجمعة ٢/ ٥٨٢ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

وصحح ابن كثير ٣/ ٢٢١ أنَّ البقرة يطلق عليها بدنة شرعاً .

ونقل ابن الجوزي ٥/ ٤٣٢ عن القاضي أبي يعلى أنه قال : البدنة اسمٌ يختص الإبل في اللغة ، والبقرة تقوم مقامها في الحكم ، لأن النبي ﷺ جعل البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة . اهـ .

والذي يظهر أن البدن في الآية هي الإبل للتعليل الذي ذكره القرطبي ، والبقرة تدخل في مسمى البدن من حيث اتحاد الحكم بينهما .

(١) في (ظ) : (الشعيرة) .

(٢) ذكره عنه الزمخشري في الكشاف ٣/ ١٤ ، وأبو حيان في البحر ٦/ ٣٦٩ .
وذكره القرطبي ١٢/ ٦١ من غير نسبة ، وصوبه .

(٣) الكشف والبيان : للثعلبي ٣/ ٥٢ ب ، ٥٣ أ .

(٤) (هذا) : ساقطة من (أ) .

(٥) في (ع) : (الكلام) .

قوله تعالى : ﴿فَٱذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ﴾ ؛ أي على نحرها ، لأنَّ السنة أن يذكر الله عند نحرها .

قال ابن عباس : هو أن يقول : بسم الله ، والله أكبر لا إله إلَّا الله ، اللهم منك ولك[١] .

وقوله : ﴿صَوَآفَّ﴾ جمع صافَّة ، وهي فاعلة من الصَفِّ ، وهو جعل الأجسام يلي أحدها الآخر على منهاج واحد[٢] .

قال ابن عباس في رواية ابن أبي مليكة : قياماً[٣] .

وقال ابن عمر : قياماً مقيدة ، سنة محمد ﷺ[٤] .

وقال مجاهد : الصَّواف : إذا عُقلت[٥] إحدى يديها وقامت على ثلاث[٦] ، وتنحر كذلك[٧] .

---

(١) هذا مجموع روايات رواها الطبري ١٧/ ١٦٤ من طريق أبي ظَبيان ، عن ابن عباس .

(٢) انظر : لسان العرب (صفف) ٩/ ١٩٤ ، والقاموس المحيط ٣/ ١٦٢ ، ١٦٣ .

(٣) رواه ابن أبي شيبة في مصنَّفه ٤/ ٨٣ عنه من رواية ابن أبي مليكة .

(٤) رواه البخاري في صحيحه في كتاب الحج ، باب نحر الإبل مقيَّدة ٣/ ٥٥٣ ومسلم في صحيحه في كتاب الحج ، باب نحر البدن قياماً مقيَّدة ٢/ ٩٥٦ .

(٥) في (أ) : (علِّقت) .

(٦) في (أ) : (ثلاثة) .

(٧) ذكره عنه الثعلبي في الكشف والبيان ٣/ ٥٣ أ .
وفيه : إذا عقلت رجلها اليسرى وقامت . . . كذلك .
وبنحوه مختصراً رواه الطبري ١٧/ ١٦٤ .

وعلى هذا ، هي صواف ؛ لأنها قد صفت أيديها وأرجلها إذا وقفن على منهاج واحد ، كما روى ليث ، عن مجاهد قال[١] : يسوى بين أوظافها[٢][٣] . يعني لئلا يتقدم بعضها على بعض فلا تكون صواف .

وفي هذا دليل على أنها تُنْحر قائمة واقفة مصفوفة ، لأنها إن كانت باركة أو ماشية لا تكون صافة ، ولا يتصور الصف في البدنة الواحدة إلَّا أن يقال إنها إذا وقفت صفت يديها أو رجليها[٤] إذا لم يعقل إحداهما ، ولكن يتصور في البدن إذا وقفن فصففن أيديهن معقولة وغير معقولة ، والدليل على أنها تعقل إحدى يديها قراءة عبدالله : (صوافن)[٥] وهي القائمة على ثلاث قوائم ، ونذكر تفسيرها عند قوله : ﴿ٱلصَّٰٓفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ﴾ [ص :٣١] .

وقال أبو إسحاق في قوله : ﴿صَوَآفَّ﴾ : أي قد صفت قوائمها[٦] .

وقال أبو عبيدة : تصفُّ بين أيديها[٧] .

وقال ابن قتيبة : أي قد صُفَّت أيديها[٨] .

---

(١) (قال) : ساقطة من (ط) .

(٢) في (ظ) و(د) و(ع) : (أوطانها) . والصواب ما في (أ) . وأوظافها : جمع وَظيف ، قال الجوهري في الصحاح (وظف) ٤/ ١٤٣٩ ، الوظيف : مستدق الذراع والساق من الخيل والإبل ونحوها .

(٣) رواه الطبري ١٧/ ١٦٤ من رواية ليث ، عن مجاهد .

(٤) في (ظ) و(د) و(ع) : (رجليها أو يديها) .

(٥) انظر : الطبري ١٧/ ١٦٥ ، وإعراب القرآن للنحاس ٣/ ٩٩ ، والشواذ لابن خالوية ٩٥ ، والمحتسب لابن جني ٢/ ٨١ .

(٦) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٤٢٨ .

(٧) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ٥٠ .

(٨) غريب القرآن لابن قتيبة ٢٩٣ .

وقال ابن عباس في رواية أبي ظبيان في قوله : ﴿صَوَآفَّ﴾ قال : معقولة[١] .

ونحوه قال عطـــاء ، والفرَّاء[٢] . وهو معنى وليس بتفســـير ، وذلك أنها إذا عقلت إحدى يديها وقفت فصفت يدها مع يد التي إلى جنبها .

وكثير من الصحابة قرؤوا (صوافي)[٣] على معنى : خالصة لله ، جمع صافية ؛ أي لا يشركوا في التسمية على[٤] نحرها أحداً . وإلى هذا ذهب كثير من المفسرين[٥] . ويدل من الآية على أنها تُنْحر قياماً .

قوله تعالى :﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُواْ مِنْهَا﴾ . قال أبو عبيدة[٦] ، والزَّجَّاج[٧] ، وجميع أهل اللغة[٨] : سقطت إلى الأرض .

يقال : وجب الحائط يجب وَجْبَةً إذا ســـقط ، وسمعت له وجْبَةً ؛ أي وقعة ، ووجبت الشمس إذا وقعت للغروب في المغيب ، ووجب الشيء إذا [وقع لازماً ،

---

(١) رواه الطبري ١٧/ ١٦٤ ، والبيهقي في السنن ٥/ ٢٣٧ من طريق أبي ظبيان .

(٢) انظر : معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٢٦ .

(٣) رويت هذه القراءة عن أبي بن كعب وأبي موسى الأشعري رضي الله عنهما . ونسبت إلى الحسن ومجاهد وزيد بن أسلم وسليمان التيمي وجماعة .
انظر : الطبري ١٧/ ١٦٣ ، والشـــواذ لابن خالويه ٩٥ ، والمحتســـب لابن جني ٢/ ٨١ ، والكشف والبيان للثعلبي ٣/ ٥٣أ ، والبحر المحيط ٦/ ٣٦٩ .

(٤) في (ظ) و(د) و(ع) : (إلى) .

(٥) وهو مروي عن الحســـن وطـــاووس والزهري وابن زيـــد . انظر : الطـــبري ١٧/ ١٦٥ ، وابن كثير ٣/ ٢٢٢ .

(٦) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ٥١ .

(٧) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٤٢٨ .

(٨) انظر : تهذيب اللغة للأزهري (وجب) ١١/ ٢٢٢ ، ولسان العرب (وجب) ١/ ٧٩٤ .

ووجب القلب وجيباً إذا][1] وقع وتحرك باضطراب[2] ، وأنشدوا لأوس بن حجر يرثي[3] :

ألم تكسفِ الشمسُ والبدرُ والكواكبُ للجبلِ الواجبِ[4]

وقال الكميت :

ألم ترني لقيتُ ضباءَ[5] أُنْسٍ بِخَيْفِ منى ولم تجبِ الجنوبُ[6][7]

وقال آخر :

حلفتْ بربِّ مكةَ والهدايا غداةَ النحرِ واجبةِ الجنوبِ[8]

قال ابن عباس ومجاهد ، والضحاك : خرت لجنوبها[9] .

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (د) و(ع) .

(٢) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٤٢٨ ، وتهذيب اللغة للأزهري (وجب) ١١/ ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ولسان العرب (وجب) ١/ ٧٩٤ .

(٣) (يرثي) : ساقطة من (أ) .

(٤) البيت في ديوانه ١٠ ، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ٥١ ، والطبري ١٧/ ١٦٦ ، والتعازي والمراثي للمبرِّد ٣٣ ، وسمط اللآلئ ٤٦٦ . وهو من أبيات يرثي بها فضالة بن كلدة ، وبعده :

لفقدِ فضالةَ لا تستوي الـ فُقودُ ولا خُلَّةَ الذَّاهب

(٥) في (أ) : (طلبا) ، وهو خطأ .

(٦) في (و) و(ع) : (الجبوب) ، وهو خطأ .

(٧) هذا البيت والذي بعده أثبتهما المعلق على مجاز القرآن ٢/ ٥١ في الهامش ، وذكر أنهما كتبا في حاشية نسخة منسوبين للكُميت .

واعتمد جامع ديوان الكميت على هذه الحاشية فأورد الأول في ديوانه ١/ ٨١ ، والثاني في ١/ ١٢٥ وأحال على حاشية المجاز .

(٨) في (د) و(ع) : (الجبوب) ، وهو خطأ .

(٩) ذكره عن ابن عباس السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٥٣ بلفظ : سقطت على جنبها . وعزاه لابن أبي حاتم . ورواه الطبري ١٧/ ١٦٦ عن مجاهد بلفظ سقطت على الأرض .

وذلك عند نزف دمها وخروج الروح منها ، ولذلك قال ابن زيد في تفسيرها : فإذا ماتت[١] . لأنها تقف ما دامت الروح تبقى فيها ، فإذا سقطت إلى الأرض فذلك حين تهدأ[٢] وتسكن حركتها ، وهو وقت الأكل منها ، ولذلك عقَّب الله -تعالى- هذه الحالة بالأمر بالأكل منها فقال : ﴿فَكُلُواْ مِنْهَا﴾ وهذا يدل على أنَّه لا ينبغي للمرء أن يعجل فيقطع منها ليأكل قبل أن يتم نحرها ، ولكن يصبر حتى تسكن حركتها وكذلك السلخ يُبْتدأ بعد السكون ، وهذا معنى قول عمر رضي الله عنه : لا تعجلوا الأنفس أن تزهق[٣][٤] . ولهذا ايضاً نُهي عن النَّخْع[٥] ، وهو أن يقطع الحلقوم والمريء بعد الذبح وفري الأوداج[٦] ، وذلك غير جائز ؛ لأنه زيادة جراحة بعد تمام الذبح . ومعنى النخع : قطع النخاع ، وهو العرق الذي في الفقار[٧] .

وذكرنا وجه هذا الأمر في ما تقدم من هذه السورة .

---

(١) رواه الطبري ١٧/ ١٦٦ .

(٢) في (أ) : (يهدى) ، وهو خطأ .

(٣) في (ظ) : (قبل أن تزهق) .

(٤) رواه الثوري في جامعه كما في تفسير ابن كثير ٣/ ٢٢ ، ومسند عمر بن الخطاب له أيضاً ١/ ٣٣٥ ، والبيهقي في السنن الكبرى ٩/ ٢٧٨ عن عمر رضي الله عنه ، به .
ورواه عنه عبدالرزاق في المصنف ٤/ ٤٩٥ ، وابن أبي شيبة في مصنفه ٥/ ٢٩٢-٢٩٣ عنه بلفظ : وذَر ، وعند ابن أبي شيبة : وأقرُّوا الأنفس حتى تزهق .

(٥) روى البخاري في صحيحه كتاب الذبائح والصيد -باب النحر والذبح ٩/ ٦٤٠ تعليقاً عن نافع أن ابن عمر نهى عن النَّخع .
انظر : تهذيب اللغة للأزهري ١/ ١٦٧ ففيه : وفي الحديث : ألا لا تنخعوا الذبيحة حتى تجب .
ومثله في الفائق في غريب الحديث للزمخشري ٣/ ٤١٤ ، وغريب الحديث لابن الجوزي ٢/ ٣٩٨ . ولم أجد هذا الحديث .

(٦) الأوداج : جمع ودج ، والودج : عرق في العنق ، وهما ودجان . الصحاح للجوهري (ودج) ١/ ٣٤٧ .

(٧) انظر : تهذيب اللغة (نخع) ١/ ٦٧ ، والصحاح للجوهري ٣/ ١٢٨٨ ، والقاموس المحيط ٣/ ٨٧ .
والفقار : جمع فقرة بالكسر وفقرة وفقارة بفتحهما وهو ما انتضد من عظام الصلب من لدن الكاهل إلى العجب . لسان العرب (فقر) ٥/ ٦١ ، والقاموس المحيط ٢/ ١١١ .

قوله تعالى : ﴿وَأَطْعِمُواْ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ﴾ القانع في الآية بمعنيين :

أحدهما : أنه من القُنُوع بمعنى المسألة . يقال : قنع[١] يقنع قنوعاً ، إذا سأل .

والقانع : السائل . ومنه الحديث في ذكر من لا تجوز شهادته : «ولا شهادة القانع مع أهل البيت»[٢] .

قال أبو عبيد[٣] : هو الرجل يكون مع القوم يطلب فضلهم ويسأل معروفَهُم ، وأنشد[٤] :

لمالُ المرء يُصلِحُه فيغني ... مَفاقِرَهُ أعفُّ من القُنُوع

أي من المسألة[٥] .

---

(١) كمنع . قاله الفيروزآبادي في القاموس ٣/ ٧٦ .

(٢) هذا طرف حديث رواه أبو عبيد في غريب الحديث ٢/ ١٥٦ ، والترمذي في جامعه كتاب الشهادات ٦/ ٥٨٠ ، ٥٨١ ، والدراقطني في سننه ٤/ ٢٤٤ ، والبيهقي في السنن الكبرى ١٠/ ٢٠٢ من حديث عائشة ـرضي الله عنهاـ مرفوعاً .
قال الترمذي بعد روايته للحديث : هذا حديث غريب لا نعرفه إلَّا من حديث يزيد بن زياد الشَّامي ، ويزيد يضعِّف في الحديث .
وضَعَّف هذا الحديث (بيزيد) الدار قطني والبيهقيُ .

(٣) في (ظ) و(د) و(ع) : (أبو عبيدة) ، وهو خطأ .

(٤) البيت أنشده أبو عبيد في غريب الحديث للشمَّاخ ٢/ ١٥٦ .
وهو في ديوانه ٥٦ ، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ٥١ ، والمعاني الكبير لابن قتيبة ١/ ٤٨٩ـ٤٩٩ ، ومعاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٤٢٨ ، والطبري ١٧/ ٦٨ ، والأضداد لابن الأنباري ٦٦ ، ٦٧ .

(٥) قول أبي عبيد وإنشاده في تهذيب اللغة للأزهري (قنع) ١/ ٥٩ وغريب الحديث لأبي عبيد ٢/ ١٥٦ لكن فيه : هو الرجل يكون مع الرجل يطلب فضله ويسأل معروفه .
وهو في غريب الحديث لأبي عبيد ٢/ ١٥٦ ، والكلام مفسر فيه مثل ما نقله الأزهري عنه .

ومن هذا قول لبيد :

وإعطائي الْـمَوْلَى على حينِ فقرهِ إذا قــالَ أبْصِرْ خَلَّتــي وقُنُوعي[١]

المعنى الثاني : أن القانع الذي لا يســأل وهو من القناعــة . يقال : قَنِعَ يقنع قناعة وَقَنعاً[٢] وقُنْعَاناً[٣] ، إذا رضي بما قُسم له وترك المسألة والتعرض[٤] .

قال ابن الســكيت : ومن العرب من أجاز القُنُوع بمعنــى القناعة ، وكلام العرب الجيد هو الأول[٥] .

قــال أبو زيد : قال بعضهم : القانع : الســائل ، وقال بعضهم : المتعفف كلٌّ يصلح[٦] . فذكر الوجهين .

وكقول أبي زيد ذكر أبو عبيدة[٧] والزَّجَّاج[٨] الوجهين .

---

(١) البيت في ديوانه ٧١ ، وفيه : (خشوعي) في موضع (قنوعي) .
وفي مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ٥٢ ، والطبري ١٧/ ١٧٠ بمثل الرواية هنا .
قال الطوسي في شرحه لديوان لبيد ٧١ : لمولى : ابن العم . الخلَّة : الحاجة . خلَّتي وقنوعي : الاستكانة وسوء الحالة .

(٢) (قنعاً) : ساقطة من (أ) .

(٣) في (ظ) : (وقناعاً) ، وفي (د) و(ع) : (وقناعاً) .

(٤) انظر : تهذيــب اللغة للأزهري (قنع) ١/ ٢٥٩ ، والصحاح للجوهري ٣/ ١٢٧٣ ، ولســان العرب ٨/ ٢٩٨ .

(٥) قول ابن السكيت في تهذيب اللغة للأزهري (قنع) ١/ ٢٥٩ .

(٦) قول أبي زيد في تهذيب اللغة للأزهري (قنع) ١/ ٢٥٩ .

(٧) انظر : مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ٥١ ، ٥٢ .

(٨) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٤٢٨ .

وأما المعتر : فقال الأزهري : قال أهل اللغة : المعتر : الذي يُطِيف بك يطلب ما عندك سألك أو سكت عن السؤال[١] .

وقال ابن الأعرابي : عررت[٢] فلاناً واعتررته وعروته[٣] واعتريته[٤] ، إذا أتيته تطلب معروفه[٥] .

ونحو هذا قال أبو عبيدة[٦] ، وأنشد لحسان :

لعمركَ ما المعترُّ يأتي بيوتنا لنمنعَه بالضّايعِ المتهضمِ[٧]

فحصل من هذا أن القانع يجوز أن يكون السائل وغير السائل ، وكذا المعتر ، إلَّا أنه لا ينفك من تعرض ونوع طلب .

وعلى هذين الوجهين كلام المفسرين . منهم من يقول : القانع : الذي يسأل والمعتر الذي يأتيك بالسلام ويريك وجهه ولا يسأل ، وهذا قول ابن عباس في

---

(١) تهذيب اللغة للأزهري (عرَّ) ١/ ٩٩ .

(٢) في المطبوع من تهذيب اللغة ١/ ٩٩ : (عروت) .

(٣) في المطبوع من تهذيب اللغة ٣/ ٩٩ : (وعررته) .

(٤) في (د) و(ع) : (واعتروته) .

(٥) قول ابن الأعرابي في تهذيب اللغة للأزهري (عرَّ) ١/ ٩٩ .

(٦) انظر : مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ٥١ .

(٧) البيت أنشده أبو عبيدة لحسان في مجاز القرآن ٢/ ٥٢ ، وروايته عنده :
لعمركَ ما المعترُّ يأتي بلادنا لنمنعه . . . . . .

رواية عطاء[١] ، وزيد بن أسلم[٢] ، وابنه[٣] ، وسعيد بن جبير[٤] ، والكلبي[٥] ، والحسن[٦] ، وبكر بن عبدالله .

ومنهم من يقول بعكس هذا فيقول : القانع : المتعفف الجالس في بيته ، والمعترُّ : السائل الذي يعتريك ويسأل .

وهو قول ابن عباس في رواية الوالبي[٧] ، وعكرمة ، وقتادة[٨] ، وإبراهيم ، ومجاهد[٩] ، قالوا : القانع الذي يقنع ويجلس ، والمعتر الذي يعتريك ويسأل .

وروي عن ابن عباس قول ثالث وهو : أن كلاهما الذي لا يسأل ، وهو رواية العوفي عنه ، قال : القانع الذي يرضى بما عنده ولا يسأل ، والمعتر الذي يتعرض لك ولا يسألك[١٠] .

---

(١) ذكر السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٥٥ هذا القول عن ابن عباس من غير ذكر من رواه عنه ، وعزاه لابن المنذر .
وذكر هذا القول عن ابن عباس النحاس في معاني القرآن ٤/ ٤١٣ . وذكره ابن الجوزي وعزاه لابن المنذر .
وذكر هذا القول عن ابن عباس النحاس في معاني القرآن ٤/ ٤١٣ . وذكره ابن الجوزي ٥/ ٤٣٣ وقال : رواه بكر بن عبدالله عن ابن عباس .
وذكره ابن كثير في تفسيره ٣/ ٢٢ .

(٢) وقوله ذكره عنه بنحوه الثعلبي في الكشف ٣/ ٥٣ أ . ورواه الطبري ١٧/ ١٦٩ بنحوه .

(٣) ذكره عنه بنحوه الثعلبي في الكشف والبيان ٣/ ٥٣ أ .

(٤) رواه عبدالرزاق في تفسيره ٢/ ٣٨ ، والطبري ١٧/ ١٦٨ ، والبيهقي في سننه ٩/ ٢٩٤ .

(٥) ذكره الثعلبي ٣/ ٥٣ أ ، والطبري ١٧/ ١٦٨ .

(٦) رواه سعيد بن منصور في تفسيره : (ل ١٥٦ب) ، وابن أبي شيبة في مصنَّفه ٤/ ٧٢ ، والطبري ١٧/ ١٦٨ ، والبيهقي في السنن الكبرى ٩/ ٢٩٤ .

(٧) ذكره الثعلبي ٣/ ٥٣ أ من رواية الوالبي . ورواه الطبري ١٧/ ١٦٧ .

(٨) رواه الطبري ١٧/ ١٦٧ عن عكرمة ، وقتادة .

(٩) رواه الطبري ١٧/ ١٦٨ ، والبيهقي في السنن ٩/ ٢٩٤ .

(١٠) ذكره الثعلبي ٣/ ٥٣ أ من رواية العوفي . ورواه الطبري ١٧/ ١٦٧ .

ونحو هذا روى ليث عن مجاهد قال : القانع جارك وإن كان موسراً ، والمعتر الذي يعتريك ولا يسألك[١] . وهذا أيضاً رواية خصيف عنه[٢] .

وعلى هذا إنما يُطْعم القانع بأن يرسل إليه ، كما روى قابوس ، عن أبيه[٣] ، عن ابن عباس قال : القانع من أرسلت إليه في بيته[٤] .

والمستحب للمُهْدي أن يطلب القانع والمعتر ، فيعطيهما جميعاً ، قياماً بالأمر وامتثالاً له .

قوله تعالى : ﴿كَذَٰلِكَ﴾ . كذلك ؛ أي مثل ما وصفنا من نحرها قياماً ، والإطعام منها ﴿سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ﴾ نعمة منا عليكم لتتمكنوا من نحرها على الوجه المسنون .

---

(١) رواه الطبري ١٧/ ١٦٧ من رواية ليث عنه .

(٢) روى ابن أبي شيبة في مصنفه ٤/ ٧٢ ، والطبري ١٧/ ١٦٧ من طريق خصيف ، عن مجاهد قال : القانع أهل مكة ، والمعتر الذي يعتريك فيسألك .

(٣) هو أبو ضبيان حصين بن جندب .

(٤) رواه البيهقي في السنن الكبرى ٩/ ٢٩٤ من طريق قابوس ، عن أبيه ، عن ابن عباس بلفظ : القانع بما أرسلت . . . وهذا الأثر ضعيف لضعف قابوس .
وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٥٤ ، ٥٥ بمثل لفظ البيهقي ، وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر والبيهقي في سننه .
واختار الطبري ١٧/ ١٧٠ أن القانع السائل ، والمعتر هو الذي يأتيك معتراً بك لتعطيه وتطعمه ، وعلَّل ذلك بقوله : لأنه لو كان المعني بالقانع في هذا الموضع الكتفى بما عنده والمستغني به لقيل : وأطعموا القانع والسائل ، ولم يقل ﴿وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ﴾ وفي اتباع ذلك قوله : ﴿وَٱلْمُعْتَرَّ﴾ الدليل الواضح على أن القانع معني به السائل . . . .
وقال النحاس في معاني القرآن ٤/ ٤١٣ عن القول بأن القانع هو السائل والمعتر الذي يتعرض لك ولا يسألك : إنه أحسن ما قيل في هذا وهو الصحيح في اللغة .
واستظهر هذا القول الشنقيطي في أضواء البيان ٥/ ٦٩٥ .

﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ . قال ابن عباس : يريد لكي تطيعوني . وشكر الله طاعة له واعتراف بإنعامه .

٣٧. قوله تعالى : ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا﴾ . قال الكلبي : كان أهل الجاهلية إذا نحروا البدن نضحوا دماءها حول البيت قربة إلى الله ، فأراد المسلمون أن يفعلوا ذلك ، فأنزل الله هذه الآية[١] .

وقال الزَّجَّاج : كانوا إذا ذبحوا لطَّخُوا البيت بالدم[٢] .

والمعنى : لن يصل إلى الله اللحوم ولا الدماء ؛ أي لن يتقرب إليه بها .

وقال مقاتل بن حيَّان : لن يُرفع إلى الله لحومها ولا دماؤها ، ولكن يرفع إلى الله منكم الأعمال الصالحة والتقوى[٣] .

والمعنى لن يتقبل الله اللحوم ولا الدِّماء ، ولكن يتقبل التقوى فيها وفي غيرها بإيجاب الثواب عليها .

وقيل : لن يبلغ رضا الله لحومها ولا دماؤها ، ولكن يبلغه التقوى منكم[٤] .

---

(١) ذكر السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٥٥ ، ٥٦ نحوه عن ابن عباس ، وعزاه لابن المنذر وابن مردويه .
وذكر ابن الجوزي ٥/ ٤٣٤ نحوه من رواية أبي صالح ، عن ابن عباس .
وذكر ابن كثير في تفسيره ٣/ ٢٢٥ نحوه من رواية ابن أبي حاتم عن ابن جريج .
ولم يثبت في سبب نزول هذه الآية شيء صحيح .

(٢) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٤٢٩ .

(٣) ذكره عنه السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٥٦ ، وعزاه لابن أبي حاتم .

(٤) ذكر هذا القول الطوسي في التبيان ٧/ ٢٨٤ ، والحاكم الجشمي في التهذيب ٦/ ١٧٩ ب ، ولم ينسباه لأحد .

وقال الأزهري : لن يصل إلى الله ما يُنيلكم به ثوابه غير التقوى ، دون اللحوم والدماء[١] .

قوله : ﴿وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾ . قال ابن عباس : يريد النيَّات .

وقال إبراهيم : التقوى ما أُريد به وجهه[٢] .

وقال أبو إسحاق : أعلم الله أن الذي يصل إليه تقواه وطاعته في ما يأمر به[٣] .

وحقيقة معنى هذا الكلام يعود إلى القبول . وذلك أنَّ[٤] ما يقبله الإنسان يقال : قد ناله ووصل إليه . فخاطب الله -تعالى- الخلق كعادتهم في تخاطبهم . والمعنى لن يقبل الله اللحوم ولا الدماء إذا كانت من غير تقوى الله ، وإنما يقبل منكم ما تتقونه به . وهذا دليل على أن شيئاً من العبادات لا يصح إلَّا بالنية ، وهو أن ينوي بها التقرب إلى الله وأداء[٥] أمره واتقاء عقابه .

وقوله : ﴿كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ﴾ تقدم تفسيره قبيل .

---

(١) تهذيب اللغة للأزهري ١٥/ ٣٧٢ من دون قوله : من دون اللحوم والدماء .

(٢) رواه الطبري ١٧/ ١٧٠ . وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٥٦ ، وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم بلفظ : ما التمس به وجه الله تعالى .

(٣) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٤٢٩ .

(٤) (أن) : ساقطة من (د) و(ع) .

(٥) في (أ) و(ع) : (وإذا) ، وهو خطأ .

﴿لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ﴾ . قال ابن عباس : يريد على ما بين لكم وأرشدكم لمعالم[١] دينه[٢] ومناسك حجه . وهو أن يقول : الله أكبر على ما هدانا[٣] . ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ . قال : يريد الموحِّدين[٤][٥] .

٣٨. قوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ . قال المفسرون : يعني غائلة المشركين[٦] .

وقال أبو إسحاق : هذا يدل على النصر من عنده ؛ أي فإذا فعلتم هذا وخالفتم الجاهلية في ما يفعلونه في نحرهم وإشراكهم بالله ، فإنَّ الله يدفع عن حزبه[٧] .

وقُرئ : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ﴾[٨] . من دافع . وهو بمعنى دفع ، وإن كان من المفاعلة ، مثل : طارقت النعل ، وعاقبت اللص ، وعافاه الله[٩] .

---

(١) في (أ) : (إلى دينه) .
(٢) في (د) و(ع) : (دينكم) .
(٣) ذكره البغوي ٥/ ٣٨٨ من غير نسبه .
(٤) في (أ) : (المحدين) .
(٥) ذكره عنه البغوي ٥/ ٣٨٨ ، وأبو حيان في البحر ٦/ ٣٧٠ .
(٦) الطبري ١٧/ ١٧١ ، والثعلبي ٣/ ٥٣ ب .
(٧) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٤٢٩ .
(٨) قرأ ابن كثير ، وأبو عمرو (يدفع) بغير ألف . وقرأ الباقون (يدافع) بالألف .
السبعة ٤٣٧ ، والتبصرة ٢٦٦ ، والتيسير ١٥٧ .
(٩) الحجة للفارسي ٥/ ٢٧٩ مع اختلاف يسير .
انظر : علل القراءات للأزهري ٢/ ٤٢٥ ، وإعراب القراءات السبع وعللها لابن خالويه ٢/ ٧٩ ، والكشف لمكي ابن أبي طالب ٢/ ١٢٠ .
وذكر ابن زنجلة في حجة القراءات ٤٧٨ وجهاً آخر في توجيه قراءة (يدافع) فقال : وحجتهم أنَّ (يدافع) عن مرات متواليات . اهـ .
وبينه مكي في الكشف ٢/ ١٥ بقوله : وقد تكون (فاعل) للتكرير ؛ أي يدفع عنهم مَرَّة بعد مرة .

قال الأخفش : أكثر الكلام «إن الله يدفع» بغير ألف . قال : ويقولون دفع الله عنك . قال : ودافع عربية إلَّا أن الأولى[١] أكثر[٢] .

وقوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ . قال ابن عباس : يريد : خانوا الله ، وجعلوا معه شريكاً ، وكفروا نعمه[٣] .

وقال أبو إسحاق : إنَّ من ذكر غير اسم الله ، وتقرب إلى الأصنام بذبيحة ؛ فهو خوان كفور[٤] .

وقال أهل التفسير : كل خوان في أمانة الله ، كفور لنعمته[٥][٦] .

٣٩. وقوله : ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟﴾ . قال ابن عباس في ما روى عنه سعيد بن جبير[٧] ، وقتادة[٨] ، والزهري[٩] : هذه أول آية نزلت في القتال . وقال سعيد بن جبير : لما أُخرج النبي ﷺ من مكة قال أبو بكر : أخرجوا نبيَّهم ، ليهلكن .

---

(١) في الحجة : (الأول) .

(٢) قول الأخفش في الحجة للفارسي ٥/ ٢٧٩ . ولم أجده في معاني القرآن للأخفش .

(٣) ذكره عنه البغوي ٥/ ٣٨٨ .

(٤) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٤٢٩ .

(٥) في (ط) و(د) و(ع) : (لنعمه) ، وعند الثعلبي : (بنعمته) .

(٦) هذا قول الثعلبي في الكشف والبيان ٣/ ٥٣ أ .

(٧) رواه عبدالرزاق في تفسيره ٢/ ٣٩ ، والإمام أحمد في مسنده ٣/ ٢٦١ ، ٢٦٢ ، والنسائي في التفسير ٢/ ٨٨ ، والطبري في تفسيره ١٧/ ١٧٢ ، والحاكم في مستدركه ٢/ ٦٦ ، كلهم من طريق سفيان الثوري ، عن الأعمش ، عن مسلم البطين ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس . قال أحمد شاكر في تعليقه على المسند ٣/ ٢٦١ إسناده صحيح .

(٨) رواه عنه عبدالرزاق في تفسيره ٢/ ٣٩ ، والطبري ١٧/ ١٧٣ .

(٩) رواه عنه النسائي في تفسيره ٢/ ٨٩ ، ٩٠ .

فنزلت هذه الآية . قال أبو بكر : فعرفت أنه سيكون قتال[١] .

قال المفسرون : كان مشركو أهل مكة يؤذون أصحاب رسول الله ﷺ ، فلا يزالون يجيئون من بين مضروب ومشجوج ، ويشكون ذلك فيقول لهم النبي ﷺ : «اصبروا فإنِّي لم أؤمر بالقتال» ، حتى هاجر فأنزل الله هذه الآية[٢] .

وروى ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في هذه الآية قال : ناس مؤمنون مهاجرون خرجوا من مكة إلى المدينة ، وكانوا يمنعون ، فأدركهم كفار قريش ، فأذن الله للمؤمنين بقتال الكفار[٣] .

وعلى هذا القول ، الآية نازلةٌ في قوم مخصوصين بأعيانهم . والقول الأول عليه أهل التفسير .

---

(١) رواه الترمذي في جامعه في كتاب التفسير ، باب ومن سورة الحج ٩/ ١٥ من رواية سعيد بن جبير ، عن ابن عباس . ثم قال : وقد رواه غير واحد عن سفيان ، عن الأعمش ، عن مسلم البطين ، عن سعيد بن جبير مرسلاً وليس فيه عن ابن عباس .

(٢) ذكره الثعلبي ٣/ ٥٣ ب بنصِّه .
قال الزيلعي في كتابه تخريج أحاديث الكشاف ٢/ ٣٨٨ بعد ذكره لما ساقه الزمخشري ، وهو مثل الرواية هنا : غريب جداً ، وعزاه للواحدي في الوسيط . وقال ابن حجر في الكافي لم أجده هكذا . ثم قال : وهو منتزع من أحاديث أقربها ما أخرجه ابن أبي حاتم من طريق بكير بن معروف ، عن مقاتل بن حيان في قوله : ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟﴾ ، وذلك أن مشركي مكة كانوا يؤذون المسلمين بمكة ، فأستاذنوا النبي ﷺ في قتالهم بمكة فنهاهم ؛ ليمتحن بذلك النبي ﷺ عن ذلك ، فلما خرج النبي ﷺ إلى المدينة أنزل عليه ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟﴾ . وذكر الطبري عن الضحاك : أن الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ استأذنوا رسول الله ﷺ في قتال الكفار إذ آذوهم واشتطوا عليهم بمكة قبل الهجرة غيلة وسراً ، فأنزل الله : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ ، فلما هاجروا أطلق لهم قتلهم وقتالهم ، فقال : ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ﴾ الآية .

(٣) رواه الطبري ١٧/ ١٧٣ عنه من رواية ابن أبي نجيح ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٥٧ وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الدلائل .

قال مقاتل بن حيان : إن مشركي مكة كانوا يؤذون المسلمين بمكة ، فاستأذنوا النبـــي ﷺ في قتالهم ، فنهاهم فلما خرج إلى المدينة أنـــزل عليه بالمدينة هذه الآية ، وهي أول آية نزلت عليهم[١] في القتال[٢] .

وقرئ (أذن) بفتح الألف وبضمها[٣] . فمن فتح الألف بنى الفعل للفاعل لما تقدم[٤] من ذكر الله تعالى[٥] . وقوله : ﴿لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ﴾ في موضع نصب . ومن ضم الألف بنى الفعل للمفعول به ، والمعنى على أن الله -سبحانه وتعالى- أذن لهم في القتال ، والجار والمجرور في موضع رفع لإسناد الفعل المبني للمفعول إليهم . والمأذون لهم في القتال أصحاب رسول الله ﷺ[٦] .

وقوله : «يقاتِلـــون» ؛ أي الذين يقاتلون عدوهم الظالمين لهم بإخراجهم عن ديارهم . وهم المؤمنون .

---

(١) (عليهم) : ساقطة من (ط) ، وفي (د) و(ع) : (نزلت في القتال عليهم) .

(٢) تقدم في كلام ابن حجر أنَّ ابن أبي حاتم أخرجه عنه .

(٣) قرأ ابن كثير ، وحمزة ، والكسائي ، وابن عامر : (أذن) مفتوحة الألف ، وقرأ الباقون بضمها . السبعة ٤٣٧ ، والتَّبصرة ٢٦٦ ، والتيسير ١٥٧ ، والإقناع ٢/ ٧٠٦ .

(٤) في (ظ) : (علي ما تقدّم) ، وفي الحجة للفارسي : (فلما تقدم) .

(٥) يعنـــي أنَّه قرب من قوله قبلهـــا : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ ، فأســـندوا الفعل إلى الله لتقدم اسمه ، وأنَّ الفعل قرب منه . قاله ابن زنجلة في حجة القراءات ٤٧٨ .

(٦) من قوله : من فتح الألف إلى هنا . هذا كلام أبي علي في الحجة ٥/ ٢٨٠ ، ٢٨١ مع تقديم وتأخير . انظـــر : علل القراءات للأزهـــري ٢/ ٤٢٦ ، وحجة القراءات لابن زنجلة ٤٧٨ ، والكشـــف لمكي ابن أبي طالب ٢/ ١٢٠ .

وقرئ ﴿يُقَـٰتَلُونَ﴾ بفتح التـاء[١] ؛ أي الذين يقاتلهـم المشركون ، وهم المؤمنون ، ويقوي هذه القـراءة أن الفعل الذي بعده مسـند إلى المفعول به وهو قوله : ﴿ظُلِمُواْ﴾[٢] .

وفي الآية محذوف يدل على ظاهر الكلام .

قال الفرَّاء[٣] والزَّجَّاج[٤] : المعنى : أذن لهم أن يقاتلوا .

وقال أبو علي : المعنى فيه : أذن للذين يقاتَلون بالقتال . قال[٥] : وحذف مثل هذه من الكلام للدلالة[٦] عليه حسن كثير[٧] .

وقوله : ﴿بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ﴾ . قال المبِّرد : أي من أجل أنَّهم ظلموا .

وقال أبو إسحاق : بسبب ما ظلموا[٨] .

---

(١) قرأ نافع ، وحفص عن عاصم ، وابن عامر : ﴿يُقَـٰتَلُونَ﴾ بفتح التاء ، وقرأ الباقون بكسر التاء . السبعة ٤٣٧ ، والتبصرة ٢٦٦ ، والتيسير ١٥٧ ، والإقناع ٢/ ٧٠٦ .

(٢) من قوله : الذين يقاتلون عدوهم . . . إلى هنا . هذا كلام أبي علي في الحجة ٥/ ٢٨٠ ، ٢٨١ مع تقديم وتأخير . انظر : حجة القراءات لابن زنجلة ٤٧٨ ، ٤٧٩ ، والكشف لمكي بن أبي طالب ٢/ ١٢١ .

(٣) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٢٧ .

(٤) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٤٣٠ .

(٥) (قال) : ساقطة من (ظ) .

(٦) في (ظ) : (بالدلالة) .

(٧) الحجة لأبي علي الفارسي ٥/ ٢٨١ .

(٨) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٤٣٠ .

قال ابن عبـــاس : اعتدوا عليهم وظاهروا عليهـــم وأخرجوهم من ديارهم وأموالهم .

قوله تعالى : ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ﴾ . قال مقاتل : يعني نصر أصحاب النبي ﷺ فنصرهم عليهم[١] .

وقال أبو إسحاق : هذا وعد من الله بالنَّصر[٢] .

٤٠ . قوله تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ﴾ . [(الذين) في موضع خفض ، المعنى : أذن للذين أخرجوا من ديارهم][٣][٤] .

---

(١) تفسير مقاتل ٢/ ٢٦ أ .

(٢) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٤٣٠ بنحوه .

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ظ) و(د) و(ع) .

(٤) هذا كلام الزَّجَّاج في معاني القرآن ٣/ ٤٣٠ .
ويكون (الذين) في موضع خفض ؛ لأنه بدل من (الذين) الأولى ، أو صفة له .
وجوز أبو البقاء في الإملاء ٢/ ١٤٥ أن يكون (الذين) في موضع نصب بأعْني ، أو في موضع رفع على إضمار مبتدأ تقديره : هم الذين .
وتبعه في ذلك أبو حيَّان ٦/ ٣٧٤ ، والسمين الحلبي ٨/ ٢٨٢ .
انظـــر أيضاً : إعراب القرآن للنحاس ٣/ ١٠٠ ، والبيان في غريب إعراب القرآن للأنباري ٢/ ١٧٦ ، ١٧٧ .

قوله تعالى : ﴿إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ . قال الفـرَّاء[١] ، والزَّجَّاج[٢] : أي لم يخرجوا إلَّا بأن وحَّدُوا الله ، فأخرجتهم[٣] عبدة الأوثان لتوحيدهم . وعلى هذا ، (لم يخرجوا) مضمـر في الآية ، ودل عليه ذكر الإخراج في أول الآية والاسـتثناء المذكور[٤] .

وقال سيبويه : هذا من الاستثناء المنقطع ، المعنى : لكن بأن يقولوا ربنا الله[٥] .

والمعنى : ولكن أخرجوهم بتوحيدهم .

وذكر الفرَّاء هذا القول أيضاً ، فقال : وإن شـئت جعلت (أنْ) مسـتثناة كما قال : ﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [الليل :٢٠][٦] .

وحكى المبرِّد عن بعضهم قولاً آخـر ، وهو : أنَّ المعنى أخرجوا من ديارهم بأن جعل الحق في إخراجهم ؛ أي الذين اسـتحقوا به الإخراج قولهم : ربنا الله ،

---

(١) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٢٧ .

(٢) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٤٣٠ .

(٣) في (ظ) : (فأخرجهم) .

(٤) وعلى قول الفرَّاء والزجَّاج يكون الاستثناء في قوله : ﴿إِلَّآ أَن يَقُولُواْ﴾ متصلاً ، ويكون ﴿أَن يَقُولُواْ﴾ في محل جر على البدل .
وتبـع الفرَّاء والزَّجَّاج في هذا الزمخشري ٣/ ١٦ فقال : أي لغير موجب سـوى التوحيد الذي ينبغي أن يكون موجب الإقرار والتمكين لا موجب الإفراج والتيسـير . ومثله ﴿هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ [المائدة :٥٩] .
وذكر أبو حيان ٦/ ٣٧٤ قول الزَّجَّاج والزمخشري وتعقبهما بقوله : وما أجازاه من البدل لا يجوز ؛ لأنَّ البدل لا يكون إلَّا إذا سـبقه نفي أو نهي أو استفهام في معنى النفي . . . وأما إذا كان الكلام موجباً أو أمـراً ؛ فلا يجوز البدل . . . ولو قلت في غير القرآن : أخرج الناس من ديارهم إلَّا بأن يقولوا لا إله إلَّا الله ، لم يكن كلاماً .
انظر : الدر المصون ٨/ ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، وفتح القدير للشوكاني ٣/ ٤٥٧ .

(٥) الكتاب لسيبويه ٢/ ٣٢٥ .

(٦) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٢٧ .

كما تقول : ما غضبت عليَّ إلَّا أنِّي منصفٌ ؛ أي جعلت سبب غضبك إنصافي ؛ أي عدواناً وظلماً[١] . هذا كلامه[٢] .

وعلى هذا الاستثناء متصل ، واستثنى التوحيد من الباطل لضرب من المبالغة كقول النابغة :

ولا عيبَ فيهم غير أنَّ سيوفَهم بهنَّ فلولٌ[٣] من قِرَاعِ الكتائبِ[٤]

فاستثنى ما ليس بعيب من جملة العيب ، وهو ضرب من المبالغة في الكلام ، والمعنى على أنَّهم لا يعابون إلَّا بما ليس بعيب ، كذلك هؤلاء ما أخرجوا من ديارهم إلَّا بما لا يوجب الإخراج .

وقوله : ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ ، وقرئ : «ولولا دفاع الله»[٥] .

ومضى الكلام في هذا في الآية السابقة .

---

(١) في (ظ) و(د) و(ع) : (ظلماً وعدواناً) .

(٢) لم أقف عليه .

(٣) في (ظ) : (كلول) .

(٤) البيت في ديوانه ٤٤ ، والكتاب ٢/ ٣٢٦ ، والمعاني الكبير لابن قتيبة ١/ ٣٦٠ ، والكامل للمبرِّد ١/ ٥١ ، وهمع الهوامع للسيوطي ١/ ١٣٢ ، وشرح أبيات مغني اللبيب للبغدادي ٣/ ١٦ .
قال البغدادي ٣/ ١٩ : وهو من قصيدة يمدح بها عمرو بن الحارث الأصغر من ملوك الشام الغسَّانيين ، ويقال لهم : بنو جفنة .
قال السيرافي في شرح أبيات سيبويه ٢/ ٥١ : يمدح آل جفنة الغسانيين . والفلول : جمع فل ، وهو الثلم الذي يكون في السيف . والمعنى : أنهم يغزون كثيراً ويضاربون الأقران ، فسيوفهم قد تفلَّلت . والقراع والمقارعة : المضاربة بالسيوف . وقوله : ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم مفللة هو بمنزلة ليس فيهم عيب على وجه ؛ لأنه إذا كان تفليل سيوفهم هو عيبهم ، وهذا المعنى يمدح به ، فلا عيب فيه على وجه . وهذا يقوله الناس على طريقة المبالغة في المدح .

(٥) قرأ نافع : (ولولا دفاع الله) بالألف وكسر الدال ، وقرأ الباقون : ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ﴾ بغير ألف وفتح الدال .
السبعة ٤٣٧ ، والمبسوط لابن مهران ٢٥٨ .

قال أبو علي : ويجوز أن يكون الدفاع من دفع ، كالكتاب من كتب ، ولا يراد به مصدر فاعل ، ولكن مصدر الثلاثة مثل : الكتاب والقيام والغياث[١][٢] .

وقوله : ﴿لَّهُدِّمَتْ﴾ . الهَدم : مصدر هدمت البناء ، إذا نقضته . يقال : هدمته فانهدم . والهدم : المهدوم[٣] .

وقرئ (لهدمت) بالتخفيف والتشديد[٤] . فالتخفيف يكون للكثير والقليل ، يدلك على ذلك أنَّك تقول : ضربت زيداً ضربة ، وضربته ألف ضربة . فاللفظ في الكثرة والقلة على حال واحدة . والتشديد يختص به الكثير[٥] .

وقوله : ﴿صَوَٰمِعُ﴾ جمع صومعة ، وهي مُتَعبَّد الراهب .

قال الأزهري : الصومعة من البناء ، سميت صومعة لتلطيف أعلاها . يقال : صَمَّع الثريدة ، إذا رفع رأسها وحدَّده[٦] ، وكذلك صعنبها[٧] . وسُميت الثريدة ، إذا سويت كذلك ، صومعة . ومن هذا يقال : رجل أصمع إذا كان حادَّ الفطنة[٨] .

---

(١) في الحجة : (العتاب) .

(٢) الحجة : للفارسي ٥/ ٢٧٨ .

(٣) انظر : تهذيب اللغة للأزهري (هدم) ٦/ ٢٢٢ ، والصحاح : للجوهري ٥/ ٢٠٥٧ ، ولسان العرب ١٢/ ٦٠٣ .

(٤) قرأ ابن كثير ، ونافع : (لهدمت) بتخفيف الدال ، وقرأ الباقون ﴿لَّهُدِّمَتْ﴾ بشديد الدال . السبعة ٤٣٨ ، والتبصرة ٢٦٧ ، والتيسير ١٥٧ ، والإقناع ٢/ ٧٠٦ .

(٥) من قوله : فالتخفيف يكون . . . إلى هنا هذا كلام أبي علي الفارسي في الحجة ٥/ ٢٧٩ . انظر : إعراب القراءات السبع وعللها لابن خالويه ٢/ ٧٨ ، والكشف لمكي بن أبي طالب ٢/ ١٢١ .

(٦) في (ظ) و(د) و(ع) : (وحدده) ، وفي (أ) : (وحدده) ، وهو الموافق لما في تهذيب اللغة .

(٧) في (أ) و(ع) : (وصعسها) مهملة ، وفي (ظ) : (وصعبتها) ، وفي (د) : (وصعنبها) ، وهو الموافق لما في تهذيب اللغة .

(٨) تهذيب اللغة للأزهري (صمع) ٢/ ٦١ ، وقوله : ومن هذا يقال : رجل . . . في ٢/ ٦٠ .

قال مجاهد ، والضحاك[١] : يعني صوامع الرهبان .

وقال قتادة : الصوامع للصابئين[٢] .

وقال مقاتل بن حيان : هي البيوت التي على الطرق[٣] .

وقوله : ﴿وَبِيَعٌ﴾ [جمع بِيعة][٤] ، وهي كنيسة النصارى في قول أهل اللغة[٥] والمفسرين[٦] .

وقوله : ﴿وَصَلَوَٰتٌ﴾ . قال أبو إسحاق وأبو العباس[٧] . هي كنائس اليهود ، وهي بالعبرانية صلوتا[٨] .

---

(١) ذكره الثعلبي ٣/ ٥٣ ب عنهما . ورواه الطبري ١٧/ ١٧٥ عنهما .
وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٦٠ وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن أبي حاتم .

(٢) ذكره عنه الثعلبي ٣/ ٥٣ ب .
ورواه عبدالرزاق في تفسيره ٢/ ٣٩ ، والطبري ١٧/ ١٧٦ . وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٦٠ وعزاه لعبدالرزاق وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٣) ذكره عنه ابن كثير في تفسيره ٣/ ٢٢٦ .

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (أ) .

(٥) انظر : تهذيب اللغة (بيع) ٣/ ٢٣٩ ، والصحاح للجوهري ٣/ ١١٨٩ .

(٦) هذا قول أبي العالية وقتادة والضحاك ومقاتل بن حيان وخصيف وغيرهم . قال ابن كثير ٣/ ٢٢٦ : وقيل : (بيع) كنائس اليهود ، حكاه ابن جرير ١٧/ ١٧٦ والثعلبي ٣/ ٥٣ ب عن مجاهد وابن زيد .
وأما في اللغة فإن ابن منظور قال في لسان العرب (بيع) ٨/ ٢٦ : والبيعة ـ بالكسر ـ كنيسة النصارى ، وقيل : كنيسة اليهود .

(٧) قول أبي إسحاق في كتابه معاني القرآن . وقول أبي العباس ـ ثعلب ـ في تهذيب اللغة للأزهري (صلى) ١٢/ ٢٣٩ .

(٨) في (أ) : (صلاتا) ، وهو خطأ .

وهذا قول ابن عباس ، وقتادة ، والضحاك[١] ، ومقاتل[٢] .

وقوله : ﴿وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗا﴾ ؛ يعني مساجد المسلمين من أمة محمد ﷺ في قول ابن عباس وغيره[٣] .

وأما معنى الآية ، فقال أبو إسحاق : تأويل هذا : لولا أن الله دفع بعض الناس ببعض لهُدِّم في كل شريعة نبي[٤] المكان الذي يصلى فيه ، فكان لولا الدفع لهدم في زمن موسى عليه السلام الكنائس التي كان يصلى فيها في شريعته ، وفي زمن عيسى[٥] عليه السلام الصوامع والبيع ، وفي زمن محمد ﷺ المساجد[٦] .

وقال الأزهري : أخبر الله -جل ثناؤه- أنه لولا دفعه الناس[٧] عن الفساد ببعض الناس لهدمت متعبدات كل فريق من أهل دينه وطاعته في كل زمان . فبدأ

---

(١) ذكره الثعلبي ٣/ ٥٣ ب عن ابن عباس والضحاك وقتادة .
وعن ابن عباس رواه الطبري ١٧/ ١٧٦ من طريق العوفي بلفظ : (الكنائس) .
وليس فيه تقييدها باليهود ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٥٩ عن ابن عباس بلفظ : (كنائس اليهود) . وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير .
وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٥٩ عن ابن عباس رواية أن الصلوات : كنائس النصارى . وعزاه لعبد بن حميد وابن أبي حاتم .
وعن قتادة رواه عبدالرزاق في تفسيره ٢/ ٣٩ ، والطبري ١٧/ ١٧٦ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٦٠ وعزاه لعبدالرزاق وابن المنذر وابن أبي حاتم .
وعن الضحاك رواه الطبري ١٧/ ١٧٦ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٦ وعزاه لابن أبي حاتم .

(٢) تفسير مقاتل ٢/ ٢٦ أ .
وفي الصلوات قول آخر أنَّها مساجد للمسلمين وأهل الكتاب . رواه الطبري ١٧/ ١٧٧ وغيره عن مجاهد وابن زيد .

(٣) ذكره عن ابن عباس السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٥٩ وعزاه لعبد بن حميد وابن أبي حاتم .

(٤) في المعاني : لهدِّم في شريعة كل نبيٍّ .

(٥) (عيسى) : ساقطة من (أ) .

(٦) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٤٣١ .

(٧) في (ظ) : (للناس) .

بذكر البيع لأن صلوات من تقدَّم من أنبياء بني إسرائيل وأصحابهم[١] كانت فيها قبل نزول القرآن ، وأحدثت المساجد وسمِّيت بهذا الاسم بعدهم . فبدأ -جلَّ ثناؤه- بذكر الأقدم ، وأخَّرَ ذكر الأحدث[٢] .

وهذا مذهب أكثر أهل التأويل في هذه الآية .

وقال ابن زيد : الصَّلوات : صلوات أهل الإسلام تنقطع إذا دخل عليهم العدو[٣] .

وقال الأخفش : وعلى هذا ، فالصلوات لا تهدم ، ولكن يحمل على فعل آخر كأنه قال : وتركت صلوات[٤] .

وقال أبو عبيدة : إنَّما يعني مواضع الصلوات[٥] .

والقول هو الأول .

وقال الحسن : يدفع عن هدم[٦] مصليات أهل الذمة بالمؤمنين[٧] .

---

(١) في تهذيب اللغة : وأمهم ، الفرقان .

(٢) تهذيب اللغة للأزهري ٣/ ٢٣٩ .
قال ابن كثير ٣/ ٢٢٦ : وقال بعض العلماء : هذا ترق من الأقل إلى الأكثر إلى أن انتهى إلى المساجد ، وهي أكثر عماراً وأكثر عباداً وهم ذوو القصد الصحيح .

(٣) رواه الطبري ١٧/ ١٧٧ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٦٠ وعزاه لابن أبي حاتم .

(٤) معاني القرآن للأخفش ٢/ ٦٣٦ .

(٥) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ٥٢ وعبارته : مجازه مصليات .

(٦) في (أ) : (هم) .

(٧) ذكره عنه الثعلبي ٣/ ٥٤ أ .

وعلى هذا القول، لا يحتاج إلى التفسير[١] الذي ذكرنا في القول الأول، غير أن الأول[٢] أولى؛ لأنهم قبل أن صاروا أهل الذمة حين كانوا على الحق كانت متعبداتهم مدفوعاً عنها، وأيضاً فإنه يلزم أن يبدأ بذكر المساجد لفضلها، إذ بطلت البيع والكنائس في الإسلام.

وقوله: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾، أي ينصر[٣] دينه وشريعته ونبيه.

قال ابن عباس: يريد ينصر محمداً ﷺ.

قال مقاتل: وقد فعل، نَصر محمداً[٤] ونَصر أهل دينه[٥].

وقال أبو إسحاق: أي من أقام شريعة من شرائعه نصر على إقامة ذلك[٦].

وهذا وعد من الله بنصر من ينصر دينه وشريعته.

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ﴾. قال ابن عباس: على خلقه، ﴿عَزِيزٌ﴾ منيع في سلطانه وقدرته[٧].

---

(١) في (د) و(ع): (تفسير).
(٢) في (أ): (الأولى)، وهو خطأ.
(٣) في (أ): (لينصر).
(٤) في (أ): (محمد)، وهو خطأ.
(٥) تفسير مقاتل ٣/ ٢٦ أ.
(٦) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٤٣١.
(٧) انظر: الطبري ١٧/ ١٧٨، وابن كثير ٣/ ٢٢٦.

وقال مقاتل : ﴿عَزِيزٌ﴾ في انتقامه من عدوه[١] .

٤١. قوله تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ﴾ . ذهب بعض النحويين[٢] إلى أن هذا بدل من قوله : ﴿لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟﴾ ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم﴾ ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ﴾ كل هذا من وصف قوم واحد[٣] .

وعلى هذا ، ذكر الله -تعالى- المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم ، ثم ذكر أنه كان ينصر في كل زمان أهل دينه ، ويدفع عنهم بالغزاة ، ولولا ذلك لغلب عدوهم حتى تخرب[٤] متعبداتهم ، وكذا يفعل بهذه الأمة ، ينصرهم حتى يأمنوا في مساجدهم وديارهم ، ثم عاد إلى وصفهم فقال : ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ﴾ .

وقال أبو إسحاق : ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ﴾ : من صفة ناصريه[٥] . يعني قوله : ﴿مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾ . وعلى هذا هو في محل النصب[٦] . ومعنى ﴿مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ نصرناهم على عدوهم حتى يتمكنوا من البلاد غير مقهورين .

---

(١) انظر : تفسير مقاتل ٢/ ٢٦ أ

(٢) انظر : إعراب القرآن للنحاس ٣/ ١٠١ .

(٣) وعلى هذا القول فـ(الذين) في موضع خفض .
انظر : إعراب القرآن للنحاس ٣/ ١٠١ ، والإملاء للعكبري ٢/ ١٤٥ ، والبيان في إعراب غريب القرآن للأنباري ٢/ ١٧٧ .

(٤) في (ظ) : (تحرب) ، وفي (د) : (بحرب) ، وفي (ع) : (نحرب) .

(٥) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٤٣١ .

(٦) انظر : إعراب القرآن للنحاس ١/ ١٠١ ، ومشكل إعراب القرآن لمكي ٢/ ٤٩٤ ، والبيان في غريب إعراب القرآن للأنباري ٢/ ١٧٧ .
وذكر أبو البقاء العكبري في الإملاء ٢/ ١٤٥ أن إعراب : ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ﴾ مثل إعراب ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟﴾ واستظهره أبو حيان ٦/ ٣٧٦ ، وجوَّز ذلك السمين ٨/ ٢٨٦ ، ٨/ ٢٨٦ وقال : ويزيد هذا عليه يعني : ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ﴾ بأن يجوز أن يكون بدلاً من ﴿مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾ ذكره الزجَّاج ؛ أي ولينصرن الله الذين إن مكناهم في الأرض .

وقوله: ﴿أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ﴾.
قال ابن عباس: يريد المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان[١].

وقال قتادة: هم أصحاب محمد ﷺ[٢].

ونحو هذا قال مقاتل[٣].

وقال محمد بن كعب: هم الولاة[٤].

وقال أبو العالية: هم هذه الأمة[٥]. وهذا قول الحسن[٦]. وعكرمة: أهل الصلوات الخمس[٧].

وهذه الآية تدل على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ إذ قرنا بالصلاة والزكاة.

وقوله: ﴿وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ كقوله: ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ [البقرة: ٢١٠].
والمعنى: أنه يبطل كل ملك سوى ملكه، فتصير الأمور إليه بلا منازع ولا مُدَّع.

---

(١) ذكره عنه القرطبي ١٢/ ٧٣، وأبو حيان في البحر ٦/ ٣٧٦.
(٢) ذكره عنه الثعلبي ٣/ ٥٤ أ.
(٣) انظر: تفسيره ٣/ ٢٦ أ.
(٤) ذكره عنه السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٦٠ وعزاه لابن أبي حاتم.
(٥) ذكره عنه الثعلبي ٣/ ٥٤ أ.
وذكر السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٦٠ عنه أنه قال: أصحاب محمد ﷺ، وكذا ذكره ابن كثير ٣/ ٢٢٦.
(٦) ذكره عنه الثعلبي ٣/ ٥٤ أ، والنحاس في معاني القرآن ٤/ ٤١٩.
(٧) ذكره عنه الثعلبي ٣/ ١٥٤ أ.

٤٢-٤٤ . ثم عزَّى نبيه ﷺ عن تكذيبهم إياه ، وخوف مخالفيه بذكر من كذَّب نبيه فأُهلك[١] بقوله : ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ﴾ إلى قوله : ﴿وَكُذِّبَ مُوسَىٰ﴾ [قال بعض أهل المعاني . إنما قال : ﴿وَكُذِّبَ مُوسَىٰ﴾][٢] ولم يقل : وقوم موسى كما ذكر[٣] قوم غيره من الأنبياء ؛ لأن قوم موسى كانوا بني إسرائيل وهم آمنوا به ، وإنما كذَّبه فرعون وقومه ، وغيره من الأنبياء كذَّبه قومه الذين كانوا من نسبه[٤] .

وقوله : ﴿فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ ؛ أي أخَّرت العقوبة عنهم وأمهلتهم[٥] .

يقال : أمْلى الله لفلان في العمر ، إذا أخَّر عنه أجله[٦] . وأصل هذا من المَلَوين[٧] .

وذكرنا هذا عند قوله : ﴿وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾ [مريم :٤٦] .

وقوله : ﴿ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ﴾ ؛ أي بالعذاب .

---

(١) في (ظ) : (وأهلك) .

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ط) .

(٣) في (أ) : (ذكره) .

(٤) ذكر القرطبي ١٢/ ٧٣ وأبو حيان ٦/ ٣٧٦ هذا المعنى ، ولم ينسباه لأحد .

(٥) انظر : الطبري ١٧/ ١٧٩ ، والثعلبي ٣/ ٥٤ أ .

(٦) انظر : تهذيب اللغة للأزهري (ملا) ١٥/ ٤٠٥ ، والصحاح للجوهري (ملا) ٦/ ٢٤٩٧ .

(٧) الملوان : الليل والنهار ، أو طرفاهما . انظر : الصحاح للجوهري (ملا) ٦/ ٢٤٩ ، ولسان العرب لابن منظور (ملا) ١٥/ ٢٩١ .

قال ابن عباس : يريد : فعذبتهم[١] .

﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ استفهام معناه التقرير ، والنكير اسم من الإنكار . يقول : كيف أنكرت عليهم بالعقوبة . ألم أبدلهم بالنعمة نقمة ، وبالكثرة[٢] قلة ، وبالحياة هلاكاً ، وبالعمارة خراباً ؟[٣] .

وقال أبو إسحاق : أي ثم أخذتهم ، فأنكرت أبلغ إنكار[٤] .

٤٥ . ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ﴾[٥] ؛ أي وكم من قرية . ومعنى وكم من قرية : عدد كثير[٦] . يعني القرى المهلكة بظلم أهلها حين كذبوا نبيهم . وذكرنا الكلام في «كأين» في سورة آل عمران[٧] .

وقوله[٨] : «أهلكتها» وقرئ «أهلكناها»[٩] . والاختيار التاء لقوله : ﴿فَأَمْلَيْتُ﴾ ﴿ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ﴾[١٠] . ومن قرأ بالنون ذهب إلى أمثاله مما ذكر بلفظ

---

(١) في (أ) : (تعذيبهم) .
(٢) في (ظ) : (والكثرة) .
(٣) هذا كلام الطبري ١٧/ ١٧٩ مع تصرف .
(٤) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٤٣١ .
(٥) في (أ) و(ظ) و(د) : (وكأيِّن) ، وهو خطأ .
(٦) هذا من كلام الزَّجَّاج . انظر : معاني القرآن ٣/ ٤٣١ .
(٧) عند قوله تعالى : ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾ [آل عمران :١٤٦] .
(٨) (وقوله) : ليست في (أ) .
(٩) قرأ أبو عمرو : (أهلكتها) بالتاء مضمومة من غير ألف على لفظ التوحيد ، وقرأ الباقون : (أهلكناها) بالنُّون بلفظ الجمع .
انظر : السبعة ٤٣٨ ، والتبصرة ٢٦٧ ، والتيسير ١٥٧ .
(١٠) قال مكي في الكشف ٢/ ١٢١ ، ١٢٢ : وحجة من قرأ بالتاء أنه حمله على لفظ التوحيد الذي أتى بالتاء قبله وهو قوله : (فأمليت للكافرين ثم أخذتهم) ، وحمله أيضاً على لفظ التوحيد بعده في قوله : ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ [الحج :٤٨] فكان حمل الكلام على ما قبله وما بعده أحسن وأليق .

الجمع كقولـه : ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ﴾ [الأنبياء :١١]﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَهَا﴾ [الأعراف :٤]﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ﴾ [يونس :١٣][١] .

وقولـه : ﴿وَهِىَ ظَالِمَةٌ﴾ ؛ أي أهلها ظالمـون بالتكذيب والكفر ، ﴿فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ . مضى تفسيره مستقصى في سورة البقرة[٢] .

وقوله : ﴿وَبِئْرٍ﴾ ذكر الفرَّاء في كسره ثلاثة أوجه :

أحدها : العطف على العروش[٣] .

والثاني : الإتباع كقراءة من قرأ (وحورٍ عينٍ) [الواقعة :٢٢] بالخفض .

الثالث : العطف على﴿مِّن قَرْيَةٍ﴾[٤] .

وهذا هو المختـار[٥] ، والأولان خلفٌ[٦] ؛ لأن المعنـى وكم من بئر معطلة وقصر مشيد تركوها بعد إهلاكهم[٧] .

---

(١) هذا كلام أبي علي في الحجة ٥/ ٢٨١ ، ٢٨٢ مع تصرف . قال مكي في الكشـف ٢/ ١٢٢ : وحجة من قرأ بلفظ الجمع أنه أفخم ، وفيه معنى التعظيم ، وبه جاء القرآن في مواضع .
انظر : حجة القراءات لابن زنجلة ٤٨٠ .

(٢) انظر : البسيط عند قوله تعالى : ﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ [البقرة :٢٥٩] .

(٣) قـال أبـو حيَّـان ٦/ ٣٧٧ : وجعـل ﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾ معطوفين على ﴿عُرُوشِهَا﴾ جهل بالفصاحة . وقال السـمين الحلبي ٨/ ٢٨٧ عن هذا القول ، وليس بشيء . وكذا قال الألوسي ١٧/ ١٦٦ .

(٤) انظر كلام الفرَّاء في : معاني القرآن ٢/ ٢٢٨ .

(٥) وقال عنه السـمين الحلبي ٨/ ٢٨٧ : وهـذا هو الوجه . انظر : إعراب القـرآن للنحاس ٣/ ١٠٢ ، والبحرالبحر المحيط ٦/ ٣٧٧ .

(٦) أي خطأ . قال الجوهري : الخلف : الرديء من القول . يقال سكت ألفاً وتكلم خلفاً ؛ أي سكت عن ألف كلمة ثم تكلم بخطأ . الصحاح (خلف) ٤/ ١٣٥٤ .

(٧) في (ط) و(د) و(ع) : (هلاكهم) .

قوله تعالى : ﴿مُّعَطَّلَةٍ﴾ ؛ أي متروكة من العمل والاستقاء . ومعنى التعطيل : الترك من العمل . قال الليث : وإذا[١] ترك الثغر بلا حام يحميه فقد عطل ، وبئر معطلة : لا يستقى منها ، ولا ينتفع بمائها[٢] .

قال المبرِّد : والمعطل : المتروك على هيئته ، وأصله مأخوذ من العطل ، وهو : الجسم . وكأنها متروكة كما هي[٣] .

قل ابن عباس : يريد : بئر لا يستقى منها[٤] .

قوله : ﴿وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أنه بمعنى المشيَّد ، وهو المطول[٥] المرفوع ، وذكرنا ذلك في قوله : ﴿بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ [النساء :٧٨] . وهو قول قتادة ، والضحاك ، ومقاتل[٦] .

---

(١) في (أ) : (فإذا) ، وفي (د) و(ع) : (إذا) ، والمثبت من (ظ) وهو الموافق لما في تهذيب اللغة .

(٢) تهذيب اللغة للأزهري (عطل) ٢/ ١٦٦ نقلاً عن الليث .
وفي العين (عطل) ٢/ ٩ : وبئر معطلة ؛ أي لا تورد ولا يستقى منها .

(٣) لم أجد من ذكره عنه .

(٤) روى الطبري ١٧/ ١٨٠ عن ابن عباس ﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ﴾ قال : التي قد تركت . وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٦١ وعزاه لابن جرير وابن المنذر .

(٥) في (أ) : (المطلول) ، وهو خطأ .

(٦) ذكره الثعلبي ٣/ ٥٤ أ عنهم جميعاً .
وعن قتادة رواه عبدالرزاق في تفسيره ٢/ ٤٠ ، والطبري ١٧/ ١٨١ بلفظ : كان أهله شيدوه وحصنوه .
وعن الضحاك رواه الطبري ١٧/ ١٨١ بلفظ : طويل .
وهو في تفسير مقاتل ٢/ ٢٦ ب .

والثاني : أنه المجصص يقال : شــاده يشــيده ، إذا بناه بالشِّــيد وهو الجص والنورة[١] وأنشد أبو عبيدة[٢] لعدي بن زيد :

شـادهُ مـرمـراً وجللـه كِلْسـاً فللـطـــيرِ في ذراهُ وكـــورُ[٣]

وقال أبو إسحاق : أصل الشيد : الجص والنورة ، وكل ما بني بهما أو بأحدهما فهو مَشِيد[٤] بفتح الميم وكسر الشين .

---

(١) انظر : تهذيب اللغة للأزهري (شــاد) ١١/ ٣٩٤ ، والصحاح للجوهري (شـيد) ٢/ ٤٩٥ ، ولسان العرب (شيد) ٣/ ٢٤ .
والنورة بالضم : الهناءُ ، وهو من الحجر يُحرق ويســّوى منه الكلس . لسان العرب (نور) ٥/ ٢٤٤ ، وتاج العروس للزبيدي (نور) ١٤/ ٣٠٦ .

(٢) في (د) و(ع) : (أبو عبيد) ، والصواب ما في (أ) و(ظ) .

(٣) البيت أنشده أبو عبيدة لعدي بن زيد في كتابه مجاز القرآن ٢/ ٥٣ .
وهو في ديوان عدي بن زيد ٨٨ ، والشعر والشعراء لابن قتيبة ١٣ ، وغريب القرآن لابن قتيبة ٢٩٤ ، والكامــل ١/ ٩٠ ، والطبري ١٧/ ١٨٢ ، والجمهــرة لابن دريد (كلس) ٣/ ٤٥ ، ولســان العرب (كلــس) ٦/ ١٩٧ . والرواية عندهم : جلله ، إلّا الديوان والجمهرة فإن الرواية فيهما : خلله ، ثم قال ابن دريد بعد روايته للبيت :
هكذا رواه الأصمعي بالخاء معجمة ، وقال : ليس جلله ـبالجيمـ بشيء ، وروى غيره بالجيم ، وقال الأصمعي : إنّما هو خلله ؛ أي صير الكلس في خلــل الحجارة ، وكان يضحك من هذا ويقول : متى رأوا حصناً مصهرجاً .
المرمر : الرخام . الصحاح للجوهري (مرر) ٢/ ٨١٤ .
والكلس بالكسر : ما طلي به حائط أو باطن قصر شــبه الجص من غير آجر ، وقيل هو الصاروج يعني النورة وأخلاطها التي تطلى بها النزل ، فارسي معرب ، أو مثل الصاروج .
انظر : لســان العــرب (كلــس) ٦/ ١٩٧ ، و(صرج) ٢/ ٣١٠ ، وتاج العــروس للزبيدي (كلس) ١٦/ ٤٤٨ .
(ذراه) : أعلاه . الصحاح للجوهري (ذرا) ٦/ ٢٣٤٥ .
كور : جمع وكر ، وهو العش . لسان العرب (وكر) ٥/ ٢٩٢ .

(٤) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٤٣٢ . وقوله : بفتح الميم وكسر الشين ، هذا من كلام الواحدي .

وهذا قول عطاء ، وعكرمة ، وأبي صالح ، والسَّـدي ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير ، وأكثر المفسرين[١] .

ومـن المفسرين من يخصص البئر المذكورة في هذه الآية وهو قول الضحاك ، والسدي قالا : كانت هذه البئر باليمن[٢] .

وليس بالوجه .

٤٦. ثم حثَّ على الاعتبار بحـال من مضى من الأمم المكذبة فقال : ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ قـال ابن عباس : يريد : أفلـم يسر قومك في أرض الشـام وأرض اليمن ﴿فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ﴾ ؛ أي يعلمون بها مدلول ما يرون من العبر .

(والمعنى : أفلم يسيروا فيعقلوا بقلوبهم ما نزل بمن كذب قبلهم . والتأويل : فتكون لهم قلوبٌ عاقلة [عالمة ؛ لأن قوله :)[٣] ﴿يَعْقِلُونَ بِهَآ﴾ صفة للنكرة ، وقبل

---

(١) ذكره الثعلبي ٣/ ٥٤ أ عن عطاء وعكرمة ومجاهد وسعيد بن جبير .
ورواه عن هؤلاء الأربعة الطبري ١٧/ ١٨٠ ، ١٨١ .
ورواه عن عطاء وعكرمة عبدالرزاق في تفسيره ٢/ ٣٩ .
ولم أجده من ذكره عن أبي صالح والسدي .
قال ابن كثير ٣/ ٢٢٧ بعـد ذكره للأقوال : والأقوال متقاربة ، ولا منافـاة بينها ، فإنه لم يحمل أهله شدة بنائه ولا ارتفاعه ولا إحكامه ولا حصانته عن حلول بأس الله بهم كما قال تعالى : ﴿أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ [النساء :٧٨] .
وقال العلامة عبدالرحمن بن سعدي في تيسـير الكريم الرحمن ٣/ ٣٢٧ ، ٣٢٨ : وكم من قصر تعب عليه أهله ، فشـيدوه ورفعوه وحصنوه وزخرفوه ، فحين جاءهم الأمر لم يغن عنهم شـيئاً ، وأصبح خالياً من أهله .

(٢) ذكره الثعلبي ٣/ ٥٤ أ عن الضَّحاك . وذكر فيها قصَّة .
وذكره القرطبي ١٢/ ٧٥ عن الضحاك وغيره ، وساق عنه قصَّة طويلها في خبر هذه البئر وأصحابها . والله أعلم بصحة هذا الخبر .

(٣) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

أن يسيروا لهم قلوب ولكن غير عاقلة ، فإذا ساروا واعتبروا كانت لهم قلوب عاقلة][1] وعلى هذا النحو قوله : ﴿أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ .

قال ابن عباس : يريد من يسمع فلم يجب فلم يسمع .

يعني أنهم غير سامعين إذا صمُّوا عن دعائك ، أفلا يسيرون فيسمعوا[2] أخبار الأمم المكذبة فيعتبروا ؟

قال ابن قتيبة في هذه الآية والتي قبلها : وهل شيء أبلغ في العظة والعبرة من هذه الآية ؟ لأن الله -تعالى- أراد[3] : أفلم يسيروا في الأرض ، فينظروا إلى آثار قوم أهلكهم الله بالعتو ، وأبادهم بالمعصية ، فيروا من تلك الآثار بيوتاً خاوية قد سقطت على عروشها ، وبئراً لشُرب أهلها قد عُطِّلت[4][5] ، وقصراً بناه ملكها[6] بالشيد قد خلا من السكن وتداعى بالخراب ؛ فيتعظوا بذلك ، ويخافوا من عقوبة الله وبأسه ، مثل الذي[7] نزل بهم ؟ ونحو هذا قوله : ﴿فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ﴾ [الأحقاف :٢٥] . انتهى كلامه[8] .

ثم ذكر الله -تعالى- أنَّ[9] أبصارهم الظاهرة لم تعم عن النظر ، وإنما عميت أبصار[10] قلوبهم ، فقال : ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ .

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ظ) .
(٢) في (أ) : (فيسمعون) ، وهو خطأ .
(٣) (أراد) : موضعه بياض في (ظ) .
(٤) في (أ) : (غلطت) ، وهو خطأ .
(٥) العبارة عند ابن قتيبة : وبئراً كانت لشُرب أهلها قد عطل رشاؤها وغار معينها ، وقصراً .
(٦) عند ابن قتيبة : (ملكه) .
(٧) (الذي) : ساقطة من (أ) .
(٨) مشكل القرآن لابن قتيبة ١٠ .
(٩) (أن) : ساقطة من (أ) .
(١٠) (أبصار) : ساقطة من (أ) .

قال الفرَّاء : الهاء هاء عماد يوفى[١] بها (إنَّ) ويجوز مكانها (إنَّه) ، وكذلك هي في قراءة عبدالله[٢] .

وقال غيره : هي إضمار على شريطة التفسير . والمعنى : فإنَّ الأبْصار لا تعمى . ويجوز أن تكون الهاء لإضمار القصة . وذكرنا هذه الأقوال مشروحة في تفسير قوله : ﴿فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [الأنبياء :٩٧] .

وقوله : ﴿ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾ . ذكر الفرَّاء وأبو إسحاق[٣] : أن هذا من التوكيد الذي تزيده العرب في الكلام ، كقوله : ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ [البقرة :١٩٦] . وقوله : ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم﴾ [آل عمران :١٦٧] وقوله : ﴿يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ [الأنعام :٣٨] . والتوكيد جار في الكلام مبالغ في الإفهام .

وقال غيرهما : هذا التوكيد فائدته أنَّه يمنع من ذهاب الوهم إلى غير معنى القلب المعروف ، لأنَّه قد يذهب إلى أنَّ فيه اشتراكاً كقلب النَّخلة ، فإذا[٤] أكد كان أنفى للبس بتجويز الاشتراك .

٤٧. قوله تعالى : ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ﴾ . قال ابن عباس : كانوا يقولون للنبي ﷺ : ائتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين ، فأنزل الله هذه الآية[٥] .

---

(١) عند الفرَّاء : تُوَفّى .

(٢) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٢٨ .

(٣) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٢٨ ، ومعاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٤٣٢ .

(٤) في (أ) : (وإذا) .

(٥) في تنوير المقباس ٢٠٩ : (استعجله النضر بن الحارث قبل أجله . وذكر الثعلبي ٣/ ٥٤ ب ، والبغوي ٥/ ٣٩١ ، والقرطبي ١٢/ ٨٨ أنها نزلت في النضر بن الحارث . ذكروا ذلك من غير سند ولا نسبة لأحد .

قال القرطبي : وقيل نزلت في أبي جهل بن هشام .

وما ذكر جميعه لا يثبت بمثله سبب في نزول الآية ، والله أعلم .

والمعنى : يسألونك أن تأتي بعذابهم عاجلاً غير مؤخَّر .

وقوله : ﴿وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ﴾ ؛ أي في أن ينزل بهم العذاب[١] في الدنيا . قاله الفرَّاء[٢] .

وقال ابن عبَّاس : يريد بهذا يوم بدر[٣] .

قوله تعالى : ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ قال مجاهد وعكرمة وابن زيد : هو من أيَّام الآخرة[٤] .

ويدل على هذا ما روي في الحديث : «أن الفقراء يدخلون الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم : خمسمائة عام»[٥] .

وعلى هذا معنى الآية أنَّهم يستعجلون بالعذاب[٦] وإنَّ يوماً من أيَّام عذابهم في الآخرة ألف سنة .

قال الفرَّاء : ففي هذه الآية وعد لهم بالعذاب في الدنيا والآخرة[٧] .

---

(١) في (د) و(ع) : (في نزول العذاب بهم) .

(٢) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٢٩ .

(٣) ذكر هذا القول الثعلبي ٣ ٥٤ ب ولم ينسبه لأحد .

(٤) ذكره الثعلبي ٣/ ٥٤ ب عن مجاهد وعكرمة ، ورواه عنهما الطبري في تفسيره ١٧/ ١٨٣ . وذكره البغوي ٥/ ٣٩٢ عن ابن زيد .

(٥) رواه الإمام أحمد في مسنده ٢/ ٣٤٣ ، والترمذي في جامعه ، أبواب الزهد باب ما جاء أن فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم ٧/ ٢١ـ٢٣ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .
قال المنذري : ورواته محتج بهم في الصحيح .
وقال ابن القيم في حادي الأرواح ١١٠ : ورجال إسناده احتج بهم مسلم في صحيحه .

(٦) في النسخ جميعها : (يستعلجون العذاب إنَّ) . والتصويب من الوسيط للواحدي ٣/ ٢٧٥ .

(٧) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٢٩ بمعناه .

وقال[١] أبو إسحاق : الذي تدل عليه الآية[٢] أنهم استعجلوا العذاب ، فأعلم الله أنه لا يفوته شيء ، وأن يوماً عنده وألف سنة في قدرته واحد ، ولا فرق بين وقوع ما يستعلجون به[٣] من العذاب وتأخره في القدرة ، إلَّا أنَّ الله تفضَّل بالإمهال ، فالفرق بين التأخير والتقديم تفضل الله بالنَّظرة[٤][٥] .

وهذا الذي ذكره معنى قول ابن عباس في رواية عطاء[٦] .

والمعنى : إنَّ يوماً عنده في الإمهال وألف سنة سواء ؛ لأنَّه قادرٌ عليهم متى شاء[٧] أخذهم . وقد كشف أبو إسحاق عن هذا بأبلغ بيان[٨] .

وذُكر وجه ثالث[٩] في تفسير هذه الآية وهو : أنَّ المعنى : وإنَّ يوماً عند ربك من أيَّام عذابهم في الآخرة كألف سنة في الثِّقل والاستطالة ، فكيف يستعجلون بالعذاب لولا جهالتهم .

وهذا الوجه لأصحاب المعاني ، ذكره الأخفش وغيره[١٠] .

---

(١) في (أ) : (قال) .

(٢) في (ظ) : (الآخرة) ، وهو خطأ .

(٣) (به) : ساقطة من (أ) .

(٤) في (أ) : (بالنظر) .

(٥) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٤٣٣ مع اختلاف يسير .

(٦) ذكر البغوي ٥/ ٣٩٢ أن هذا معنى قول ابن عباس في رواية عطاء .

(٧) في (أ) : (متى ما شاء) .

(٨) (بيان) : ساقطة من (ظ) .

(٩) هكذا في (ظ) و(د) و(ع) . وفي (أ) : (وذكر وجهاً ثالثاً) ، فيعود على أبي إسحاق .
والصواب ما أثبتنا ؛ لأن أبا إسحاق لم يذكر هذا الوجه ، ولقول الواحدي بعد ذلك : وهذا الوجه لأصحاب المعاني . . . .

(١٠) انظر : معاني القرآن للأخفش ٢/ ٦٣٨ . وقد ذكر هذا الوجه الثعلبي ٣/ ٥٤ ب وعزاه لأهل المعاني .

قال أبو علي : وقد جاء في كلامهم وصف اليوم ذي الشدائد والجهد بالطول ، وجاء وصف[١] خلافه بالقصر . أنشد أبو زيد[٢] :

تطاولتْ أيامُ معنٍ بنا فيومٌ كشهرينِ إذ يُسْتَهل[٣]

وقال آخر :

يطولُ اليومُ لا ألْقاكَ فيه وحَوْلٌ[٤] نلتقي فيه[٥] قصيرُ[٦]

وقال جرير :

ويومٌ كإبْهام الحُبارى لَهَوتُه[٧][٨]

وهذا كما يقال : أيّام الهُموم طوال ، وأيام السرور قصار[٩] .

فهذه أوجه ثلاثة[١٠] في تأويل هذه الآية .

وروي عن ابن عباس أنه قال في قوله : ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ﴾ الآية : هو من الأيّام التي خلق الله فيها السَّموات والأرض[١١] .

---

(١) في (ظ) : (وجه) ، وهو خطأ .

(٢) البيت ذكره أبو علي في الحجة ٥/ ٢٨٣ من إنشاد أبي زيد ومن غير نسبة لأحد ، ولم أهتد لقائله .

(٣) في (أ) : (يسهل) .

(٤) في الحجة : (ويوم) .

(٥) في (ظ) و(د) و(ع) : (حول) .

(٦) البيت في الحجة ٥/ ٢٨٣ من غير نسبة لأحد .

(٧) هذا الشطر من البيت لم أجده في ديوانه ، وهو في الحجة ٥/ ٢٨٣ من غير نسبة .
وإبهام الحُبارى يضرب به المثل ، فقال : أقصر من إبهام الحبارى . انظر : مجمع الأمثال للميداني ٢/ ٥٣٦ .

(٨) قول أبي علي ، والأبيات في الحجة ٥/ ٢٨٣ .

(٩) قوله : وهذا كما يقال . . . . هذا كلام الثعلبي في الكشف والبيان ٣/ ٥٤ ب .

(١٠) في (ظ) : (ثلاث) ، وهو خطأ .

(١١) رواه الطبري ١٧/ ١٧٣ ، وابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير ٣/ ٢٢٨ .
وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٦٢ وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم .

وهـــذا لا يتوجَّه في معنى الآية ؛ لأن تلك الأيام قد مضت ، إلَّا أن يُحمل على أن[١] المراد أنّ أيَّام الآخرة بمقدار هذه المدة فيعود المعنى إلى القول الأول .

روى[٢] ابن أبي مليكة أنَّ ابن عباس سئل عن هذا وعن قوله[٣] : ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج :٤] فقال : يومان ذكرهما الله –تعالى– في كتابه أكره أنْ أقول في كتاب الله ما لا[٤] أعلم[٥] .

وقرئ (ممـــا يعـــدُّون) و(تعـــدُّون)[٦] . فمـــن قـــرأ بالياء فوجهـــه قوله : ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ﴾ فيكون الكلام من وجه واحد ، ومن قرأ بالتاء فوجهه أنه أعمُّ ، ألا ترى أنه يجوز أن يُعنى به المستعجلون وغيرهم من المسلمين[٧] .

٤٨–٥١ . ثم أعلم الله أنه قد أخذ قوماً بعد الإملاء والتأخير ، فقال : ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا﴾ الآية ، وهي مفسرة في ما ســبق قبيل . وما بعدها ظاهـــر التفســـير إلى قولـــه : ﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوْا۟ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا﴾ ؛ أي عملوا في إبطالها ﴿مُعَـٰجِزِينَ﴾ ؛ قال ابن عباس : مشاقين معاندين مغالبين[٨] .

---

(١) (أن) : ساقطة من (ظ) .

(٢) في (ظ) : (وروى) .

(٣) في (ظ) : (وعن قوله يوم كان . . . .) ، وفي (د) و(ع) : (وعن قوله كان مقداره . . . .) .

(٤) في (ظ) : (مما لا أعلم) ، وفي (د) و(ع) : (بما لا أعلم) .

(٥) رواه عبدالرزاق ٢/ ١٠٨ ، والطبري ٢٩/ ٧٢ .
وذكره السـيوطي في الدر المنثور ٦/ ٥٣٧ وعزاه لعبدالرزاق وسعيد بن منصور وابن المنذر وابن أبي حاتم ، وابن الأنباري في المصاحف ، والحاكم .

(٦) قرأ ابن كثير ، وحمزة ، والكسائي : (مما يعدون) بالياء . وقرأ الباقون بالتاء .
السبعة ٤٣٩ ، والتبصرة ٢٦٧ ، والتيسير ١٥٨ .

(٧) الحجـة لأبي علي الفارسي ٥/ ٢٨٣ مع اختلاف يسـير . انظر : حجة القـراءات لابن زنجلة ٤٨٠ ، والكشف لمكي بن أبي طالب ٢/ ١٢٢ .

(٨) ذكره عنه الثعلبي ٣/ ٥٤ ب من دون قوله : معاندين .
ورواه الطبري ١٧/ ١٨٥ بلفظ : مشاقين .

وقال الأخفش : مسابقين[١] .

ومعنى المعاجزة في اللغة : محاولة عجز المغالب[٢] .

قال أبو أسحاق وأبو علي : ﴿مُعَٰجِزِينَ﴾ ؛ ظانين ومُقدرين أن يعجزوننا[٣] ، لأنهم ظنوا أن لا بعث ولا نشور ، وأنه لا جنة ولا نار[٤] .

وهذا معنى قول قتادة : ظنوا أنهم يعجزون الله فلا يقدر عليهم ، ولن يعجزوه[٥] . وهذا [في المعنى][٦] كقوله : ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا﴾ [العنكبوت :٤] .

ومن قرأ (مُعجِّزين)[٧] فالمعنى أنهم كانوا يُعجزون من اتبع النبي ﷺ ؛ أي ينسبونهم إلى العجز ، كقولهم : جهلته وفسقته . وهذه قراءة مجاهد ، وزعم[٨] في تفسير معجزين : مثبطين ؛ أي يثبطون الناس عن الإيمان بالنبي ﷺ[٩][١٠] .

---

(١) ذكره عنه الثعلبي ٣ ٥٤ ب .

(٢) انظر : تهذيب اللغة للأزهري (عجز) ١/ ٣٤٠ ، ولسان العرب ٥/ ٣٦٩ ، ٣٧٠ .

(٣) في (أ) : (يعجزونا) .

(٤) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٤٣٣ ، والحجة للفارسي ٥/ ٢٨٤ .

(٥) ذكره بهذا اللفظ الثعلبي ٣/ ٥٤ ب . وقد رواه عبدالرزاق ٢/ ٤٠ ، والطبري ١٧/ ١٨٥ من دون قوله : فلا يقدر عليهم . وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٦٤ وعزاه لعبدالرزاق وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (ع) .

(٧) قرأ ابن كثير ، وأبو عمرو : (معجِّزين) بتشديد الجيم من غير ألف . وقرأ الباقون : ﴿مُعَٰجِزِينَ﴾ بألف بعد العين : وتخفيف الجيم . السبعة ٤٣٩ ، والتبصرة ٢٦٧ ، والتيسير ١٥٨ .

(٨) في الحجة : وزعموا أن مجاهداً فسَّر .

(٩) تفسير مجاهد رواه الطبري ١٧/ ١٧٨٦ : مبطئين ؛ يبطئون الناس عن اتباع النبي ﷺ .
وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٦٤ مثل لفظ الطبري وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(١٠) من قوله : وهذا في المعنى . . إلى هنا . هذا كلام أبي علي في الحجة ٥/ ٢٨٤ مع تصرُّف . =

وعلى هذا ليس المراد بالتعجيز النسبة إلى العجز ، والمراد به طلب عجزهم[١] وجعلهم عاجزين بالتثبيط وأسبابه ؛ كي يعجزوا فلا يؤمنوا .

ثم أخبر عن هؤلاء أنَّهم أصحاب النار بقوله : ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ﴾ .

٥٢. قوله تعالى : ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ﴾ . الرسول : الذي أرسل إلى الخلق بإرسال جبريل إليه عياناً ، ومحاورته إيَّاه[٢] شفاهاً . والنبي : الذي[٣] تكون نبوته إلهاماً أو مناماً . فكلُّ رسول نبيٌّ ، وليس كل نبي رسولاً[٤] .

= انظر أيضاً : في توجيه القراءة علل القراءات للأزهري ٢/ ٤٢٨ ، ٤٢٩ ، وحجة القراءات لابن زنجلة ٤٨١ ، والكشف لمكي بن أبي طالب ٢/ ١٢٣ .

(١) أي عجزهم الناس .

(٢) في (أ) : (ومجاورته إياها) ، وهو خطأ .

(٣) في (ظ) : (التي) .

(٤) هذا كلام الثعلبي في الكشف والبيان ٣/ ٥٥أ مع اختلاف يسير .

وقد اختلف في الفرق بين الرسول والنبي على أقوال :

أحدها : ما ذكره المؤلف .

الثاني : أن النبي الرسول هو من أنزل عليه كتاب وشرع مستقل يدعو الناس إليه ، والنبي المرسل ـ الذي هو غير الرسول ـ هو من لم ينزل عليه كتاب ، وإنما أوحي إليه أن يدعو الناس إلى شريعة رسول قبله ، كأنبياء بني إسرائيل الذين كانوا يرسلون ويؤمرون بالعمل بما في التوراة كما قال تعالى : ﴿يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ﴾ [المائدة : ٤٤] .

الثالث : أن الرسول هو الذي أرسله الله تعالى ، وهو مأمور بدعوة الخلق وتبليغهم رسالات ربه ، والنبي هو المنبئ عن الله ، فالله ينبئه بالغيب ، وهو ينبئ الناس بالغيب . وقريب من هذا القول قول من قال : النبي هو من أوحي إليه وحي ولم يؤمر بتبليغه ، والرسول هو النبي الذي أوحي إليه وأمر بتبليغ ما أوحي إليه .

وهذا الأخير أضعف الأقوال ، قال الشنقيطي ٥/ ٧٣٥ معللاً عدم صحة هذا القول : لأن قوله : ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ﴾ الآية يدل على أن كلاً منهما مرسل ، وأنهما مع ذلك بينهما تغاير . انظر : النكت والعيون للماوردي ٤/ ٣٦ ، وتفسير الرازي ٢٣/ ٤٦ ، وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١٨/ ٧ ، وروح المعاني للآلوسي ١٧/ ١٧٢ ، ١٧٣ ، وأضواء البيان للشنقيطي ٥/ ٧٣٥ .

وهذا معنى قول الفرَّاء : الرسول : النبي المرسل ، والنبي : المحدَّث[١] الذي لم يرسل[٢] .

قوله : ﴿إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ﴾ . قال ابن عباس في رواية عطاء إلَّا إذا قرأ[٣] . وهذا معنى قول المفسرين : تلا[٤] . وقال مجاهد : إذا قال[٥] .

وذكرنا التَّمنِّي بمعنى التلاوة والقراءة مستقصى بذكر الحجج[٦] في سورة البقرة عند قوله : ﴿إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾ [البقرة :٧٨] .

قوله : ﴿أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾ ؛ أي تلاوته .

قال المفسرون بألفاظ مختلفة ومعاني متفقة : إنَّ رسول الله ﷺ كان حريصاً على إيمان قومه أشد الحرص ، فجلس يوماً في نادٍ من أنديتهم[٧] ، وقرأ عليهم سورة النجم[٨] ، فلما أتى على قوله : ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ [النجم :١٩-٢٠] ألقى الشيطان في أمنيته حتى وصل به «تلك الغرانيق العلى ، وإن شفاعتهن لترتجي» ثم قرأ السورة كلها حتى بلغ آخرها ، فسجد رسول الله ﷺ ، وسجد أصحابه معه ، وسجد المشركون لذكره[٩] آلهتهم ، وفرحوا بذلك ، وقالوا :

---

(١) المحدث : هو الملهم . لسان العرب (حدث) ٢/ ١٣٤ .

(٢) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٢٩ .
وقوله عن النبي أنه الذي لم يرسل يردُّه كما تقدم قوله : ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ﴾ الآية .

(٣) روى البخاري في صحيحه ٨/ ٤٣٨ تعليقاً ، والطبري في تفسيره ١٧/ ١٩٠ من طريق علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس في قوله : ﴿إِذَا تَمَنَّىٰٓ﴾ إذا حدث .

(٤) انظر : الطبري ١٧/ ١٩٠ ، والثعلبي ٣/ ٥٥ أ ، والدر المنثور ٦/ ٦٩ .

(٥) رواه الطبري ١٧/ ١٩٠ .

(٦) في النسخ جميعها : (الحج) ، والصواب ما أثبتناه .

(٧) في (أ) : (أيديهم) ، وهو خطأ .

(٨) في (د) و(ع) : (سورة والنجم) .

(٩) في (أ) : (لذكر) .

قد ذكر محمد آلهتنا بأحسن الذكر ، فأتاه[١] جبريل عليه السلام ، وأخبره بما جرى من الغلط على لسانه ، وقال : معاذ الله أن أكون أقرأتك هذا . فاشتد ذلك على رسول الله ﷺ ، فأنزل الله هذه الآية ، ونسخ ما ألقى الشيطان على لسانة ، فقال المشركون : قد ندم محمد على ما ذكر من منزلة آلهتنا عند الله ، وازدادوا شرّاً إلى ما كانوا عليه ، وأما المؤمنون فقالوا حين نسخ الاولى :آمنا بما قال محمد ﷺ ، وهذا قول ابن عباس[٢] ،

---

(١) في (د) و(ع) : (فأتى) .

(٢) ورد هذا القول عن ابن عباس من طرق ، وكلها لا تخلو من مقال .

الطريق الأول : طريق سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، رواه أبو بكر البزار في مسنده كما في كشف الأستار عن زوائد البزار للهيثمي ٣/ ٧٢ ، والطبراني في الكبير ١٢/ ٥٣ من طريق أميَّة بن خالد ، عن شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس في ما أحسب ، أشك في الحديث : أن النبي ﷺ كان بمكة ، فقرأ سورة النجم حتى انتهى إلى قوله : ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴾ فجرى على لسانه . وفي رواية الطبراني : ألقى الشيطان على لسانه تلك الغرانيق العلى ، فذكره بنحوه مختصراً .

ثم قال البزار : لا نعلمه يروى بإسناد متصل يجوز ذكره إلا بهذا الإسناد ، وأميَّة بن خالد ثقة مشهور ، وإنما يعرف هذا من حديث الكلبي عن أبي صالح ، عن ابن عباس . اهـ .

قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ١١٥ : رواه البزار والطبراني . . . ورجالهما رجال الصحيح . وذكره السيوطي في الدر ٦/ ٦٥ وزاد نسبته لابن مردويه ، وقال : بسند رجاله ثقات . وتعقَّب الألباني في نصب المجانيق ٦ قول السيوطي : بسند رجاله ثقات ، فقال ذلك يوهم أنَّه ليس بمعلول ، وهذا خلاف الواقع ، فإنَّه معلول بتردُّد الراوي في وصله . اهـ .

وذكر ابن كثير في تفسيره ٣/ ٢٢٩ رواية البزَّار ، وقبل أن يسوقها قال : ولم أرها ـ يعني قصة الغرانيق ـ مسندة من وجه صحيح . وجاءت هذه الرواية عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس من دون شك من الراوي في وصله ، رواها ابن مردويه في تفسيره كما في تخريج أحاديث الكشاف : للزيلعي ٢/ ٣٩٤ ، من طريق أبي بكر محمد بن علي المقرئ البغدادي ، ثنا جعفر بن محمد الطيالسي ، ثنا إبراهيم بن محمد بن عرعرة ، ثنا أبو عاصم النبيل ، ثنا عثمان بن الأسود ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : أن رسول الله ﷺ قرأ . فساق الحديث .

قال الألباني في نصب المجانيق ٨ ، ٩ : وهذا إسناد رجاله كلهم ثقات ، وكلهم من رجال التهذيب إلا من دون ابن عرعرة ، ليس فيهم من ينبغي النظر فيه غير أبي بكر محمد بن علي المقرئ البغدادي . وقد أورده الخطيب في تاريخ بغداد . . . ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً ، فهو على هذا الإسناد الموصول .

ثم ذكر الألباني أن الصواب عن عثمان بن الأسود إنما هو عن سعيد بن جبير مرسلاً كما رواه الواحدي =

والسدي[١] ، ومجاهد[٢] ، وقتادة[٣] ، والزهري[٤] ،

= في أسباب النزول ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، خلافاً لرواية ابن مردويه عنه . ثم قال الألباني : وبالجملة ، فالحديث مرسل ، ولا يصح عن سعيد بن جبير موصولاً بوجه من الوجوه . اهـ . وقد تقدَّم كلام ابن كثير أنه لم ير هذه القصة مسندة من وجه صحيح .

الطريق الثاني : طريق العوفي ، عن ابن عباس : رواه من هذا الطريق الطبري ١٧/ ١٨٩ قال : حدثني محمد بن سعد ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثني عمي ، قال : حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، فذكره بمعناه . وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٦٦ من طريق العوفي ، عن ابن عباس ، وعزاه لابن جرير وابن مردويه . قال العلامة أحمد شاكر في تعليقه على الطبري ١/ ٢٦٣ عن هذا الإسناد : وهو إسناد مسلسل بالضعفاء . وقال الألباني : وهذا إسناد ضعيف جداً ، مسلسل بالضعفاء . نصب المجانيق ١٧ .

الطريق الثالث والرابع والخامس : رواه ابن مردويه كما في تخريج أحاديث الكشاف ٢/ ٣٩٤ ، وفتح الباري ٨/ ٤٣٩ ، والدر المنثور للسيوطي ٦/ ٦٦ من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس ، ومن طريق أبي بكر الهذلي وأيوب عن عكرمة عن ابن عباس ، ومن طريق سليمان التيمي عمن حدثه عن ابن عباس رضي الله عنه : أن رسول ﷺ قرأ سورة النجم . وساق الحديث .

قال ابن حجر في الفتح ٨/ ٤٣٩ بعد سوقه لهذه الطرق الثلاث ورواية سعيد بن جبير المرسلة ـ وستأتي ـ وغيرها : وكلّها سوى طريق سعيد بن جبير إمَّا ضعيف أو منقطع . وقال الألباني في نصب المجانيق ١٧ عن هذه الطرق الثلاث : وكلها ضعيفة .

(١) رواه ابن أبي حاتم كما في الدر المنثور ٦/ ٦٩ عن السدي قال : خرج النبي ﷺ إلى المسجد ليصلي ، فقرأ . . . وساق الحديث بمعناه ، وهو مرسل .

(٢) رواه عبد بن حميد كما في الدر المنثور ٦/ ٦٩ عنه ، مختصراً .

(٣) رواه عبدالرزاق في تفسيره ٢/ ٤٠ ، والطبري ١٧/ ١٩١ .
وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٨٦ وعزاه لابن أبي حاتم فقط .
قال الألباني في نصب المجانيق ١٢ وهو صحيح إلى قتادة ، ولكنه مرسل أو معضل .

(٤) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير ٣/ ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، والدر المنثور للسيوطي ٦/ ٦٦ عن الزهري مطولاً .
قال الألباني في نصب المجانيق ٩ فهو مرسل ، بل معضل . اهـ .
ورواه الطبري ١٧/ ١٨٩ عن ابن شهاب ، حدثني أبو بكر بن عبدالرحمن بن الحارث بن هشام ، فذكره مختصراً . وذكر ابن حجر في فتح الباري ٨/ ٤٣٩ هذه الرواية وذكر أنها مرسلة وأنَّ رجال إسنادها على شرط الشيخين .
وقال السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٦٦ ـ بعد عزوه هذه الرواية لعبد بن حميد وابن جرير : مرسل =

والضحاك[١] ، وسعيد بن جبير[٢] ، ومحمد بن كعب[٣] وغيرهم[٤] . وأما وجه

= صحيح الإسناد .
قال الألباني في نصب المجانيق ٩ وإسناده إلى أبي بكر بن عبدالرحمن صحيح كما قال السيوطي تبعاً للحافظ ، لكن علته أنَّه مرسل .

(١) رواه الطبري ١٧/ ١٨٩ قال : حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله : ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ﴾ الآية : أن نبي الله ﷺ وهو بمكة ، فذكره بنحوه . قال الألباني في نصب المجانيق ١٥ : وهذا إسناد ضعيف منقطع مرسل .

(٢) رواه الطبري ١٧/ ١٨٨ ، ١٨٩ ، وابن أبي حاتم وابن المنذر كما في فتح الباري ٨/ ٤٣٩ ، والدر المنثور ٦/ ٦٥ ، ٦٦ من طرق عن شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير . وقد صحح إسناده ابن حجر في الفتح ، والسيوطي في الدر المنثور ، وقال الألباني في نصب المجانيق ٥ وهو صحيح الإسناد إلى ابن جبير كما قال الحافظ . اهـ . ورواه الواحدي في أسباب النزول ٢٥٧ من طريق يحيى القطان ، عن عثمان بن الأسود ، عن سعيد بن جبير ، بنحوه مختصراً .

(٣) رواه الطبري ١٧/ ١٨٧ ، ١٨٨ من طريق ابن إسحاق ، عن يزيد بن زياد المدني ، عن محمد بن كعب القرظي ، فذكره مطولاً .
قال الألباني في نصب المجانيق ١٢ : ويزيد هذا ثقة ، لكن الراوي عنه ابن إسحاق مدلس وقد عنعنه . اهـ .
وقد رواه الطبري ١٧/ ١٨٦ ، ١٨٧ من طريق أبي معشر ، عن محمد بن كعب ومحمد بن قيس قالا . . . فذكره بنحوه .
قال الألباني ١١ : وأبو معشر ضعيف كما قال الحافظ في التقريب .

(٤) ورد هذا القول أيضاً عن أبي العالية ، وعروة بن الزبير .
فأمّا قول أبي العالية فرواه الطبري ١٧/ ٤٣٩ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور : ٦/ ٦٨ ، وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم ، وقال : بسند صحيح . وذكر ابن حجر في الفتح ٨/ ٤٣٩ أن رجال إسناده رجال الصحيحين .
وقال الألباني في نصب المجانيق ١١ : وإسناده صحيح إلى أبي العالية ، لكن علته الإرسال .
ورواية عروة بن الزبير رواها الطبراني في المعجم الكبير ٩/ ٢٣ وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ٧٢ : فيه ابن لهيعة ، ولا يحتمل هذا من ابن لهيعة .
وهذه الرواية المعروفة بقصة الغرانيق اختلف العلماء فيها ، وهم فريقان :
الفريق الأول : القائلون بثبوتها ؛ وهم على قولين :
القول الأول : أن الشيطان ألقى على لسان رسول الله ﷺ تلك الكلمات ، ثم إنَّ الله أحكم آياته ودحر الشيطان ولقَّن نبيه حجته . =

= وممن صحت عنه الرواية ممن قال بهذا القول من المفسرين : سعيد بن جبير وقتادة وأبي العالية . وبهذه القصة فسر هؤلاء آيات الحجِّ .

وتبعهم في ذلك طائفة من المفسرين ذكروا هذه القصة في كتبهم ولم ينكروها ، وبها فَسَّروا الآيات ، منهم الطبري ، والثعلبي ، والواحدي ، والزمخشري .

وحكى الآلوسي ١٧/ ١٧٨ هذا القول عن بعض المتأخرين ، فقال : وذهب إلى صحة القصة أيضاً خاتمة المتأخرين الشيخ إبراهيم الكوراني ثم المدني .

القول الثاني : أنَّ هذه القصَّة ثابتة ، لكنَّ فيها ما يستنكر وهو قوله : ألقى الشيطان على لسانه . . فيتعين تأويله .

قال الآلوسي ١٧/ ١٨٦ : وتوسَّط جمع في أمر هذه القصة فلم يثبتوها كما أثبتها الكوراني ـعفا الله تعالى عنه ـ من أنَّه ﷺ نطق بما نطق عمداً معتقداً للتلبيس أنه وحي حاملاً له على خلاف ظاهره ، ولم ينفوها بالكلية كما فعل أجلة أثبات وإليه أميل ، بل أثبتوها على وجه غير الوجه الذي أثبته الكوراني ، واختلفوا فيه على أوجه .

ثم ذكر الآلوسي هذه الأوجه ، وخلاصة ما ذكره وذكره قبله البغوي ٥/ ٩٤ ، والقاضي عياض في الشفا ٤/ ١٦٣ـ١٧٧ ، وابن حجر في الفتح ٨/ ٤٣٩ ، ٤٤٠ : قيل : جرى ذلك على لسانه ﷺ حين أغفى إغفاءه وهو لا يشعر . وقد ردَّ هذا القول القاضي عياض .

وقيل : لعل النبي ﷺ قاله أثناء تلاوته على تقدير التقريع والتوبيخ للكفّار ، وأنَّه ليس من القرآن ، بل قاله بعد السكت ، ثم رجع إلى تلاوته .

وقيل : أن النبي ﷺ لما وصل إلى قوله ﴿وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ خشي المشركون أن يأتي بعدها بشئ يذم آلهتهم به ، فبادروا إلى ذلك الكلام فخلطوه في تلاوة النبي ﷺ على عادتهم في قولهم : ﴿لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ﴾ ونسب ذلك إلى الشيطان ؛ لأنه الحامل لهم على ذلك ، أو المراد بالشيطان شيطان الإنس ، وأن المشركين أشاعوا ذلك وأذاعوه وأن النبي ﷺ قاله ، فحزن لذلك من كذبهم وافترائهم عليه ، فسلاه الله بقوله : ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ﴾ الآية ، وبين للناس الحق من ذلك الباطل .

وقيل : كان النبي ﷺ يرتل القرآن ، ارتصده الشيطان في سكته من السكتات ، ونطق بتلك الكلمات محاكياً نغمته بحيث سمعه من دنا إليه فظنها من قوله وأشاعها .

وقال ابن حجر من هذا الوجه : إنه أحسن الوجوه . . . اهـ .

ولا يخفى أن هذه أوجه متكلفة تحتاج إلى دليل ، ولذا قال الألوسي عنها ٧/ ١٨٦ : وكلها عندي مما لا ينبغي أن يلتفت إليها .

وممن ذهب إلى هذا القول ـيعني تصحيح القصة من تأويل ما يستنكر فيهاـ الحافظ ابن حجر ، وتبعه السيوطي ، والمناوي في الفتح السماوي ٢/ ٤٨٣ ، ٤٨٤ .

قال ابن حجر في فتح الباري ٨/ ٤٣٩ ، بعد أن ذكر روايات القصة عن ابن عباس وسعيد بن جبير : =

= وكلها سوى طريق سعيد بن جبير ـ يعني المرسل ـ إما ضعيف وإمَّا منقطع ، لكن كثرة الطرق تدل على أن للقصة أصلاً ، مع أن لها طريقين آخرين مرسلين رجالها رجال الصحيح .

ثم ذكر الحفاظ ابن حجر رواية الزهري عن أبي بكر بن عبدالرحمن ورواية أبي العالية ، ثم نقل كلاماً لأبي بكر بن العربي والقاضي عياش في إبطال هذه القصة ، ثم قال : وجميع ذلك لا يتمشّى على القواعد ؛ فإن الطرق إذا كثرت وتباينت مخارجها دَلَّ ذلك على أنَّ لها أصلاً ، وقد ذكرت أن تلاوته أسانيد منها على شرط الصحيح وهي مراسيل يحتج بمثلها ممن يحتج بالمرسل ، وكذا من لا يحتج به لاعتضاد بعضها بعضاً ، وإذا تقرَّر ذلك تعيَّن تأويل ما وقع فيها مما يستنكر .

وقد ردَّ الألباني في كتابه نصب المجانيق ١٩ ـ ٢٤ على الحافظ ابن حجر اعتماده في تصحيحه لهذه الرواية على كثرة الطرق عن ابن عباس ، إضافة إلى ما صح من المراسيل عن بعض التابعين ، وحاصل ردِّه :

أولاً : أنَّ قاعدة تقوية الحديث بكثرة الطرق ليست على إطلاقها ، كما نبه على ذلك غير واحد من علماء الحديث المحققين منهم الحافظ أبو عمرو من الصلاح ، حيث بين أنَّه ليس كل ضعف في الحديث يزول بمجيئه من وجوه ، بل ذلك يتفاوت فمن ذلك ضعف لا يزول بنحو ذلك لقوة الضعف كالضعف الذي ينشأ من كون الراوي متهماً بالكذب ، أو كون الحديث شاذاً .

قال الألباني ٢١ ومن هذا القبيل حديث ابن عباس في هذه القصة ، فإن طرقه كلها ضعيفة جداً ، فلا يتقوى بها أصلاً .

ثانياً : أن الحديث المرسل ، ولو كان المرسل ثقة ، لا يحتج به عند أئمة الحديث كما بينه ابن الصلاح واختاره الخطيب وابن حجر وغيرهم ، وسبب عدم احتجاج المحدثين بالمرسل من الحديث هو جهالة الواسطة التي روي عنها المرسلُ الحديث ، فقد يكون المحذوف صحابياً ، ويحتمل أن يكون تابعياً ، وعلى الاحتمال الثاني يحتمل أن يكون ضعيفاً ويحتمل أن يكون ثقة ، وعلى الاحتمال الثاني يحتمل أن يكون حمل على صحابي ويحتمل أن يكون حمل عن تابعي آخر ، وعلى الثاني يعود الاحتمال السابق ويتعدد . وأكثر ما وجد بالاستقراء من رواية بعض التابعين عن بعض ستة أو سبعة .

لكن بعض العلماء كالشافعي رحمه الله ، وإليه ذهب شيخ الإسلام ابن تيمية قبل المرسل إذا اعتضد بمجيئه من وجه آخر بشرط أن يكون مُرْسِلة أخذ العلم عن غير رجال التابعي الأول ، وكأن ذلك ليغلب على الظن أنَّ المحذوف في أحد المرسلين هو غيره في المرسل الآخر .

قال الألباني ٢٣ : ومع أن التحقق من وجود هذا الشرط في كل مرسل من هذا النوع ليس بالأمر الهيِّن ، فإنه لو تحققنا من وجوده ، فقد يرد إشكال آخر ، وهو أنه يحتمل أن يكون كل من الواسطتين أو أكثر ضعيفاً ، وعليه يحتمل أن يكون ضعفهم من النوع الذي ينجبر بمثله الحديث . . . ويحتمل أن يكون من النوع الآخر الذي لا يقوى الحديث بكثرة طرقه . . . إلى أن قال ٢٤ : إننا لو ألقينا النظر على روايات هذه القصة ، ألفيناها كلها مرسلة ، حاشى حديث ابن عباس ، ولكن طرقه كلها واهية شديدة =

= الضعف لا تنجبر بها تلك المراسيل ، فينبغي النظر في هذه المراسيل ، وهي سبعة ، صحَّ إسناد أربعة منها ، وهي مرسل سعيد بن جبير وأبي بكر بن عبدالرحمن بن الحارث وأبي العالية ، ومرسل قتادة ، وهي مراسيل يرد عليها أحد الاحتمالين السابقين ؛ لأنَّهم من طبقة واحدة ؛ فوفاة سعيد بن جبير سنة ٩٠هـ ، وقتادة سنة بضع عشرة ومائة ، والأول كوفي ، والثاني مدني ، والأخيران بصريان . فجائز أن يكون مصدرهم الذي أخذوا منه هذه القصة ورووها عنه واحداً لا غير ، وهو مجهول ، وجائز أن يكون جمعاً ولكنهم ضعفاء جميعاً . فمع هذه الاحتمالات لا يمكن أن تطمئن النفس لقبول حديثهم هذا ، لا سيما في مثل هذا الحدث العظيم الذي يمسَّ المقام الكريم ، فلا جرم تتابع العلماء على إنكارها ، بل التنديد ببطلانها . اهـ .

الفريق الثاني : القائلون ببطلانها .

وهؤلاء قالوا : هذه الرواية معلولة بالضعف والإرسال ، فليس في رواياتها ما يصلح للاحتجاج ، ثم إن مما يؤكد ضعفها وبطلانها ما في متنها من النكارة مما لا يليق بمقام النبوة والرسالة ، فقد جاء في تلك الروايات أن الشيطان تكلَّم على لسان النبي ﷺ بتلك الكلمات التي تمدح آلهة المشركين .

وهذا الأمر قد دل الكتاب والسنة والنظر على بطلانه .

فأما القرآن فدل على بطلانه من جهتين :

الجهة الأولى : دلالة آيات القرآن على وجه العموم على بطلان هذا القول ، فقد قال تعالى : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر :٩] ، وقال تعالى : ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ۝٤١ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت :٤١ـ٤٢] ، وقال تعالى : ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ۝٢٢١ تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ [الشعراء :٢٢١ـ٢٢٢] ، وقال تعالى : ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم :٣ـ٤] .

فهذه الآيات وغيرها دالة على بطلان القول بإلقاء الشيطان على لسان النبي ﷺ تلك المقالة .

وقال الشنقيطي ـرحمه اللهـ في أضواء البيان ٥/ ٧٢٩ : قد دلَّت آيات قرآنية على بطلان هذا القول ، وهي الآيات الدالة على أن الله لم يجعل للشيطان سلطاناً على النبي ﷺ وإخوانه من الرسل وأتباعهم من المخلصين كقوله تعالى : ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [النحل :٩٩] ، وقوله : ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ [الحجر :٤٢] . . . وعلى القول المزعوم أنَّ الشيطان ألقى على لسانه ﷺ ذلك الكفر البواح ، فأي سلطان له أكبر من ذلك ؟ .

الثانية : أن سياق آيات النجم على وجه الخصوص يدل على بطلان هذا القول :

قال القاضي عياض ٤/ ١٥٣ ، ١٥٤ : هذا الكلام لو كان كما روي لكان بعيد الالتئام ، متناقض الأقسام ، ممتزج المدح بالذم ، متخاذل التأليف والنظم ، ولما كان النبي ﷺ ولا من بحضرته من المسلمين وصناديد المشركين ممن يخفى عليه ذلك ، وهذا مما لا يخفى على أدنى متأمِّل ، فكيف بمن رجح حُلمه ، واتَّسع في باب البيان ومعرفة الكلام علمه ؟ . =

= وقد بين الشـــنقيطي ٥/ ٧٢٩ هذا الوجه بقوله : وهذا القول الذي زعمه كثير من المفسرين ، وهو أن الشـــيطان ألقى على لســـان النبي ﷺ هذا الشرك الأكبر والكفر البواح ، الذي لا شك في بطلانه ، في نفس سياق آيات النجم التي تخللها إلقاء الشيطان المزعوم قرينة واضحة على بطلان هذا القول ؛ لأن النبي ﷺ قرأ بعـــد موضع الإلقاء المزعوم بقليل : ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ﴾ وليس من المعقول أن النبي ﷺ يسب آلهتهم هذا السب العظيم في سورة النجم متأخراً عن ذكره لها بخير المزعوم إلا وغضبوا ، ولم يسجدوا ؛ لأن العبرة بالكلام الأخير . اهـ .

وأما السنة فقد روى الدارمي ١/ ١٢٥ ، وأبو داود في العلم ، باب كتابة العلم ١٠/ ٧٩ عن عبدالله بن عمرو قال : كنت أكتب كلَّ شيء ســـمعته من رســـول الله ﷺ أريد حفظـــه ، فنهتني قريش وقالوا : أتكتب كل شيء تســـمعه ورســـول الله ﷺ بشر يتكلم في الغضب والرضى ، فأمسكت عن الكتابة ، فذكرت ذلك إلى رســـول الله ﷺ ، فأومأ بأصبعه إلى فيه فقال : اكتب ، فوالذي نفسي بيده ما يخرج منه إلَّا حق اهلة .

ولا شك أن تلك الكلمات من أعظم الباطل المنافي للحق .

وأما النظر ، فقال ابن العربي في أحكام القرآن ٣/ ١٣٠٠ : النبي ﷺ إذا أرسل إليه الملك بوحيه ، فإنّه يخلق له العلم به ، حتى يتحقق من أنه رســـول من عنده ، ولولا ذلك ما صحت الرسالة ، ولا تبينت النبوة ، فإن خلق الله له العلم به تميَّز عنده من غيره ، وثبت اليقين ، واســـتقام ســـبيل الدين ، ولو كان النبي ﷺ إذا شـــافهه الملك بالوحي لا يدري أملك هو أم إنســـان ، أم صورة مخالفة لهذه الأجناس ، ألقـــت عليه كلاماً ، وبلغت إليه قولاً ، لم يصح له أن يقول : إنه مـــن عند الله ، ولا ثبت عندنا أنه أمر الله ، فهذه ســـبيل متيقنة ، وحالة متحققة لا بد منها ، ولا خلاف في المنقول ولا في المعقول فيها ، ولو جاز للشيطان أن يتمثل فيها أو يتشبه بها ما أمناه على آية ، ولا عرفنا منه باطلاً من حقيقة ، فارتفع بهذا الفصل اللبس ، وصح اليقين في النفس .

وقال أيضاً ٣/ ١٣٠١ : إن قول الشـــيطان : تلك الغرانيق العلى ، وإن شفاعتهن ترتجى للنبي ﷺ قبله منه ، فالتبس عليه الشيطان بالملك ، واختلط عليه التوحيد بالكفر ، حتى لم يفرق بينهما .

وأنا من أدنـــى المؤمنين منزلة ، وأقلهم معرفة بما وفقني الله وآتاني من علمه ، لا يخفى علي وعليكم أن هذا كفر لا يجوز وروده من عند الله ، ولو قاله أحدٌ لكم لتبادر الكلُّ إليه قبل التفكير بالإنكار والرَّدع والتقريب والتشـــنيع ، فضلاً عن أن يجهل النبي ﷺ حال القول ، ويخفى عليه قوله ، ولا بتفطن لصفة الأصنام بأنها الغرانيق العلى وإن شـــفاعتهن ترتجى ، وقد علم علماً ضرورياً أنها جمادات لا تسمع ولا تبصر ، ولا تنطق ولا تضر ، ولا تنفع ولا تنصر ولا تشـــفع ، بهذا كان يأتيه جبريل الصباح والمســـاء ، وعليه انبنى التوحيد ، ولا يجوز نسخُه . . فكيف يخفى هذا على الرسول ؟ .

ونذكر هنا بعض العلماء والمفسرين قديماً وحديثاً الذين ردوا هذه الرواية ، فمنهم :

ـ محمد بن إسحاق بن خزيمة . الإمام المعروف ، قال الرازي في تفسيره ٢٣/ ٥٠ : =

= روي عن محمد بن إسحاق بن خزيمة أنَّه سئل عن هذه القصَّة ؟ فقال : هذا وضع من الزنادقة . وصنف فيه كتاباً .

ـ ابن حزم ، فقد قال في الفصل في الملل والأهواء والنحل ٤/ ٤٨ : وأما الحديث الذي فيه : وإنَّهن الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى ، فكذب بحت موضوع ، لأنه لم يصح قط من طريق النقل .

ـ أبو بكر البيهقي صاحب كتاب السنن الكبرى وغيرها ، فقد نقل عنه الرازي في تفسيره ٢٣/ ٥٠ أنَّه قال : هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل .

ـ أبو بكر ابن العربي في أحكام القرآن ٣/ ٣٠٠ـ٣٠٣ فقد ردَّها في عشر مقامات .

ـ القاضي عياض في كتابه الشفا في حقوق المصطفى ٤/ ١٣٩ـ١٧٧ حيث بين بطلانها سنداً ، ثم شرع في بيان بطلانها متناً .

ـ الرازي في تفسيره ٢٣/ ٥٠ـ٥٤ ، فقد ذكر أنَّ القرآن والسنَّة والمعقول تدل على بطانها ، ثم شرع في بيان بطلانها .

ـ القرطبي : في أحكام القرآن ١٢/ ٨٠ـ٨٥ .

ـ أبو حيان في البحر المحيط ٦/ ٣٨١ ، ٣٨٢ حيث قال : وذكر المفسرون في كتبهم ؛ ابن عطية والزمخشري ، فمن قبلها ومن بعدهما ما لا يجوز وقوعه من آحاد المؤمنين منسوباً إلى المعصوم صلوات الله عليه . ثم ذكر بعض أقوال العلماء في ردِّه ووجوب اطراحه ، ثم قال : ولذلك نزهت كتابي عن ذلك فيه . ثم ردَّ ذلك بالقرآن والنظر .

ـ الحافظ ابن كثير ، فقد قال في تفسيره ٣/ ٢٢٩ : قد ذكر كثير من المفسرين هاهنا قصة الغرانيق ، وما كان من رجوع كثير من المهاجرة إلى أرض الحبشة ، ظنّاً منهم أنَّ مشركي قريش قد أسلموا ، ولكنَّها من طرق كلها مرسلة ، ولم أرها مسندة من وجه صحيح .

ـ البيضاوي ، فقد قال في تفسيره ٢/ ٩٦ : وهو مردود عند المحققين .

ـ وردها من شرَّاح صحيح البخاري العين ؛ أي في كتابه عمدة القارئ في شرح صحيح البخاري ١٩/ ٦٦ .

وردَّها أيضاً الشوكاني في فتح القدير ٣/ ٤٦٢ ، فقال : ولم يصح شيء من هذا ، ولا يثبت بوجه من الوجوه ، ومع عدم صحته ، بل بطلانه فقد دفعه المحققون بكتاب الله . ثم شرح في ردِّه .

وعلى هذا القول ، فمعنى نسخ ما يلقي الشيطان : إزالته وإبطاله ، وعدم تأثيره في المؤمنين الذين أتوا العلم ؛ لأن النسخ هنا هو النسخ اللغوي ، ومعناه : الإبطال والإزالة من قولهم : نسخت الشمس الظل ، ونسخت الريح الأثر .

ومعنى يحكم آياته : يتقنها بالإحكام ، فيظهر أنها وحي منزل منه بحق ، ولا يؤثر في ذلك محاولة الشيطان صد الناس عنها بإلقائه المذكور ، وما ذكره هنا من أنه يسلط الشيطان فيلقي في قراءة الرسول والنبي ، فتنة للناس ليظهر مؤمنهم من كافرهم بذلك الامتحان جاء موضحاً في آيات كثيرة =

قدمناهـا مراراً ، كقوله : ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ﴾ الآيـة [المدثـر :٣١] ، وقوله تعالى : ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ الآيـة [البقرة :١٤٣] ، وقوله : ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ﴾ [الإسراء :٦٠] ؛أي لأنهـا فتنة كما قال تعالى : ﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الصافات :٦٢ـ٦٤] . لأنه لما نزلت هذه الآية قالوا : ظهر كذب محمد ﷺ لأن الشـجر لا ينبت في الموضع اليابس ، فكيف تنبت شجرة في أصل الجحيم إلى غير ذلك من الآيات .

وقد نقل العلامة القاسـمي في محاسن التأويل ١٢/ ٤٦ـ٥٦ عن الشيخ محمد عبده مفتي مصر في هذه الآيـات كلاماً جيداً ، ومما قاله : لا يخفى على كل من يفهم اللغة العربية ، وقرأ شـيئاً من القرآن ، أن قوله تعالى : ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ﴾ الآيات ، يحكي قدراً قدر للمرسلين كافة ، لا يعدونه ولا يقفون دونه . ويصف شنشـنة عرفت فيهم ، وفي أممهم . فلو صح ما قال أولئك المفسرون لكان المعنى : أن الأنبياء والمرسـلين جميعهم قد سلط الشيطان عليهم فخلط في الوحي المنزل إليهم ، ولكنه بعد هذا الخلط ينسخ الله كلام الشيطان ويحكم الله آياته إلخ ، وهذا من أقبح ما يتصور متصور في اختصـاص الله ـتعالى ـ لأنبيائه ، واختيارهم من خاصة أوليائه ! . . ذكر الله لنبيه حالاً من أحوال الأنبياء والمرسلين قبله ، ليبين له سنته فيهم . وذلك بعد أن قال : ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ﴾ [الحـج :٤٢] إلى آخر الآيات ، ثم قال : ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥١﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ﴾ . . . إلخ ، فالقصص السـابق كان في تكذيب الأمم لأنبيائهـم . ثم تبعه الأمر الإلهي بأن يقول النبي ﷺ لقومه : إنني لم أرسـل إليكم إلا لأنذركم بعاقبة ما أنتم عليه ، ولأبشر المؤمنين بالنعيم . وأما الذين يسـعون في الآيات والأدلة التي أقيمها على الهدى وطرق السعادة ، ليحوِّلوا عنها الأنظار ويحجبوها عن الأبصار ، ويفسدوا أثرها الذي أقيمت لأجله ، ويعاجزوا بذلك النبي ﷺ والمؤمنين ؛ أي يسابقونهم ليعجزوهم ويسكتوهم عن القول بذلك . ولك بلعبهم بالألفاظ وتحويلها عن مقصد قائلها ، كما يقع عادة من أهل الجدل والمماحكة ، هؤلاء الضالون المضلون هم أصحاب الجحيم . وأعقب ذلك بما يفيد أن ما ابتلي به النبي ﷺ من المعاجزة في الآيات ، قد ابتلي به الأنبياء السـابقون . فلم يبعث نبي في أمة إلا كان له خصوم يؤذونه بالتأويل والتحريف ، ويضادُّون أمانية ، ويحولون بينه وبين ما يبتغي ، بما يلقون في سبيله من العثرات .

فعلى هذا المعنى الذي يتفق مع ما لقيه الأنبياء جميعاً ، يجب أن تفسر الآية وذلك يكون على وجهين :

الأول : أن يكون (تمنَّى) بمعنى (قرأ) و(الأمنية) بمعنى (القراءة) وهو معنى قد يصح .

وقد ورد استعمال اللفظ فيه ؛ قال حسان بن ثابت في عثمان رضي الله عنهما :

= تمنـــــى كتــابَ اللهِ أولَ ليلـــــه وآخـــــرهِ لاقـــى حمـــامَ المـقـــادرِ
وقال آخر :
تمنـــى كتـــــابَ اللهِ أولَ ليلـــــهِ تمـنـي داودَ الـزبـورَ عـلى رسـلِ
غير أن الإلقاء لا يكون على المعنى الذي ذكروه ، بل على المعنى المفهوم من قولك : (ألقيتُ في حديث فلان) إذا أدخلت فيه ما ربما يحتمله لفظه ، ولا يكون قد أراده . أو نسبت إليه ما لم يقله تعللاً بأن ذلك الحديث يؤدى إليه . وذلك من عمل المعاجزين الذين ينصبون أنفسهم لمحاربة الحق ، يتبعون الشبهة ، ويسـعون وراء الريبة ، فالإلقاء بهذا المعنى دأبهم ، ونسبة الإلقاء إلى الشـيطان ؛ لأنه مثير الشبهات بوساوسه ، مفسـد القلوب بدسائسه ، وكل ما يصدر من أهل الضلال يصح أن ينسب إليه . ويكون المعنى : وما أرسـلنا قبلك من رسـول ولا نبـيٍّ إلا إذا حدث قومه عن ربه ، أو تـلا وحياً أنزل إليه في هدى لهم ، قام في وجهه مشـاغبون ، يحولون ما يتلوه عليهم عن المـراد منه . ويتقوَّلون عليه ما لم يقله ، وينشرون ذلك بين الناس ، ليبعدوهم عنه ، ويعدلوا بهم عن سـبيله ، ثم يحق الله الحق ويبطل الباطـل . وما زال الأنبياء يصبرون على ما كذِّبـوا وأوذوا ، ويجاهدون في الحق ، ولا يعتدُّون بتعجيز المعجزين ، ولا بهزء المسـتهزئين إلى أن يظهر الحق بالمجاهدة ، وينتصر على الباطل بالمجالدة . فينسخ الله تلك الشـبه ويجتثها من أصولها ، ويثبت آياته ويقررها . وقد وضع الله هذه السنة في الناس ليتميز الخبيث من الطيب ، فيفتتن الذين في قلوبهم مرض ، وهم ضعفاء العقول ، بتلك الشبه والوساوس ، فينطلقون وراءها . ويفتتن بها القاسـية قلوبهم من أهل العناد والمجاحدة ، فيتخذونها سنداً يعتمدون عليهـا في جدلهم . ثم يتمحص الحق عند الذين أتوا العلم ، ويخلص لهم بعد ورود كل شـبهة عليه ، فيعلمون أن الحق مـن ربك فيصدقون به ، فتخبت وتئن له قلوبهم . والذيـن أوتوا العلم هم الذين رزقوا قوة التمييز بين البرهان القاطع الذي يسـتقرَّ بالعقل في قرارة اليقين . وبين المغالطات وضروب السفسـطة التي تطيش بالفهم ، وتطير به مع الوهم ، وتأخذ بالعقل تارة ذات الشـمال وأخرى ذات اليمين . وسـواء أرجعت الضمير في (أنه الحق) إلى ما جاءت بـه الآيات المحكمات من الهدى الإلهي أو إلى القرآن ، وهـو أجلُّها ، فالمعنى من الصحة على ما يراه أهل التمكين هؤلاء الذين أتوا العلم هم الذين آمنوا . وهم الذين هداهم الله إلى الصراط المسـتقيم ، ولم يجعل للوهم عليها سـلطاناً ، فيحيد بهـم عن ذلك النهج القويم . وأما الذين كفروا وهم ضعفاء العقول ومرضى القلوب ، أو أهل العناد وزعماء الباطل وقسـاة الطباع ، الذين لا تلين أفئدتهـم ولا تبش للحق قلوبهم ، فأولئك لا يزالون في ريب في الحق أو الكتاب . لا تستقر عقولهم عليه ، ولا يرجعون في متصرفات شؤونهم إليه . حتى تأتي ساعة هلاكهم بغتة ، فيلاقوا حسابهم عند ربهم ، أو إن امتد بهم الزمن ، ومادَّهم الأجل ، فسيصيبهم عذاب يوم عقيم ؛ يوم حرب يسـامون فيه سوء العذاب ؛ القتل أو الأسر ، ويقذفون إلى مطارح الذل وقرارات الشر ، فلا ينتج لهم من ذلك اليوم خير ولا بركة ، بل يسـلبون ما كان لديهم ، ويساقون إلى مصارع الهلكة . وهذا هو العقم في أتم معانيه وأشـأم درجاته . ما أقرب هذه الآيات من مغازيها ، إلى =

جواز هذا الغلط على رسول الله ﷺ فقال ابن عباس في رواية عطاء : إن شيطاناً يقال له الأبيض كان قد أتى النبي ﷺ في صورة جبريل وألقى في قراءة النبي ﷺ فإنهن[1] الغرانقة العلى وإن شفاعتهن لترتجى[2] .

= قوله ـ تعالى ـ في سورة آل عمران : ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۘ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران :٧] ، وقد قال بعد ذلك : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران :١٠] ثم قال : ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ [آل عمران :١٢] إلخ الآيات .

وكأن إحدى الطائفتين من القرآن شرح للأخرى . فالذين في قلوبهم زيغ هم الذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم . والراسخون في العلم هم الذين أوتوا العلم ، وهؤلاء هم الذين يعلمون أنه الحق من ربهم . فيقولون آمنا به كل من عند ربنا ، فتخبت له قلوبهم ، وإن الله لهاديهم إلى صراط مستقيم . وأولئك هم الذين يفتتنون بالتأويل ، ويشتغلون بـ(قال) وقيل بما يلقي إليهم الشيطان ، ويصرفهم عن رامي البيان ، ويميل بهم عن محجة الفرقان . وما يتكئون عليه من الأموال والأولاد ، لن يغني عنهم من الله شيئاً . فستوافيهم آجالهم ، وتستقبلهم الأنباء مع أممهم ، وسبيل الحق مع الباطل من يوم أن رفع الله الإنسان إلى منزلة يميز فيها بين سعادته وشقائه ، وبين ما يحفظه وما يذهب ببقائه . وكما لا مدخل لقصة الغرانيق في آيات آل عمران ، لا مدخل لها في آيات سورة الحج ، هذا هو الوجه الأول في تفسير آيات ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا﴾ إلى آخرها ، على تقدير أن (تمنَّى) بمعنى (قرأ) وأن (الأمنية) بمعنى (القراءة) والله أعلم .

ثم ذكر الشيخ محمد عبده وجهاً ثانياً في تفسير الآيات مبنياً على أن التمني هو على معناه المعروف من الأمنية . واقتصرنا على الوجه الأول ؛ لأن عامّة المفسرين على أن التمني هنا بمعنى القراءة .

(١) في (ظ) و(ع) : (وإنّهن) .

(٢) ذكره الرازي ٢٣/ ٥٣ من رواية عطاء عن ابن عباس ، وذكره القرطبي ١٢/ ٨٤ عن ابن عباس ، وذكره البغوي ٥/ ٣٩٤ من غير نسبة .

وهذا قول لا يصح عن ابن عباس رضي الله عنه .

وقال السدي عن أصحابه : لما وقع من هذا ما وقع ، أنزل الله هذه الآية يطيب نفس محمد ويخبر[١] أن الأنبياء قبله قد كانوا مثله ، ولم يبعث نبي[٢] قط إلا تمنى[٣] أن يؤمن قومه ولم[٤] يتمن ذلك نبي قط إلا ألقى الشيطان عليه ما يرضي قومه[٥] ﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَـٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَـٰتِهِۦ﴾[٦] .

وعلى هذا ﴿تَمَنَّىٰٓ﴾ في قوله من الأمنية ، لا بمعنى قرأ ، ويكون المعنى إذا أحب شيئاً ألقى الشيطان في محبته .

وهذا دليل على جواز الخطأ والنسيان على الرسل ، ثم لا يقارُّون على ذلك[٧] .

وعلى ما قال ابن عباس ، إنما قاله الشيطان على لسان رسول الله ﷺ في أثناء قراءته ، وأوهم أنَّه من القرآن ، ولم يكن للنبي ﷺ إحساس بذلك ، بل كان فتنة

---

(١) في (أ) : (ويخبر) .

(٢) في (أ) و(ظ) : (نبياً) .

(٣) في (ع) : (يتمنى) .

(٤) (لم) : ساقطة من (أ) .

(٥) في النسخ جميعها : (قومه قوله : فينسخ . . . .) بزيادة : (قوله) ، وهي زيادة يختل بها المعنى فحذفناها ، وهي ليست موجودة في الوسيط ٣/ ٢٧٧ .

(٦) لم أجد هذه الرواية عن السدي عن أصحابه . وقد ذكرها البغوي ٥/ ٣٩٤ عن ابن عباس بأخصر مما هنا .
والرسل والأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم معصومون في ما يخبرون به عن الله عز وجل ، وفي تبليغ رسالاته باتفاق الأمة .
أما ما سوى ذلك ؛ فيجوز عليهم الخطأ والنسيان ، لكن لا يقارُّون على ذلك . وعلى ذلك دل الكتاب والسنة .
انظر : فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١٠/ ٢٩٠ـ٢٩٥ وما بعده .

(٧) حكى القرطبي ٢١/ ٨٦ هذا القول عن الثعلبي ، ثم قال : ولكن إنَّما يكون الغلط على حسب ما يغلط أحدنا ، فأمَّا أن يضاف إليه من قولهم : تلك الغرانيق العلى فكذبٌ على النبي ﷺ ؛ لأن فيه تعظيم الأصنام ، ولا يجوز ذلك على الأنبياء . اهـ .

من الله لعباده المؤمنين والمشركين ، وعلى هذا يدل قوله : ﴿لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِي ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً﴾ الآية[١] .

قال أبو إسحاق : وذلك محنة من الله عز وجل ، وله أن يمتحن بما شاء[٢] ، فألقى الشيطان على لسان النبي ﷺ شيئاً من صفة الأصنام فافتتن بذلك أهل الشقاق والنفاق ومن في قلبه مرض[٣] .

وروي عن الحسن أنه قال في هذه الآية : أراد[٤] بالغرانيق العلى الملائكة[٥] .

وهذا غير مرضي من القول ؛ لأن الله -تعالى- قال : ﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِي ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [أن[٦] يبطله ، وشفاعة الملائكة غير باطلة ، ثم وإنْ أُخذَ][٧] بهذا[٨] فليس يمنع هذا القول من أن يكون النبي ﷺ قد سمع منه ما ليس بقرآن[٩] .

وذهب بعض المتأولين[١٠] إلى أنَّ «تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى» ليس بثناء على آلهة المشركين ولا مدح لها ، ولكن يكون التقدير فيه : تلك الغرانيق العلى وإنِّ شفاعتهن لترتجى عندكم وفي ما تذهبون إليه ، لا أنَّها في الحقيقة كذلك ، كما قال : ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾ [الدخان :٤٩] ؛ أي عند نفسك .

---

(١) قد تقدم بيان بطلان هذا القول .
(٢) في (د) و(ع) : (يشاء) .
(٣) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٤٣٣ ، ٤٣٤ .
(٤) في (د) و(ع) : زيادة إنِّه قبل (أراد) .
(٥) ذكره عنه الماوردي ٤/ ٣٥ ، والقرطبي ١٢/ ٨٥ .
(٦) هكذا في النسخ جميعها ، ولعلها : أي .
(٧) ساقط من (ظ) .
(٨) في (ظ) : (فهذا) .
(٩) انظر : الثعلبي ٣/ ٥٥ أ-ب .
(١٠) انظر : النكت والعيون للماوردي ٤/ ٣٥ ، والشفا للقاضي عياض ٤/ ١٧٣ ، وفتح الباري لابن حجر ٨/ ٤٤٠ .

وهذا في البعد ، كما روي عن الحسن ؛ لأن هذا التأويل لا يمنع من سماع هذا عن النبي ﷺ في ما بين القرآن .

فإذاً[١] الصحيح في هذا أن يقال : إنِّه من السهو الذي لا يعرى منه بشر ، ثم لا يلبث أن ينبهه الله[٢] عليه ، وإما أن يقال : إنَّه كان من الشيطان فتنة للناس كما ذكرنا .

وقوله : ﴿أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾ [إن قلنا][٣] : إن الشيطان تكلم بهذا على لسانه فهو ظاهر ، وإن قلنا : إنِّه سها وغلط[٤] ؛ فإن ذلك السهو من جهة الشيطان ووسوسته فهو من إلقائه . ومفعول ﴿أَلْقَى﴾ غير مذكور في اللفظ ؛ لأنه كان معلوماً للنبي ﷺ ولأصحابه حين نبه على غلطه ، ألا ترى أنه نقل نقلاً مستفيضاً ؟

وقوله : ﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ ؛ أي يرفعه ويبطله بتنبيه النبي ﷺ على ذلك . ﴿ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ﴾ ؛ ينسخ ما ليس منها .

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بما أوحى إليه نبيه ، ﴿حَكِيمٌ﴾ في خلقه . قاله ابن عباس[٥] .

---

(١) في (أ) : (فإذن) .

(٢) لفظ الجلالة ليس في (ظ) .

(٣) ساقط من (أ) .

(٤) في (د) و(ع) : (سهو وغلط) .

(٥) ذكره القرطبي ١٢/ ٨٦ من غير نسبة .

٥٣. قوله تعالى: ﴿لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِي ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾. هذه اللام تتعلق بقوله: ﴿أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِيٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾[1]؛ أي ليجعل الله ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض.

قال ابن عباس: شك ونفاق، وذلك أنهم افتتنوا لما سمعوا ذلك، ثم نسخ ورفع، وازدادوا تحيراً، وظنوا أن محمداً يقول الشيء من عند نفسه ثم يندم فيبطله، وكذلك المشركون ازدادوا شراً وضلالة وتكذيباً[2]، وهو قوله: ﴿وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾. قال ابن عباس: يريد المشركين، وهم الذين لا تلين قلوبهم لأمر الله[3].

وهذا صريح في أن الله -تعالى- أراد فتنتهم وضلالتهم[4].

قوله: ﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾. قال الكلبي: يعني أهل مكة.

﴿لَفِي شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾. قال ابن عباس: لفي اختلاف شديد[5].

---

(١) في معلَّق اللام في قوله: ﴿لِّيَجْعَلَ﴾ ثلاثة أوجه:
أحدها: ما ذكره المؤلف، وهو أنها متعلقه بـ(ألقى)، واستظهره الشنقيطي ٥/ ٧٣٣.
الثاني: أنها متعلِّقة بـ(يحكم)؛ أي يحكم الله آياته ليجعل. وهذا القول عزاه أبو حيان ٦/ ٣٨٢ للحوفي، واستظهره السمين الحلبي في الدر المصون ٨/ ٢٩٨.
الثالث: أنها متعلقة بـ(ينسخ) وإليه ذهب ابن عطية ١٠/ ٣٠٨.

(٢) ذكره البغوي ٥/ ٣٩٥ هذا القول إلى قوله: فيبطله. من غير نسبة لأحد.
انظر: النكت للماوردي ٤/ ٣٦، والبحر لأبي حيان ٦/ ٣٨٢.

(٣) روى الطبري ١٧/ ١٩١ عن ابن جريج هذا القول مختصراً.
وذكر الماوردي ٤/ ٣٦، والبغوي ٥/ ٣٩٥ هذا القول من غير نسبة.

(٤) في (ظ): (وضلالهم).

(٥) ذكره البغوي ٥/ ٣٩٥ من غير نسبة لأحد.
وذكر الماوردي ٦/ ٣٦ في الآية وجهين: أحدهما: لفي ضلال بعيد. وعزاه للسدي، والثاني: لفي فراق للحق بعيد إلى يوم القيامة. وعزاه ليحيى بن سلام.

وقال الزَّجَّاج : الشقاق غاية العداوة[١] .

٥٤. قوله تعالى : ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ . هذه اللام تتعلق بقوله : ﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَـٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَـٰتِهِۦ﴾ في المعنى لقوله[٢] : ﴿أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ يعني : نسخ ذلك وإبطاله ورفعه وإحكام الله آياته من الباطل حق من الله .

والمراد بالذين أوتوا العلم المؤمنون ، الذين أوتوا التوحيد والقرآن . قاله ابن عباس ، والكلبي ، وغيره[٣] .

وقال السدي : صدقوا بما نسخ الله[٤] . وهو معنى قوله : ﴿فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ﴾ .

وقوله : ﴿فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ﴾ . قال الكلبي : ترق[٥] للقرآن قلوبهم .

ثم بين أنَّ[٦] هذا[٧] الإيمان والتصديق والإخبات إنما هو بلطف الله وهدايته إيّاهم فقال : ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ .

٥٥. قوله تعالى : ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ . قال ابن عباس : يريد المشركين .

---

(١) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٤٣٤ .
(٢) في (ظ) : (كقوله) .
(٣) ذكره هذا القول البغوي ٥/ ٣٩٥ ، وابن الجوزي ٥/ ٤٤٣ من غير نسبة لأحد .
(٤) ذكره عنه البغوي ٥/ ٣٩٥ ، وابن الجوزي ٥/ ٤٤٣ .
(٥) في (ظ) : (يرق القرآن) .
(٦) (أنَّ) : ساقطة من (أ) .
(٧) في (ع) : (هذه) .

﴿فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ﴾ . المِرية والمُرية بالكسر والضم لغتان[١][٢] معناها : الشك . ومنه الامتراء والتماري[٣] .

وقوله ﴿مِّنْهُ﴾ ؛ أي مما ألقى الشيطان على لسان رسول الله ﷺ . يقولون : ما باله ذكرها بخير ثم ارتد عنها ؟ قاله السدي عن أصحابه[٤] .

وقال ابن جريج : من القرآن[٥] .

﴿حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ﴾ ؛ يعني : القيامة ﴿بَغْتَةً﴾ فجأة . وهذا وعيد لهم بالقيامة ، وهم لم يدركوها[٦] في حياتهم ، ولكن الله -تعالى- أوعدهم ، وذكر أنَّهم يترددون في حيرتهم[٧] وشكِّهم إلى أن تفجأهم الساعة أو يقتَّلوا ، وهو قوله : ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾ .

---

(١) (لغتان) : ساقطة من (ظ) .

(٢) انظر : الصحاح للجوهري (مرا) ٩/ ٢٤٩١ ، ولسان العرب (مرا) ١٥/ ٢٧٧ .

(٣) قوله : (الشك ومنه الامتراء والتَّماري) في تهذيب اللغة (مري) ١٥/ ٢٨٥ منسوباً إلى الليث .

(٤) ذكره البغوي ٥/ ٣٩٧ ، والقرطبي ١٢/ ٨٧ من غير نسبة .

(٥) ذكره الثعلبي ٣/ ٥٥ ب ، ورواه الطبري ١٧/ ١٩٢ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٦٩ ، ٧٠ وعزاه لابن المنذر .
واختار هذا القول الطبري ١٧/ ١٩٢ ، ١٩٣ وقال : وذلك أن ذلك من ذكر قوله : ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ أقرب منه من ذكر قوله : ﴿فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ﴾ والهاء من قوله (أنّه) أي من ذكر القرآن وإلحاق الهاء في قوله : ﴿فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ﴾ بالهاء من قوله : ﴿أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ أولى من إلحاقها بما التي في قوله : ﴿مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ﴾ مع بعد ما بينهما .

(٦) في (ظ) : (يذكروها) .

(٧) في (أ) : (حياتهم) .

قال أبو إسحاق : أصل [العقم][١] . العقم في الولادة . يقال : هذه امرأة عقيم ، كما قال الله عز وجل : ﴿عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ [الذاريات :٢٩] ، وكذلك : رجل عقيم ، إذا كان لا يولد له[٢] .

الأصمعي : يقال : عَقَامٌ وعَقيم[٣] مثل بَجَال وبَجيل[٤] .

وجمعها : عقمٌ ، ويقال : عقمت المرأة فهي معقومة وقد عقم الله رحمها وأعقمها[٥] .

وروى عمرو[٦] ، عن أبيه : عَقِمَت المرأة تَعْقَمُ عَقْماً ، وعَقَمَت تَعْقُم عُقْماً ، وعَقُمَت تَعْقُم عَقَماً[٧] ، وهي عقيم إذا كانت لا تحمل[٨] .

وقال أبو العباس : عقمت المرأة إذا لم تحمل ، وهي عقيم[٩] .

---

(١) زيادة من معاني القرآن للزَّجَّاج .

(٢) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٤٣٤ .

(٣) كسحاب وأمير . قاله الفيروزآبادي ٤/ ١٥٢ .

(٤) تهذيب اللغة للأزهري (عقم) ١/ ٢٨٨ من رواية أبي عبيد ، عن الأصمعي .
قال ابن منظور : رجل بجال وبجيل : يبجله الناس . وقيل : هو الشيخ الكبير العظيم السيد مع جمال ونبل . لسان العرب (بجل) ١١/ ٤٤ .

(٥) من قوله : (وجمعها . . .) إلى هنا ، هذا كلام أبي الهيثم كما في تهذيب اللغة للأزهري (عق) ١/ ٢٨٨ من دون قوله : وأعقمها .

(٦) هو عمرو بن إسحاق بن مرار ، الشيباني ، اللغوي .

(٧) كفرح ونصر وكرم . قاله الفيروزآبادي ٤/ ١٥٢ .

(٨) تهذيب اللغة للأزهري (عقم) ١/ ٢٨٩ من رواية عمرو عن أبيه .

(٩) لم أجد من ذكر هذا القول عن أبي العباس ثعلب ، ولا عن أبي العباس المبرِّد .

وأنشد أبو إسحاق[١] :

عقمَ النساءُ فما يلدنَ شبيهَهُ إنَّ النساءَ بمثلِهِ عُقْمُ

وأصل هذا من العقم، وهو القطع . ومنه يقال : المُلْك عقيم ؛ لأنه تقطَّع فيه الأرحام بالقتل والعقوق . هذا قول أبي عمرو[٢] .

وعلى هذا العقيم : التي قطعت ولادتها .

وقال أبو عبيد : العقم : الشَّد[٣] . يقال للمرأة : معقومة الرحم كأنَّها مشدودتها ، ومنه الحديث : «وتعقم أصلاب المنافقين فلا يقدرون على السجود»[٤] ؛ أي تشد وتيبس مفاصلهم .

---

(١) البيت أنشده أبو إسحاق الزَّجَّاج في معاني القرآن ٣/ ٤٣٤ ولم ينسبه لأحد .
ووقع في المطبوع : (عقيم) ، وهو خطأ .
والبيت ذكره أبو عمرو الشيباني في روايته لديوان أبي دهْبل الجمحي ٦٦ ، قال : حدثني موسى بن يعقوب قال : أنشدني أبو دهبل قوله في مدح رسول الله ﷺ ، ثم ساق أبياتاً ، ومنها هذا البيت .
ونسب البيت أيضاً لأبي دهبل في عيون الأخبار لابن قتيبة ١/ ٢٧٩ ، ونسب قريش لأبي عبدالله المصعب الزبيري ٣٣١ ، لكن عنده قالها في مدح عبدالله الأزرق بن عبدالرحمن بن الوليد بن عبدشمس ، والحماسة لأبي تمام ٢٥٧ ، وشرح ديوان الحماسة للتبريزي ٤/ ٧٥ ، وقال : قالوا يمدح رسول الله ﷺ .
والبيت نسبه ابن منظور في لسان العرب (عقم) ١٢/ ٤١٢ لأبي دهبل وروايته فيه نسبه في موضع (ما) ثم قال : وقيل : هو للحزين الليثي .

(٢) قول أبي عمرو الشيباني في تهذيب اللغة للأزهري (عقم) ١/ ٢٨٩ .
انظر : لسان العرب (عقم) ١٢/ ٤١٣ .

(٣) في (أ) : (السدَّ) .

(٤) هذا قطعة من حديث رواه أبو عبيد في كتابه غريب الحديث ٤/ ٧١ عن عبدالله ابن مسعود موقوفاً .
قال أبو عبيد : حدثنيه عبدالرحمن مهدي ، عن سفيان ، عن سلمة بن كهيل ، عن أبي الزعراء ، عن عبدالله بن مسعود .
ورواه الطبري في تفسيره ٢٩/ ٣٩ من حديث عبدالرحمن ، به موقوفاً بلفظ : ويبقى المنافقون ظهورهم طبق واحد كأنَّما فيها السَّفافيد .
ورواه ابن أبي شيبة في مصنفه ١٥/ ١٩١ـ١٩٥ ، والحاكم في مستدركه ٤/ ٥٩٨ـ٦٠٠ والطبراني في =

هذا هو الكلام في أصل العقيم في اللغــة . ثم يقال : يوم عقيم للذي لا يأتي فيه خير . ويوم القيامة عقيم على الكفّار ؛ لأنّه لا يأتي لهم بخير كما يأتي للمؤمنين . والريح العقيم : التي لا تأتي بمطر ولا سحاب ولا تلقح[١] شجراً[٢] .

وأما التفسير ، فقال ابن عباس : يريد يوم بدر[٣] .

= الكبير ٩/ ٤١٣ـ٤١٦ من حديث سفيان به ، مطولاً جداً ، موقوفاً ، بمثل لفظ الطبري .
وقال الحاكم بعد إخراجه ٤/ ٦٠٠ هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرِّجاه .
وقال الذهبي متعقباً قول الحاكم : قلت : ما احتجا بأبي الزعراء . اهـ .
وهذا الخبر عن المنافقين رواه من وجه آخر عن ابن مسـعود مرفوعاً إسحاقُ بن راهوية في مسنده كما في المطالـب العالية لابن حجر ٤/ ٣٦٥ـ٣٦٧ ، والطبراني في الكبـير ٩/ ٤١٦ـ٤٢١ ، والحاكم في مسـتدركه ٤/ ٥٩٠ ولفظ إسـحاق : وتدمج أصلاب المنافقين ، فتكون عظماً واحداً ، كأنها صياصي البقر ، ويخرِّون على أقفيتهم .
قال ابن حجر في المطالب ٤/ ٣٦٧ بعد ذكره لرواية إسـحاق : هذا إسـناد صحيح متصل ، ورجاله ثقات .
وقـال الهيثمي في مجمـع الزوائد ١٠/ ٣٤٣ : رواه كلـه الطبراني في طرق ، ورجـال أحدهما رجال الصحيح غير أبي خالد الدالاني وهو ثقة .
وقال الذهبي في تلخيص المسـتدرك ٤/ ٥٩٢ ، ٥٩٣ ما أنكره حديثاً على جودة إسـناده ، وأبو خالد ـيعني الدالانيـ شيعي منحرف . اهـ .
وذكـر هذا الحديث السـيوطي في الدر المنثور ٦/ ٢٥٧ وعزاه لإسـحاق بن راهويـه وعبد بن حميد وابـن أبي الدنيـا والطبراني والآجري في الشريعـة ، والدارقطني في الرؤية ، والحاكـم وابن مردويه والبيهقي في البعث .

(١) في (أ) : (الذي ، يلقح) .

(٢) انظر : تهذيب اللغة للأزهـري (عقم) ١/ ٢٨٨ ، والصحاح للجوهري ٥/ ١٩٨ ، ولسـان العرب ١٢/ ٤١٣ .

(٣) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٧٠ وعزاه لابن مردويه والضياء في المختارة .

وهو قول قتادة[١] ، ومجاهد[٢] ، والسدي[٣] ، وأبيٍّ بن كعب[٤] .

واختلفوا : لم سُمِّي يوم بدر عقيماً .

فقال ابن عباس : لأنَّه ليس ليوم بدر نظير من الأيام لا قبله ولا بعده ، لم تقاتل الملائكة مع نبيٍّ قط إلَّا مع محمد ﷺ ، ولم تقاتل مع محمد إلا يوم بدر .

وعلى هذا سمي عقيماً ؛ لأنه لا نظير له في عِظَمِه بقتال الملائكة فيه ، فكأنَّ الدهر عقيم عن مثل ذلك اليوم .

وقال الكلبي : يوم عقيم لا فرج[٥] فيه وهو يوم بدر .

وهذا اختيار الزَّجَّاج ، قال : اليوم العقيم هو الذي لا يأتي فيه خير كالريح العقيم[٦] .

وقال ابن جريج : لأنهم لم يُنظروا فيه إلى الليل ، بل قتلوا قبل المساء[٧] . وعلى هذا القول سُمّي عقيماً لانقطاع أعمارهم وفناء آجالهم ، فلم يروا بعد ذلك اليوم ليلاً ولا نهاراً ، فكان ذلك اليوم عليهم يوماً لا ليل لهم بعده .

---

(١) رواه عنه عبدالرزاق في تفسيره ٢/ ٤١ ، والطبري ١٧/ ١٩٣ .

(٢) رواه الطبري ١٧/ ١٩٣ .

(٣) ذكره عنه ابن الجوزي ٥/ ٤٤٤ .

(٤) رواه عبدالرزاق في تفسيره ٢/ ٤١ عن قتادة قال : بلغني أن أبيَّ بن كعب كان يقول : أربع آيات أنزلت في بدر . هذه إحداهن يوم عقيم يوم بدر .
وهو منقطع . ورواه الطبري ١٧/ ١٩٣ من هذا الوجه مختصراً .
وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٧٠ وعزاه لابن مردويه .

(٥) في (أ) و(ظ) و(د) : (لا فرح) ، والمثبت من (ع) .

(٦) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٤٣٤ .

(٧) ذكره الثعلبي ٣/ ٥٥ ب بهذا اللفظ ، ورواه الطبري ١٧/ ١٩٣ .

وروي عن عكرمة والضحاك في قوله : ﴿عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾ : إنه القيامة[١] .

والوجه القول الأول[٢] ؛ لأن ذكر القيامة قد تقدَّم في قوله : ﴿حَتَّىٰٓ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً﴾ .

٥٦ـ٥٧ . قوله تعالى : ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ ؛ يعني يوم القيامة لله وحده يحكم بينهم بما ذكر من قوله : ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ إلى قوله : ﴿عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ .

٥٨ . ثم ذكر فضل المهاجرين ، وقال : ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ . قال الكلبي : من مكة إلى المدينة في طاعة الله .

﴿ثُمَّ قُتِلُوٓاْ أَوْ مَاتُواْ﴾ ؛ تسوية بين حالتهم من القتل أو الموت على الفراش . ولهذا قال فضالة بن عبيد[٣] ورأى جنازتين أحدهما قتيل والآخر متوفى : ما أبالي من أي حفرتيهما بعثتُ . وقرأ هذه الآية[٤] .

---

(١) ذكره عنهما الثعلبي في الكشف والبيان ٣/ ٥٥ ب . ورواه عنهما الطبري ١٧/ ١٩٣ . وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٧٠ عن الضحاك ، وعزاه لعبد بن حميد وابن أبي حاتم .

(٢) وهو اختيار الإمام الطبري ١٧/ ١٩٣ قال : وذلك أنَّ الساعة هي يوم القيامة ، فإن كان اليوم العقيم أيضاً هو يوم القيامة فإنما معناه ما قلنا من تكرير ذكر الساعة مرتين باختلاف الألفاظ ، وذلك لا معنى له .

(٣) هو فضالة بن عبيد بن نافذ بن قيس الأنصاري ، الأوسي . صاحب رسول الله ﷺ ، أسلم قديماً ، وشهد أحداً وما بعدها ، وشهد بيعة الرضوان .
ولي الغزو لمعاوية ، ثم ولي له قضاء دمشق ، وكان ينوب عن معاوية في الإمرة إذا غاب . توفي سنة ٥٣هـ ، وقيل بعدها .
طبقات ابن سعد ٧/ ٤٠١ ، والاستيعاب ٣/ ١٢٦٢ ، وأسد الغابة ٤/ ١٨٢ ، وسير أعلام النبلاء ٣/ ١١٣ ، والبداية والنهاية ٨/ ٧٨ ، والإصابة ٣/ ٢٠١ .

(٤) رواه الطبري ١٧/ ١٩٤ ، ١٩٥ وابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير ٣/ ٢٣٢ ، عن فضالة .
وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٧١ وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم .

قوله تعالى : ﴿لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾ . قال ابن عباس : يريد لا انقطاع له[١] .

وقال السدي : هو رزق الجنة[٢] .

وقرئ قوله : ﴿ثُمَّ قُتِلُوا﴾ بالتخفيف والتشديد[٣] . فالتخفيف يكون للكثير[٤] والقليل ، والتشديد حسن ؛ لأنهم قد أكثر فيهم القتل في وجوه توجهوا إليها[٥] .

٥٩. قوله تعالى : ﴿لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ قال ابن عباس : يريد الجنة .

وقرئ : ﴿مُّدْخَلًا﴾ بضم الميم وفتحها[٦] ، فالضمُّ[٧] يجوز أن يراد به الإدخال ، ويكون المعنى أنهم إذا أدخلوا أكرموا ، فلم يكونوا كمن ذكر في قوله : ﴿ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾ [الفرقان :٣٤] . ويجوز أن يعني به الموضع ، ويرضونه ؛ لأن لهم فيه ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين ، فهو خلاف المدخل الذي قيل فيه : ﴿إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ﴾ [غافر :٧١] الآية . والفتح يجوز أن

---

(١) ذكر البغوي ٥/ ٣٩٦ هذا القول ولم ينسبه لأحد .

(٢) انظر : الدر المنثور ٦/ ٧١ .

(٣) قرأ ابن عامر : (قتلوا) مشددة التاء ، وقرأ الباقون : (قتلوا) خفيفة التاء .
السبعة ٤٣٩ ، والمبسوط لابن مهران ٢٥٨ ، والنشر ٢/ ٣٢٧ .

(٤) في (د) و(ع) : (للكثرة) .

(٥) هذا كلام أبي علي في الحجة ٥/ ٢٨٤ . انظر : إعراب القراءات وعللها لابن خالويه ٢/ ٨٣ ، وحجة القراءات لابن زنجلة ٤٨١ .

(٦) قرأ نافع (مدخلاً) بفتح الميم ، وقرأ الباقون بضمها .
السبعة ٤٣٩ ، والتبصرة ١٨٢ ، والتيسير ٩٥ ، والاقناع ٢/ ٦٢٩ .

(٧) في الحجة : المدخل يجوز أن يراد به الإدخال .

يكـــون الدخول[١] ، ويجوز أن يكون موضعه كالمدخل . ودلَّ ﴿لَيُدْخِلَنَّهُم﴾ على الدخول ؛ لأنَّهم إذا أدخلوا دخلوا ، فكأنه قال : ليُدْخلنهم فيَدخلون مَدْخلاً[٢] .

وقوله : ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ . قـــال ابن عباس : عليم بنياتهم ، حليم عن عقابهم[٣] .

٦٠. قوله تعالى : ﴿ذَٰلِكَ﴾ . قال أبو إسحاق : ﴿ذَٰلِكَ﴾ في موضع رفع ، المعنى : الأمر ذلك ، أي[٤] : الأمر ما قصصنا عليكم[٥] .

ثم قـــال : ﴿وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ﴾ ؛ أي من جـــازى الظالم بمثل ما ظلمه . وســـمي جزاء العقوبة عقوبة لاســـتواء الفعلين في جنس المكروه كقوله : ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشـــورى :٤٠] ، فالأول ســـيئة والمجازاة عليها سميت سيئة بأنها وقعت إســـاءة بالمفعول به ، لأنه فعل [به][٦] ما يسوؤه[٧] . وذكرنا هذا في قوله : ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة :١٥] .

---

(١) في الحجة : وحجة من قال مدخلاً أن المدخل يجوز أن يكون الدخول .

(٢) الحجة لأبي علي الفارسي ٥/ ٢٨٤ ، ٢٨٥ مع تقديم وتأخير .
انظـــر : إعراب القراءات الســـبع وعللهـــا لابن خالويـــه ٢/ ٨٣ ، وحجة القـــراءات لابن زنجلة : ٤٨١ ، ٤٨٢ .

(٣) ذكره عنه القرطبي ١٢/ ٨٩ . وذكره ابن الجوزي ٥/ ٤٤٦ والبغوي ٥/ ٣٩٧ من غير نسبة .

(٤) (أي) : ساقطة من (أ) .

(٥) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٤٣٥ .
وعلى هذا ، (ذلك) خبر مبتدأ مُضمر ، انظر : الإملاء للعكبري ٢/ ١٤٦ ، والدر المصون ٨/ ٢٩٦ .

(٦) زيادة من معاني الزَّجَّاج يستقيم بها المعنى .

(٧) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣٠/ ٤٣٥ مع اختلاف يسير .

قال الحسن : ﴿وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ﴾ ؛ يعني : قاتل المشركين كما قاتلوه[١] .

﴿ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ﴾ ؛ أي ظلم بإخراجه من منزله .

قيل : إنها نزلت في قوم من المسلمين قاتلوا قوماً من المشركين غير مبتدئين بالقتال بل دفعاً لهم عن أنفسهم ، ثم أخرجوا من ديارهم[٢] .

قال الضحاك ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ﴾ : يعني ما أتاه المشركون من البغي على المسلمين حين أحوجوا[٣] إلى مفارقة أوطانهم[٤] .

قوله : ﴿لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ﴾ يعني : هذا المظلوم الذي بغي عليه وعده الله النَّصر .

قال ابن جريج : يعني نصرته محمداً ﷺ وأصحابه[٥] .

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ . قال ابن عباس : يريد عفا عن المؤمنين مساوئهم ، وغفر لهم ذنوبهم[٦] .

وذكر مقاتل بن سليمان السَّبب في نزول هذه الآية وتفسيرها ، فقال : إنَّ مشركي مكة لقوا المسلمين في ليلتين بقيتا من المحرم ، فقال بعضهم لبعض : إنَّ أصحاب محمد يكرهون القتال في الشهر الحرام فاحملوا عليهم ، فناشدهم

---

(١) ذكره عنه البغوي ٥/ ٣٩٧ .

(٢) انظر : التهذيب في التفسير للجشمي ٦/ ١٨٦ ب .

(٣) في (أ) : (حين أخرجوا) ، وفي (ظ) : (حتى أخرجوا) .

(٤) ذكره البغوي ٥/ ٣٩٧ من غير نسبة لأحد .

(٥) رواه الطبري ١٧/ ١٩٥ بمعناه .

(٦) ذكره البغوي ٥/ ٣٩٧ من غير نسبة .

المسلمون ألا يقاتلوهم في الشهر الحرام ، فأبى المشركون إلا القتال ، فبغوا على المسلمين ، فقاتلوهم وحملوا عليهم ، وثبت المسلمون ، فنصر الله المسلمين عليهم ، فوقع في أنفس المسلمين من القتال في الشهر الحرام فأنزل الله هذه الآية[١] .

فالمعني بـ«من»[٢] في قوله : ﴿وَمَنْ عَاقَبَ﴾ المؤمنون ، جازوا الكفار وقاتلوهم كما قاتلوهم ، وبغيهم عليهم أنَّهم لم يرتدعوا ولم يكفوا عن القتال بمناشدتهم إياهم .

وقوله : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ﴾ . قال مقاتل : عنهم ، ﴿غَفُورٌ﴾ لقتالهم في الشهر الحرام[٣] .

٦١. قوله : ﴿ذَٰلِكَ﴾ ؛ أي ذلك النصر الذي أنصره من بُغي عليه بأنِّي القادر على ما أشاء ، فمن قدرته أنَّه : ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ﴾ الآية[٤] . ومن قدر على ذلك قدر على نصرة من شاء . ومعنى ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ﴾ قد سبق في ما مضى .

قوله : ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ . قال ابن عباس : ﴿سَمِيعٌ﴾ لدعاء محمد ومن معه من المؤمنين ، ﴿بَصِيرٌ﴾ بهم حيث جعل فيهم البرَّ[٥] والتقوى والدين[٦] .

---

(١) تفسير مقاتل ٢/ ٢٧ ب . وهذا القول غير معتمد في سبب نزول هذه الآية ؛ لأن مقاتل بن سليمان كذَّبوه . انظر : تقريب التهذيب ٢/ ٢٧٢ .

(٢) في (أ) : (ممن) .

(٣) تفسير مقاتل ٢/ ٢٧ ب .

(٤) تفسير الطبري ١٧/ ١٩٥ ، والثعلبي ٣/ ٥٦ أ .

(٥) في (د) و(ع) : (البر والفاجر) ، بزيادة (والفاجر) ، وهو خطأ .

(٦) ذكره ابن الجوزي ٥/ ٤٤٧ مختصراً من غير نسبة .

٦٢. قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ﴾؛ أي ذلك الذي فعل من نصر المؤمنين بأنّه[١] ﴿هُوَ ٱلْحَقُّ﴾؛ أي ذو الحق في قوله وفعله، فدينه حق وعبادته حق، كل ما يصدر عنه من أمر ونهي حق، والمؤمنون الذين آمنوا به وصدقوا رسوله هم المحقون؛ فيستحقون من الله النصر.

﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾؛ أي الذي ليس بشيء ولا ينفع عبادته. قاله مقاتل[٢].

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ﴾؛ العالي على كل شيء بقدرته، والعالي عن الأشباه والأشكال[٣] ﴿ٱلْكَبِيرُ﴾ الذي كل شيء سواه يصغر مقداره.

٦٣. قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ الآية. حكى المبرِّد[٤] والزَّجَّاج[٥] عن سيبويه[٦] أنه سأل الخليل عن هذه الآية ورفع قوله: ﴿فَتُصْبِحُ﴾ وهو جواب الاستفهام بالفاء ووجهه النصب. فقال: هذا ليس بجواب لقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾، لأنه[٧] لو كان كذلك لكان التقدير: ألم تر فتصبح، بل هذا واجب: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تنبيه، وكأنَّه

---

(١) في (أ): (وأنَّه).

(٢) تفسير مقاتل ٢/ ٢٧ أ.

(٣) الحق أنَّ العلي يتضمن ثلاثة أمور، وهي علو الذات وعلو القدر وعلو القهر. وكلام المؤلف هنا حيدة منه عن إثبات علو الذات. انظر: بيان ذلك في قسم الدراسة عند الكلام على عقيدة المؤلف.

(٤) المقتضب ٢/ ٢١.

(٥) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٤٣٦.

(٦) انظر: الكتاب ٣/ ٣٦.

(٧) في (أ): (الآية)، وهو خطأ.

في التقدير -والله أعلم- اسمع يا فلان : أنزل الله من السماء ماء فكان[١] كذا وكذا . وأنشد الخليل للنّابغة[٢] :

فلا زالَ قبرٌ بين بصرى وجاسمٍ عليهِ مـنَ الـوسميِّ سحٌّ ووابلُ

فينبتُ حوذانـاً وعوفاً مُنـوراً سـأتبعهُ من خـيرِ ما قـالَ قائلُ

[قـال : لم يرد لا زال فينبت ، ولكنَّه لما دعا بالغيث][٣] قال : فينبت ؛ أي فهو ينبت كأنَّه خبرٌ لقصة تكون عن هذا الغيث .

ونحو هـذا قال الفرَّاء في هذه الآية ، فقـال : ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ معناه خبر ، كأنَّك قلت في الكلام : اعلم أنَّ الله يُنزل من السماء ماء فتصبح الأرض .

---

(١) في (أ) : (وكان) .

(٢) إنشاد الخليل لبيتي النابغة في الكتاب ٣/ ٣٦ ورواية البيت الأول فيه :

ولا زال قـبرٌ بيـن ثُـبْنى وجاسـم عليه مـن الـوَسْـمِـيّ جَـوْدٌ ووابـل

والبيتـان في المقتضب للمبرِّد ٢/ ١٩ بمثل الرواية التي سـاقها الواحدي ، ويظهر أنه نقل البيتين من المبرِّد ؛ فقد قال قبل قليل : حكى المبرِّد . . .

وهما في ديوان النابغة ١٢١ من قصيدة يرثي بها النعمان بن الحارث الغَسَّاني مع اختلاف ففيه :

سقى الـغيث قبراً بين بصري وجاسم بغيث مـن الـوسـمـي قـطـر ووابـل

وينبت . . .

قـال الشـنتمري في شرحه لديـوان النابغة ١٢١ ، ١٢٢ : بُصْرى وجاسـم هما موضعان بالشـام ، والوسمي : أول المطر ؛ لأنه يسم الأرض بالنبات ، . . . .

والوابل : أشـد المطر . وينبت حوذاناً : أي ينبت هذا المطر الـذي دعا للقبر به ، والحوذان والعوف : ضربان من النبت طيب الرائحة ، وقوله سـأتبعه ؛ أي سـآتي عليه بخير القول وأذكره بأجمل الذكر . اهـ .

والسَّح : الصَبُّ المتتابع . لسان العرب (سحح) ٢/ ٤٧٦ .

(٣) ساقطة من (ع) .

وهو مثل قول الشاعر[١] :

أَلْمْ تسألِ الربعَ القديمَ فينطقُ[٢]

قال الخليل : المعنى فهو مما ينطق[٣] . هذا كلامهم .

وعند النحويين[٤] يجوز الرفع في الجواب بالفاء على تقدير الاستئناف ، كقراءة من قرأ : (من ذا . . . فيضاعفُه) [البقرة :٢٤٥] بالرفع[٥] ؛ أي فهو يضاعفه[٦] وكما

---

(١) البيت أنشده الفرَّاء في معاني القرآن ٢/ ٢٢٩ من غير نسبة ، وتتمته :

وهل تُخْبِرَنْكَ اليومَ بيداءُ سملقُ

وهو بلا نسبة في الكتاب ٣/ ٣٧ وفيه : (القواء) في موضع (القديم) ، والطبري ١٧/ ١٩٧ بمثل رواية الفرَّاء . والبيت لجميل بن معمر ، وهو في ديوانه ١٤٤ ، وشرح أبيات سيبويه للسيرافي ٢/ ٢٠١ ، وشرح المفصل لابن يعيش ٧/ ٣٦ ، ٣٧ ، وشرح شواهد المغني للسيوطي ١/ ٤٧٤ ، ولسان العرب (سملق) ١٠/ ١٦٤ ، وخزانة الأدب ٨/ ٥٢٤ ، ٥٢٦ ، ٥٢٧ ، وروايتهم جميعاً : القواء .

قال الشنتمري في تحصيل عين الذهب ١/ ٤٢٢ : الشاهد فيه رفع ينطق على الاستئناف والقطع ، على معنى : فهو ينطق . . والرَبْع المنزل . والقواء : القفر . وجعله ناطقاً للاعتبار بدروسه وتغيره . ثم حقق أنه لا يجيب ولا يخبر سائله لعدم القاطنين به . والبيداء : القفر . والسملق : التي لا شيء بها . اهـ .

وعند السيرافي ٢/ ٢٠١ : البيداء : الصحراء الواسعة .

قال البغدادي ٨/ ٥٢٨ : وقوله : (وهل تخبرنك) . . . إلخ ردَّ على نفسه بأن مثله لا ينطق فيجيب .

(٢) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٢٩ .

(٣) قول الخليل في معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٣٤٦ .

وهو بنحوه في الكتاب ٣/ ٣٧ .

(٤) انظر : الكتاب ٣/ ٣١ ، وارتشاف الضرب لأبي حبان ٢/ ٤٠٨ ، ٤٠٩ ، وشرح المفصل لابن يعيش ٧/ ٣٦ ، ٣٧ .

(٥) قرأ أبو عمرو ، ونافع ، وحمزة ، والكسائي : (فيضاعفه) بالألف ورفع الفاء .

وقرأ ابن كثير : (فيضعِّفُه) بغير ألف وتشديد العين ، ورفع الفاء .

وقرأ ابن عامر : (فيضعّفَه) بغير ألف وتشديد العين ، ونصب الفاء .

وقرأ عاصم : ﴿فَيُضَٰعِفَهُۥ﴾ بألف ونصب الفاء .

السَّبعة ١٨٤ ، ١٨٥ ، والتبصرة ١٦١ ، والتيسير ٨١ .

(٦) أو يكون معطوفاً على ﴿يُقْرِضُ ٱللَّهَ﴾ ، انظر : حجة القراءات لابن زنجلة ١٣٩ ، وإبراز المعاني لأبي شامة ٣٦٣ .

رفع في هذه الآيات . وذكرنا عند قوله : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَـٰرِهِمْ﴾ [البقرة :٢٤٣] أن[١] ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تكون بمعنى التنبيه .

فحصل في هذه الآية وجهان : أحدهما : أن قوله : ﴿فَتُصْبِحُ﴾ ليس بجواب الاستفهام ؛ لأنَّ هذا استفهام معناه التنبيه .

والثاني : أنه جواب الاستفهام بالرفع على ما ذكره النحويون .

قال ابن عباس وغيره : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ : يعني المطر[٢] ﴿فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾ بالنبات[٣] . ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ﴾ بأرزاق عباده[٤] .

وقال مقاتل : باستخراج النبات من الأرض[٥] .

﴿خَبِيرٌ﴾ . قال ابن عباس : خبير بما في قلوب العباد من القنوط[٦] ، يعني عند تأخر المطر .

وقال غيره : خبير بما يحدث من ذلك الماء ومن ذلك النبت[٧][٨] .

---

(١) (أنَّ) : ساقطة من (ظ) و(د) و(ع) .
(٢) ذكره ابن الجوزي ٥/ ٤٤٧ من غير نسبة لأحد .
(٣) ذكره البغوي ٥/ ٣٩٧ ، وابن الجوزي ٥/ ٤٤٧ من غير نسبة لأحد .
(٤) ذكره عنه الرازي ٢٣/ ٦٢ ، والقرطبي ١٢/ ٩٢ . وذكره البغوي ٥/ ٣٩٧ من غير نسبة .
(٥) تفسير مقاتل ٢/ ٢٧ ب .
(٦) ذكره عنه الرازي ٢٣/ ٦٢ ، والقرطبي ١٢/ ٩٢ .
(٧) في (أ) : (النبات) ، والمثبت من باقي النسخ هو الموافق لما عند الطبري .
(٨) هذا قول الطبري ١٧/ ١٩٦ .

٦٤. قوله تعالى: ﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾. قال مقاتل: عبيده وفي ملكه[١].

﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِيُّ﴾ عن عباده، ﴿ٱلْحَمِيدُ﴾ إلى أوليائه وأهل طاعته. قاله ابن عباس.

٦٥. قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ﴾. قال ابن عباس: يريد البهائم التي تركب وتؤكل[٢].

قوله: ﴿وَٱلْفُلْكَ تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ﴾ ﴿وَٱلْفُلْكَ﴾ بالنصب نسق على ﴿مَّا﴾ و﴿تَجْرِي﴾ حال؛ أي وسخر لكم الفلك في حال جريها[٣].

﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ﴾. قال الزَّجَّاج: المعنى: كراهة[٤] أن تقع، [وموضع «أنْ» نصب بـ(يمسك)، وهو مفعول له، المعنى: لكراهة أن تقع][٥][٦].

---

(١) تفسير مقاتل ٢/ ٢٧ ب.

(٢) ذكره البغوي ٥/ ٣٩٨، وابن الجوزي ٥/ ٤٤٨ من غير نسبة.
قال ابن كثير ـرحمه اللهـ في تفسيره ٣/ ٢٣٣: أي من حيوان وجماد وزروع وثمار كما قال: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية: ١٣].

(٣) هذا قول الزَّجَّاج بنصِّه في معاني القرآن ٣/ ٤٣٧.
وجوَّز أبو البقاء في الإملاء ٢/ ١٤٦ أن يكون انتصاب الفلك عطفاً على لفظ الجلالة على تقدير: وأن الفلك تجري في البحر، وتجري خبرٌ على هذا.
وتبع السمين الحلبي ٨/ ٣٠٢ أبا البقاء في هذا.
واستظهر أبو حيان ٦/ ٣٨٧ ما قاله الزَّجَّاج، واستبعد ما جوزه أبو البقاء، وقال: وهو إعراب بعيدٌ عن الفصاحة.

(٤) في (أ): (كراهية)، والمثبت هو الموافق لما في كتاب الزَّجَّاج.

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (ظ).

(٦) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٤٣٧.

وقال مقاتل : لئلا تقع[١] . وهذا على مذهب الكوفيين[٢] . وذكرنا الكلام في هذه المسألة في مواضع[٣] .

قوله : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ . قال مقاتل : يعني لرفيق رحيم بهم في ما سخر لهم وحبس عنهم السماء فلا تقع عليهم فيهلكوا[٤] .

٦٦. قوله : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ﴾ بعد أن كنتم نطفاً ميتة . ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ عند آجالكم .

﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ للبعث والحساب والثواب والعقاب[٥] .

﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ﴾ . قال ابن عباس : يعني جماعة من المشركين[٦] .

قال الكلبي : هو الكافر[٧] .

قال مقاتل : لكفور لنعم الله في حسن خلقه حين لا يوحده[٨] .

---

(١) تفسير مقاتل ٢/ ٢٧ ب .

(٢) انظر : البسيط عند قوله تعالى : ﴿وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ﴾ [الأنبياء :٣١] .

(٣) انظر : البسيط عند قوله تعالى : ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟﴾ [النساء :١٧٦] .

(٤) تفسير مقاتل ٢/ ٢٧ ب .

(٥) الطبري ١٧/ ١٩٨ ، والثعلبي ٣/ ٥٦ أ .

(٦) ذكر الرازي ٢٣/ ٦٣ والقرطبي ١٢/ ٩٨ وأبو حيان ٦/ ٣٨٧ عنه أنه قال : هو الأسود بن عبدالأسد وأبو جهل والعاص وأبي بن خلف .
قال الرازي : والأولى تعميمه في جميع المنكرين . وقال أبو حيان بعد ذكره لقول ابن عباس : وهذا على طريق التمثيل .
وقيل : هذا وصفٌ للجنس ؛ لأن الغالب على الإنسان كفر النِّعم كما قال تعالى : ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ :١٣] . انظر : القرطبي ١٢/ ٩٣ .

(٧) ذكر الرازي ٢٣/ ٦٣ ، وأبو حيان ٦/ ٣٨٧ هذا القول عن ابن عباس .

(٨) تفسير مقاتل ٢/ ٢٨ أ .

٦٧. قوله: ﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ﴾؛ أي لكل قرن مضى ﴿جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ﴾. قال ابن عباس: يريد شريعة هم عاملون بها[١].

وقال مقاتل وغيره: يعني ذبيحة في عيدهم هم ذابحوه[٢].

وهذا ممَّا[٣] تقدم الكلام فيه في هذه السورة[٤].

﴿فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِي ٱلْأَمْرِ﴾؛ يعني في أمر الذبائح.

قال الكلبي ومقاتل: نزلت في بديل بن ورقاء الخزاعي[٥]، وبشر بن سفيان الخزاعي[٦]، ويزيد بن خنيس وغيرهم من كفار قريش وخزاعة، خاصموا النبي ﷺ والمؤمنين في أمر الذبيحة، فقالوا: ما قتل الله لكم أحق أن تأكلوه أو ما قتلتم أنتم بسكاكينم؟[٧].

---

(١) ذكره عنه البغوي ٥/ ٣٩٨. وروى عنه الطبري ١٧/ ١٩٨ من طريق الوالبي، قال: عيداً.

(٢) انظر: تفسير مقاتل ٢/ ٢٨ أ. وجاء نحوه عن عكرمة. انظر: الدر المنثور للسيوطي ٦/ ٧٣.

(٣) في (أ): (ما).

(٤) عند قوله: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ [الحج: ٣٤].

(٥) هو بُديل بن ورقاء بن عمرو بن ربيعة بن عبدالعزى بن ربيعة الخزاعي، كتب إليه النبي ﷺ يدعوه إلى الإسلام، وأسلم قبل الفتح، وقيل يوم الفتح، وشهد حنيناً، واستعمله ﷺ على سبي هوازن، وسار مع النبي ﷺ إلى تبوك، وشهد حجة الوداع.
طبقات ابن سعد ٤/ ٢٩٤، والاستيعاب ١/ ١٥٠، وأسد الغابة ١/ ١٧٠، والإصابة ١/ ١٤٥.

(٦) هو بشر، قال ابن هشام: ويقال: بسر بن سفيان بن عمر بن عويمر الكعبي الخزاعي، كتب إليه النبي ﷺ، وأسلم سنة ست، وبعثه النبي ﷺ عيناً إلى قريش إلى مكة، وشهد الحديبية، وله ذكر في حديث الحديبية، وسكن مكة.
طبقات ابن سعد ٤/ ٤٥٨، والسيرة النبوية لابن هشام ٣/ ٣٥٦، والاستيعاب ١/ ١٦٦، والإصابة ١/ ١٥٣.

(٧) تفسير مقاتل ٢/ ٢٨ أ.

قال أبو إسحاق : معنى قوله : ﴿فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ﴾ لا تنازعهم ولا تجادلهم ، والدليل على ذلك قوله : ﴿وَإِن جَٰدَلُوكَ﴾ ، وكان هذا قبل القتال . فإن قيل[١] : فلم قيل : فلا ينازعنك في الأمر وهم قد نازعوه ؟ فالمعنى : إنَّ هذا نهيٌ للنبي ﷺ عن منازعتهم كما تقول : لا يخاصمنَّك فلان في هذا أبداً ، أي لا تخاصمه .

وهذا جائز في الفعل الذي لا يكون إلَّا من اثنين ؛ لأنَّ المجادلة والمخاصمة لا تتم إلَّا باثنين ، فإذا[٢] قلت : لا يجادلنَّك فلان ، فهو بمنزلة لا تُجادلنَّه . ولا يجوز هذا في قولك : لا يضربنك فلان ، وأنت تريد لا تضربه . ولكن لو قلت : لا يضاربنَّك فلان ، لكان[٣] كقولك : لا تضاربن فلاناً . هذا كلام أبي إسحاق[٤] .

وقوله : ﴿وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ . قال مقاتل بن سليمان : يعني إلى معرفة ربك وهو التوحيد[٥] .

وقال ابن عباس : يريد قم بشرائع الحنيفية . والمعنى على هذا : ادع إلى الإيمان به وإعمال ما شرع من الشريعة .

قوله : ﴿إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى﴾ دين ﴿مُّسْتَقِيمٍ﴾ . قال ابن عباس : لم يخلق ديناً أقوم ولا أفضل منه ولا أحب إلى الله عز وجل .

---

(١) في (أ) زيادة : (لهم) بعد قوله : (قيل) ، وهو خطأ .

(٢) في (أ) : (وإذا) .

(٣) (لكان) : ساقط من (ظ) .

(٤) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٤٣٧ . مع اختلاف يسير .
وقيل معنى فلا ينازعنك في الأمر : فلا تتأثر بمنازعتهم لك ، ولا يصرفك ذلك عمَّا أنت عليه من الحق . وهذا كقوله : ﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ ۖ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ [القصص :٨٧] . أشار إليه ابن كثير ٣/ ٣٣٤ .

(٥) تفسير مقاتل ٢/ ٢٨ أ .

٦٨-٦٩ . قوله : ﴿وَإِن جَٰدَلُوكَ﴾ . قال الكلبي : خاصموك في أمر الذبيحة[١] .

وقال مقاتل : جادلوك في أمر الذبائح[٢] . يعني هؤلاء النفر .

﴿فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ . قال ابن عباس : يريد من تكذيبهم النبي ﷺ[٣] .

وقال مقاتل : الله أعلم بما تعملون وما نعمل ، فذلك قوله : ﴿ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾[٤] .

وعلى هذا ، في الآية محذوف حذف لدلالة الباقي عليه . والمعنى : أيضاً يحكم بيننا وبينكم . يعني : أنَّه عالم بأعمالنا فهو يحكم بيننا وبينكم يوم القيامة ﴿فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ ؛ أي تذهبون فيه إلى خلاف ما نذهب . وهو معنى قول ابن عباس : يريد في خلافكم إيَّاي[٥] .

قال الكلبي ومقاتل : نسختها آية السيف[٦] .

---

(١) ذكره ابن الجوزي ٥/ ٤٤٩ ولم ينسبه لأحد .

(٢) تفسير مقاتل ٢/ ٢٨ أ .

(٣) ذكره عنه القرطبي ١٧/ ٩٤ .

(٤) تفسير مقاتل ٢/ ٢٨ أ .

(٥) ذكره القرطبي ١٢/ ٩٤ من غير نسبة ، وفيه : (آياتي) بدل (إيَّاي) .

(٦) تفسير مقاتل ٢/ ٢٨ أ .

انظر : الناسخ والمنسوخ لهبة الله بن سلامة ٦٦ ، وناسخ القرآن العزيز ومنسوخه لابن البارزي ٤١ .

والمراد بآية السيف هي قوله : ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [التوبة :٥] .

وقيل : هي قوله : ﴿وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً﴾ [التوبة :٣٦] . وقيل هما معاً .

انظر : الإتقان للسيوطي ٢/ ٦٧ ، وروح المعاني للألوسي ١٠/ ٥٠ .

والقول بالنسخ محل نظر ؛ لأنه لا دليل على النسخ ، ولا تعارض بينها وبين آية السيف .

وهذا النسخ الذي قالا لا يرجع إلى الحكم ، لأنَّ الله يحكم يوم القيامة بين المحق والمبطل فيدخل المحق الجنة والمبطل النار ، ولكن النسخ يعود إلى النبي ﷺ لما أمر بالقتال كان يقاتل من خالفه ولم يصدقه ، ولا يدفع بالقول والمداراة كما أمر في هذه الآية بأن يقول إذا جادلوه : ﴿ٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ﴾ .

٧٠. قوله : ﴿أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ .

[قال ابن عباس][(١)] : يريد قد علمت وأيقنت أني أعلم ما في السماء والأرض .

وهذا استفهام يراد[(٢)] به التقرير كقوله :

ألستم خير من ركب المطايا

قوله : ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍ﴾ ؛ يعني ما يجري في السماء والأرض ، كلُّ ذلك مكتوب في اللوح المحفوظ ، وذلك أن الله -تعالى- خلق القلم واللوح ، فجرى القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة[(٣)] .

قوله : ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ ؛ أي علمه بجميع ذلك ﴿عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾ ؛ أي سهل . فلا يخفى عليه شيء يتعذر العلم به .

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ظ) .

(٢) في (أ) : (يريد) .

(٣) روى أبو يعلى في مسنده ٤/ ٢١٧ ، والطبراني في المعجم الكبير ١٢/ ٨-٩٦ واللفظ له عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أن النبي ﷺ قال : لما خلق الله القلم قال له : اكتب ، فجرى بما هو كائن إلى قيام الساعة .
قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ١٩٠ : رواه الطبراني ورجاله ثقات .
وروى مسلم في صحيحه في كتاب القدر ٤/ ٢٠٤٤ عن عبدالله بن عمرو -رضي الله عنهما- قال : قال رسول الله ﷺ : كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة ، قال : وكان عرشه على الماء .

وقال ابن جريج : إنَّ الحكم بين المختلفين في الدنيا يوم القيامة على الله يسير[١] .

٧١. قوله تعالى : ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ . قال الكلبي : يعني أهل مكة[٢] .

﴿مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا﴾ . قال ابن عباس : يريد حجة[٣] .

﴿وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾ أنها آلهة ، ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ ؛ وما للمشركين من مانع من العذاب .

٧٢. قوله : ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ﴾ . قال ابن عباس : يريد : بان لهم ما هم فيه من الضلالة ، وما جاء به محمد ﷺ من الهدى .

﴿تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ﴾ . قال مقاتل : ينكرون القرآن أن يكون من الله[٤] .

والمنكر بمعنى : الإنكار ، والتأويل : أثر الإنكار من الكراهية والعبوس .

وذهب بعضهم[٥] إلى أنَّ المنكر هاهنا مفعول الإنكار وليس بمعنى المصدر وقال : وتأويله : يتبين في وجوههم ما ينكره أهل الإيمان من تغيُّرها[٦] عند سماع القرآن .

---

(١) رواه الطبري ١٧/ ٢٠٠ ، ٢٠١ .
واختار الأول ؛ لأنَّه أقرب مذكور إلى قوله : ﴿يَسِيرٌ﴾ ، هو وقوله : ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ﴾ .

(٢) ذكر ابن الجوزي ٥/ ٩٤٥١ ، والقرطبي ١٢/ ٩٥ هذا القول من غير نسبة لأحد .

(٣) ذكر ابن الجوزي ٥/ ٩٤٥١ ، والقرطبي ١٢/ ٩٥ هذا القول من غير نسبة لأحد .

(٤) تفسير مقاتل ٢/ ٢٨ أ .

(٥) هو الإمام الطبري رحمه الله . وقوله هذا في تفسيره ١٧/ ٢٠١ .

(٦) في (أ) : (تغييرها) ، وهو خطأ .

قوله : ﴿يَكَادُونَ يَسْطُونَ﴾ . قال الليث : السطو شدة البطش . والفحل يسطو على طروقته[١] .

وقال أبو زيد والفرَّاء : كادوا يبطشون بهم[٢] .

ومنه يقال : الأيدي السواطي ، التي تتناول الشيء . والساطي من الرجال الذي يسطو بقرنه فيبطش به ويتناوله . والله ذو سطوات ؛ أي أخذات شديدة . ويقال : سطوت به وسطوت عليه[٣] .

وقال المبرِّد : يقال سطا زيد على عمرو وبعمرو . إذا تطاول عليه ليضع منه . وقال أبو إسحاق : يكادون يبطشون[٤] .

وقال مجاهد[٥] ومقاتل[٦] : يكادون يقعون بمحمد ﷺ وأصحابه ، وهو قوله : ﴿بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِنَا﴾ ؛ أي يبسطون إليهم أيديهم بالسوء .

---

(١) قوله في تهذيب اللغة للأزهري (سطا) ١٣/ ٢٤ ، ٢٥ .
وهو في العين (سطا) ٧/ ٢٧٧ .
وطروقته : أنثاه . لسان العرب (طرق) ١٠/ ٢١٦ .

(٢) تهذيب اللغة للأزهري ١٣/ ٢٤ عن الفرَّاء وأبي زيد .
وقول الفرَّاء في معاني القرآن له ٢/ ٢٣٠ .

(٣) انظر : تهذيب اللغة للأزهري (سطا) ١٣/ ٢٤ ، والصحاح للجوهري ٦/ ٢٣٧٦ ، وأساس البلاغة للزمخشري ٤٣٩ ، ولسان العرب ١٤/ ٣٨٤ .

(٤) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٤٣٨ .

(٥) رواه الطبري ١٧/ ٢٠٢ عن مجاهد مختصراً .

(٦) تفسير مقاتل ٢/ ٢٨ أ .

قوله : ﴿قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ﴾ . قال المفسرون : قل يا محمد لهم : أفأنبئكم بشر لكم وأكره إليكم من هذا القرآن الذي تسمعون[١] . ثم ذكر[٢] ذلك فقال : ﴿ٱلنَّارُ﴾ .

قال أبو إسحاق : أي هو النار أو هي النار ، كأنهم[٣] قالوا : ما ذلك الذي هو شر ؟ فقيل : النارُ . قال : ويجوز الخفض على البدل من (شر) والنصب على (أعني)[٤] . قال : والرفع أثبت في النحو[٥] .

ونحو هذا قال الفرَّاء : سواء ترفع (النار) ؛ لأنها معرفة فسَّرت الشر وهو نكرة ، كما تقول : مررت برجلين : أبوك وأخوك . ولو نصبتها بما عاد من ذكرها ونويت بها الاتصال بما قبلها كان وجهاً . ولو خفضتها على الباء : أنبئكم بشرٍّ من ذلكم [بالنار ، كان صواباً . والوجه الرفع[٦] .

وذهب مقاتل في تفسير قوله : ﴿بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ٱلنَّارُ﴾][٧] إلى غير ما ذكرنا وهو أنه قال : إن المشركين لما سمعوا القرآن قالوا : ما شأن محمد وأصحابه أحق بهذا الأمر منا ، والله إنهم لشرُّ خلق الله ، فأنزل الله ﴿قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ﴾ من النبي وأصحابه من وعده الله النار وصار إليها ، يعني الكافر ، فهم أشرار الخلق[٨] .

---

(١) الكشف والبيان للثعلبي ٣/ ٥٦ ب .
(٢) في (أ) زيادة (من) بعد قوله : (ذكر) ، وهو خطأ .
(٣) في (ط) و(د) و(ع) : (وكأنهم) ، والمثبت من (أ) هو الموافق لما في المعاني .
(٤) في (أ) : (أعلى) والعبارة عند الزَّجَّاج : (فهو على معنى : أعني النار) .
(٥) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٤٣٨ .
(٦) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٣٠ .
(٧) ما بين المعقوفين كرره ناسخ (أ) مرتين .
(٨) تفسير مقاتل ٢/ ٢٨ ب .

وهذا تعسف وتفسير لا يساعده اللفظ .

وقال بعض أهل المعاني : معنى الآية : بشرٌ عليكم مما يلحق التالي منكم ، أوعدهم الله -تعالى- على سطوتهم بأهل الحق عقوبة هي شر من سطوتهم بالذي يتلو القرآن[١] .

٧٣. قوله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓ﴾ . قال أبو إسحاق : لما عبدوا من دون الله ما لا يسمع ولا يبصر وما لم ينزل به حجة ، أعلمهم الله الجواب في ما جعلوه له مثلاً ، فقال : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥ﴾ يعني الأصنام[٢] .

قال ابن عباس ، والكلبي ، ومقاتل[٣] : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ يعني كفار مكة ﴿ضُرِبَ مَثَلٌ﴾ يعني ذكر شبه الصنم ، ﴿فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓ﴾ . ثم أخبر عنه فقال : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ يعني : تعبدون من دون الله من الأصنام ، وكانت ثلاثمائة وستين صنماً حول الكعبة ﴿لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا﴾ لن يستطيعوا أن يخلقوا ذباباً في صغره وقلته .

وقال الأخفش في هذه الآية : إن قيل فأين[٤] المثل الذي ذكره الله في قوله ﴿ضُرِبَ مَثَلٌ﴾ ؟ قلت : ليس هاهنا مثل ؛ لأن المعنى أن الله -تعالى- قال : ضرب لي مثل ؛ أي شبه بي الأوثان ، ثم قال : فاستمعوا لهذا المثل الذي جعلوه مثلي في

(١) ذكره الطوسي في التبيان ٧/ ٣٠٢ ، والقرطبي ١٢/ ٩٦ ولم ينسبه لأحد .
(٢) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٤٣٨ .
(٣) تفسير مقاتل ٢/ ٢٨ ب .
(٤) في (ظ) و(د) و(ع) : (أين) .

قولهم ، إنهم لن يقدروا على خلق ذباب ولو اجتمعوا له ، أي فكيف تُضرب هذه الآلهة في ضعفها وعجزها مثلاً لله وهو رب كل شيء ليس له شبه ولا مثل[١] .

وتأويل الآية : جعل المشركون الأصنام شركائي فعبدوها معي ، فاستمعوا حالها وصفتها ، ثم بين ذلك فقال : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ . الآية .

والذُّبَاب اسم واحد للذكر والأنثى ، وجمعه القليل : أَذِبَّة ، والكثير : ذِبَّان مثل غُراب وأَغْرِبَة وغِرْبان[٢] .

قال الزَّجَّاجي[٣] : وسُمي هذا الطائر ذباباً لكثرة حركته واضطرابه وسرعة انتقاله إلى الموضع الذي يُذَبُّ عنه وينحى[٤] .

---

(١) معاني القرآن للأخفش ٢/ ٦٣٧ مع تصرف . وقول الأخفش هذا محل نظر ، فإن الظاهر المتبادر أن في الآية مثلاً ، والضارب للمثل هو الله ـعز وجلـ ضرب مثلاً لما يعبد من دونه . انظر : البحر المحيط لأبي حيان ٦/ ٣٩٠ ، والألوسي ١٧/ ٢٠٠ . وانظر : شرح الإمام ابن القيم لهذا المثل في كتابه إعلام الموقعين ١/ ١٨١ فقد بين ـرحمه اللهـ أنه حقيق على كل عبد أن يستمع قلبه لهذا المثل ، ويتدبره حق تدبره ، فإنه يقطع مواد الشرك من قلبه . ثم شرع في بيان المثل .

(٢) هذا كلام الطبري ١٧/ ٢٠٣ والثعلبي ٣/ ٥٦ ب لكن ليس عندهما : (للذكر والأنثى) . انظر : تهذيب اللغة للأزهري (ذب) ١٤/ ٤٥١ ، والصحاح للجوهري (ذبب) ١/ ١٢٦ ، ولسان العرب (ذبب) ١/ ٣٨٢ .

(٣) في (أ) : (الزَّجَّاج) ، والأظهر ما في باقي النسخ ؛ لأن هذا الكلام ليس موجوداً في كتاب معاني القرآن . والزَّجَّاجي هو عبدالرحمن بن إسحاق ، أبو القاسم الزَّجَّاجي ، أحد أئمة العربية . لزم أبا إسحاق الزَّجَّاج ـوإليه ينسبـ حتى برع في النحو ، وأخذ عن أبي بكر بن السراج وعلي بن سليمان الأخفش وغيرهما . صنف الجمل في النحو ، الكتاب المشهور وبه يعرف وغيره من المصنفات . توفي سنة ٣٣٩هـ وقيل ٣٤٠هـ . طبقات النحويين واللغويين ١٢٩ ، ونزهة الألباء ٣٠٦ ، وإنباه الرواة ٢/ ١٦٠ ، وسير أعلام النبلاء ١٥/ ٤٧٥ ، وبغية الوعاة ٢/ ٧٧ .

(٤) لم أجده .

وأصل (ذ ب ب)[١] على هذا الترتيب موضوع[٢] في كلامهم لسرعته في[٣] الحركة والانتقال والاضطراب والمجيء والذهاب، ومنه قولهم: ذبب الرجل وذبذب، إذا أخذ في السير وأسرع. وذباذبُ الهودج: ما تعلق منه فيتردد في الهواء. والذَّبْذَبُ: ذكر الرجل، سُمّي بذلك لتردده. الذب: الرجل الخفيف الحركة[٤].

قوله: ﴿وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ﴾؛ أي إن سلبهم الذباب شيئاً مما عليهم لا يقدرون أن يستردوا وينزعوا ذلك من الذباب. ومعنى الاستنقاذ والإنقاذ: التخليص[٥]. وذكرنا ذلك عند قوله: ﴿فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

قال ابن عباس: كانوا يطلون أصنامهم الزعفران فيجف، ويأتي الذباب فيختلسه[٦]، فقال الله تعالى: ﴿وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا﴾ يريد من العطر ﴿لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ﴾ يريد الذباب.

وقال السدي عن أصحابه: كانوا يجعلون للأصنام طعاماً فيقع عليه الذباب فيأكل، فلا يستطيع أن يستنقذه منه[٧].

---

(١) في (أ): (ذب).

(٢) في (أ): (موضع)، وهو ساقط من (ظ).

(٣) (في): ساقطة من (أ).

(٤) انظر: تهذيب اللغة للأزهري (ذبب) ١٤/ ٤١٤، والصحاح للجوهري ١/ ١٢٦، ١٢٧، ومقاييس اللغة لابن فارس (ذب) ٢/ ٣٤٨، ٣٤٩، ولسان العرب (ذبب) ١/ ٣٨٤.

(٥) انظر: تهذيب اللغة للأزهري (نقذ) ٩/ ٧٤، والصحاح للجوهري ٢/ ٥٧٢، ولسان العرب ٣/ ٥١٦.

(٦) ذكره عنه البغوي ٥/ ٤٠٠، وابن الجوزي ٥/ ٤٥٢، والقرطبي ١٢/ ٩٧.

(٧) رواه ابن أبي حاتم عنه كما في الدر المنثور ٦/ ٧٥. وذكره عنه البغوي ٥/ ٤٠٠، وابن الجوزي ٥/ ٤٥٢، والقرطبي ١٢/ ٩٧.

وقال مقاتل : أي فكيف[١] يعبدون من لا يخلق ذباباً ، ولا يمتنع من الذباب[٢] .

وقال أبو إسحاق : أعلم الله أن الذين عُبدوا من دونه لا يقدرون على خلق واحد قليل ضعيف من خلقه ولا على استنقاذ تافه حقير منه[٣] .

قوله : ﴿ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾ . قال ابن عباس : ﴿ٱلطَّالِبُ﴾ : الصنم ، ﴿وَٱلْمَطْلُوبُ﴾ : الذباب . هذا قوله في رواية عطاء[٤] .

وهو قول الكلبي ، وابن زيد[٥] ، ومقاتل[٦] ، قالوا : ﴿ٱلطَّالِبُ﴾ هو[٧] الصنم الذي سلبه الذباب ولم يمتنع منه ، ﴿وَٱلْمَطْلُوبُ﴾ هو الذباب .

وعلى هذا معنى الآية : ضعف ﴿ٱلطَّالِبُ﴾ الذي هو الصنم فلم يطلب ما سلب منه ، وضعف المطلوب منه وهو الذباب السالب .

وهذا القول اختيار الفرَّاء ، فقال : ﴿ٱلطَّالِبُ﴾ الآلهة ، ﴿وَٱلْمَطْلُوبُ﴾ الذباب ، وفيه معنى المثل[٨] .

---

(١) في (أ) : (كيف) .

(٢) تفسير مقاتل ٢/ ٢٨ ب .

(٣) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٤٣٨ .

(٤) ذكره ابن الجوزي ٥/ ٤٥٢ عن عطاء ، عن ابن عباس . ورواه الطبري ١٧/ ٢٠٣ هذا القول عن ابن عباس من طريق ابن جريج قال : قال ابن عباس . وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٧٥ وعزاه لابن جرير وابن المنذر .

(٥) ذكره عنه الثعلبي ٣/ ٥٦ ب .

(٦) تفسير مقاتل ٢/ ٢٨ ب .

(٧) (هو) : ساقطة من (ظ) .

(٨) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٣٠ .

وروى عن ابن عباس : ﴿ٱلطَّالِبُ﴾ : الذباب ، ﴿وَٱلْمَطْلُوبُ﴾ : الصنم[١] . وذلك أن الذباب يطلب ما يسلب الصنم من طيب أو طعام والصنم المطلوب منه السلب .

وقال الضحاك : يعني العابد والمعبود[٢] . وهذا معنى قول السدي : الطالب : الذي يطلب إلى هذا الصنم بالتقرب إليه ، والصنم المطلوب إليه[٣][٤] .

٧٤. قوله : ﴿مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ . قال ابن عباس[٥] ، ومقاتل[٦] ، والزَّجَّاج[٧] : ما عظموا الله حق عظمته حيث جعلوا هذه الأصنام شركاء له .

وقال أبو عبيدة : ما عرفوا الله حق معرفته ولا وصفوه حق صفته[٨] .

وهذا مما قد تقدم[٩] فيه الكلام[١٠] .

---

(١) ذكره عنه الثعلبي ٣/ ٥٦ ب .

(٢) ذكره عنه الثعلبي ٣/ ٥٦ أ .

(٣) (إليه) : ساقطة من (ظ) .

(٤) رواه ابن أبي حاتم كما في الدر المنثور ٦/ ٧٥ . قال الإمام ابن القيم في إعلام الموقعين ١/ ١٨٢ بعد ذكره للأقوال المتقدمة في معنى الطالب والمطلوب : والصحيح أن اللفظ يتناول الجميع فضعف العابد والمعبود والمُستلِب والمستلَب .

(٥) ذكره ابن الجوزي ٥/ ٤٥٣ ، والقرطبي ١٢/ ٩٨ من غير نسبة لأحد .

(٦) تفسير مقاتل ٢/ ٢٨ ب .

(٧) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٤٣٨ .

(٨) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ٥٤ . وفيه : مبلغ صفته .

(٩) في (ظ) و(د) و(ع) : (مما تقدم الكلام) ، من دون (قد) .

(١٠) انظر : البسيط عند قوله تعالى : ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ﴾ [الأنعام :٩١] .

ثم أعلم الله -بعد ذكره ضعف المعبودين- قوته فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾؛ قال ابن عباس: على خلقه، ﴿عَزِيزٌ﴾ في ملكه.

وقال مقاتل: إن الله لقوي في أمره منيع في ملكه، والصنم لا قوة له ولا منعة[1].

وقال الكلبي: نزلت هذه الآية في جماعة من يهود المدينة قالوا: فرغ الله من خلق السموات والأرض فأعيا فاستلقى فاستراح، ووضع إحدى رجليه على الأخرى، وكذب أعداء الله فنزل قوله: ﴿مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾[2].

٧٥. قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا﴾. قال ابن عباس والمفسرون: يريد إسرافيل وجبريل وميكائيل وملك الموت. ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ يريد النبيين[3].

قال مقاتل[4] وغيره[5]: إن الوليد بن المغيرة قال: ﴿أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا﴾[6] [ص: ٨] فأنزل الله هذه الآية فأخبر بأن الاختيار إليه يختار من يشاء من

(١) تفسير مقاتل ٢/ ٢٨ ب.

(٢) ذكره الرازي ٢٣/ ٦٩ عن الكلبي. وذكره الماوردي ٤/ ٤٠ وعزاه لابن عباس. وهذا القول في سبب نزول هذه الآية لا يصح قال الألوسي ١٧/ ٢٠٣: الظاهر أن قوله: ﴿وَمَا قَدَرُواْ﴾... إلخ إخبار عن المشركين وذم لهم. وقال ابن القيم في إعلام الموقعين ١/ ١٨٢: فمن جعل هذا -يعني الذي قال الله فيه ضعف الطالب والمطلوب- إلهاً مع القوي العزيز فما قدره حق قدره.

(٣) انظر: الطبري ١٧/ ٢٠٤، والثعلبي ٣/ ٥٧ أ.

(٤) تفسير مقاتل ٢/ ٢٨ ب.

(٥) ذكره الطبري ١٧/ ٢٠٤ وصدره بقوله: قيل. والثعلبي ٣/ ٥٧ أ، وصدره بقوله: ويقال. ولا يعتمد على هذا في سبب نزول هذه الآية.

(٦) في (أ): (أنزل).

خلقه فيجعلهم رسله وأنبياءه ، ذلك كله بيد الله ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ﴾ لمقالتهم ﴿بَصِيرٌ﴾ بمن يتخذه رسولاً[١] .

٧٦. قوله : ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ . قال ابن عباس : يريد ما قدموا ، ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ يريد ما خلفوا[٢] .

وقال الحسن : ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ ؛ ما عملوه ، ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ وما[٣] هم عاملون مما لم يعلموا بعد[٤] .

وقال مقاتل : يعلم ما كان قبل خلق الملائكة ويعلم ما يكون بعد خلقهم[٥] .

٧٧. قوله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ﴾ . قال المفسرون : أي صلوا ، لأن الصلاة لا تكون إلَّا بالركوع والسجود[٦] .

﴿وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ﴾ . قال مقاتل : يقول : وحِّدوا ربكم[٧] .

يعني : أن من أشرك بعبادته غيره لم[٨] يوحده ، وعبادته إنما تصح مع التوحيد فجاز أن يسمى التوحيد عبادة ؛ لأنه أصل العبادة وأعظمها .

---

(١) الطبري ١٧/ ٢٠٤ ، والثعلبي ٣/ ٥٧ أ .
(٢) ذكره عنه البغوي ٥/ ٤٠١ .
(٣) في (ظ) : (مما) ، وفي (ع) : (ما) .
(٤) ذكره عنه البغوي ٥/ ٤٠١ .
(٥) تفسير مقاتل ٢/ ٢٨ ب .
(٦) الطبري ١٧/ ٢٠٤ . وانظر : البغوي ٥/ ٤٠١ .
(٧) تفسير مقاتل ٢/ ٢٩ أ .
(٨) في (ظ) : (ولم) .

وقال أبو إسحاق : أي اقصدوا بركوعكم وسجودكم الله -عز وجل- وحده[١] .

﴿وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ﴾ . قال مقاتل : الخير الذي أمرتم به[٢] . كأنه بمعنى[٣] الصلاة .

وقال ابن عباس : يريد صلة الرحم ومكارم الأخلاق[٤] .

وقال الزَّجَّاج : الخير كل ما أمر الله به . ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ قال : لترجوا أن تكونوا على فلاح[٥] .

وقال ابن عباس : يريد : كي تسعدوا وتبقوا في الجنة[٦] .

وذكرنا قديماً هذين المذهبين في ﴿لَعَلَّكُمْ﴾ أينما كان في القرآن[٧] .

٧٨. قوله : ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾ . قال ابن عباس في رواية عطاء : بنية صادقة[٨] . وعلى هذه حق الجهاد أن يكون بنية صادقة خالصة لله تعالى .

---

(١) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٤٣٩ .
(٢) تفسير مقاتل ٢/ ٢٩ أ .
(٣) في (ظ) و(د) و(ع) : (يعني) .
(٤) ذكره عنه البغوي ٥/ ٤٠١ ، والزمخشري ٣/ ٢٣ ، وأبو حيان ٦/ ٣٩١ .
(٥) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٤٣٩ .
(٦) ذكره عنه البغوي ٥/ ٤٠١ ، وذكره ابن الجوزي ٥/ ٤٥٤ من غير نسبة لأحد .
(٧) انظر : البسيط عند قوله تعالى : ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة :٢١] .
(٨) ذكر هذا القول البغوي ٥/ ٤٠٢ ، وعزاه لأكثر المفسرين .

وقال مقاتل بن حيان: ﴿وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾؛ يعني العمل أن تجتهدوا[١] فيه[٢].

وقال السدي: هو أن يطاع فلا يعصى[٣].

وقال مقاتل بن سليمان: يقول اعملوا لله بالخير حق عمله، نسختها الآية التي في التغابن ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦][٤].

ونحو هذا قال الضحاك[٥] سواء. واختاره الزَّجَّاج[٦].

---

(١) في (ظ): (يجهدوا).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره كما في الدر المنثور ٦/ ٧٨.

(٣) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره كما في الدر المنثور ٦/ ٧٨.

(٤) تفسير مقاتل ٢/ ٢٩ أ.

(٥) ذكره عنه الثعلبي ٣/ ٥٧ أ، وذكر الطبري ١٧/ ٢٠٥ هذا القول ثم قال: وهذا قول ذكره عن الضحاك عن بعض من في روايته نظر.

(٦) انظر: معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٤٣٩.

والقول بنسخ هذه الآية لا دليل عليه، ولا تعارض بين هذه الآية وآية التغابن، ولهذا قال أبو جعفر النحاس في الناسخ والمنسوخ ٥٧٧: وهذا لا نسخ فيه.

وقال مكي بن أبي طالب في إيضاح ناسخ القرآن ومنسوخه ٣١٠: والقول في هذا أنه محكم، ومعناه: جاهدوا في الله بقدر الطاقة، إذ لا يكلف الله نفساً إلَّا وسعها.

وقال ابن عطية ١٠/ ٣٢٦: ومعنى الاستطاعة في هذه الأوامر هو المراد من أول الأمر، فلم يستقر تكليف بلوغ الغاية شرعاً ثابتاً فيقال: إنه نُسِخ بالتخفيف، وإطلاقهم النسخ في هذا غير محدق.

وقال ابن القيم في زاد المعاد ٣/ ٨: ولم يصب من قال: إن الآيتين يعني هذه الآية وقوله: ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٠٢]- منسوختان لظنه أنهما تضمنتا الأمر بما لا يطاق، وحق تقاته وحق جهاده. هو ما يطيقه كل عبد في نفسه، وذلك يختلف باختلاف أحوال المكلفين في القدرة والعجز والعلم والجهل. فحق التقوى وحق الجهاد بالنسبة إلى القادر المتمكن العالم شيء، وبالنسبة إلى العاجز الجاهل الضعيف شيء، وتأمل كيف عقب الأمر بذلك بقوله: ﴿هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ والحرج الضيق، بل جعله واسعاً يسع كل أحد.

وروي عن ابن عباس : جاهدوا في سبيل الله أعداء الله باستفراغ الطاقة فيه[١] . وروي عنه[٢] أيضاً : ﴿حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾ ؛ أي لا تخافوا[٣] في الله لومة لائم[٤] .

وقال عبدالله بن المبارك : حق الجهاد مجاهدة النفس والهوى[٥] .

قوله : ﴿هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ﴾ ؛ أي اختاركم واصطفاكم واستخلصكم لدينه . ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ . قالوا جميعاً : من ضيق[٦] .

واختلفوا في وجه رفع الحرج . فروي عن ابن عباس أنه قال : جعل الله[٧] الكفارات مخرجاً[٨] .

يعني أن[٩] من أذنب ذنباً جعل له منه مخرجاً[١٠] ، إما بالتوبة ، أو بالقصاص ، أو برد المظلمة ، أو بنوع كفارة فلم يُبتل المؤمن بشيء من الذنوب إلَّا جُعل له منه مخرج . وهذا رواية الزهري عنه[١١] .

---

(١) ذكره عنه الثعلبي ٣/ ٥٧ أ .

(٢) في (ظ) : (عن ابن عباس) .

(٣) في (أ) و(ظ) و(د) : (تخاف) . والمثبت من (ع) هو الموافق لما عند الطبري والثعلبي .

(٤) ذكره عنه الثعلبي ٣/ ٥٧ أ . ورواه الطبري ١٧/ ٢٠٥ .

(٥) ذكره عنه الثعلبي ٣/ ٥٧ أ .

(٦) انظر : الطبري ١٧/ ٢٠٦ ، والدر المنثور ٦/ ٧٩ ، ٨٠ .

(٧) لفظ الجلالة زيادة من (أ) .

(٨) سيأتي تخريجه .

(٩) (أن) : ساقطة من (ظ) و(ع) .

(١٠) في (د) و(ع) : (مخرج) .

(١١) روى الطبري في تفسيره ١٧/ ٢٠٥ ، ٢٠٦ عن الزهري قال : سأل عبدالملك بن مروان علي بن عبدالله بن عباس عن هذه الآية : ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ فقال علي بن عبدالله : الحرج : الضيق ، فجعل الله الكفارات مخرجاً من ذلك . سمعت ابن عباس يقول ذلك .
وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٧٩ وعزاه لمحمد بن يحيى الذهلي في الزهريات وابن عساكر . وروى ابن أبي حاتم كما في الدر المنثور ٦/ ٧٨ ، ٧٩ من طريق ابن شهاب ، أن ابن عباس كان يقول في قوله : ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ : توسعة الإسلام ، وما جعل الله من التوبة ومن الكفارات .

وروي عنه قول آخر ، قال : هذا في هلال شهر رمضان إذا شك فيه الناس ، وفي الحج إذا شكوا في الهلال ، وفي الفطر[١] وأشباهه حتى يتيقنوا[٢] .

وعلى هذا رفع الحرج يعود إلى أنا أمرنا بالأخذ باليقين عند الاشتباه .

وروي عن أبي هريرة أنه قال لابن عباس : أما علينا في الدين من حرج أن نسرق أو نزني ؟ قال : بلى . قال[٣] : قوله : ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ ؟ قال : ذلك الإصر[٤] الذي كان على بني إسرائيل ، وضعه الله عنكم[٥] .

وقال مقاتل بن حيان : يعني إباحة الرخص عند الضرورات ، كالقصر في الصلاة ، والتيمم ، وأكل الميتة ، والإفطار عند المرض والسفر[٦] .

---

(١) في (أ) : (الفطرة) .

(٢) رواه سعيد بن منصور في تفسيره : ل ١٥٦ ب ، والطبري ١٧/ ٢٠٧ وابن أبي حاتم وابن المنذر كما في الدر المنثور ٦/ ٧٩ من طريق عثمان بن يسار ، وتصحف في المطبوع من الطبري والدر المنثور إلى : بشار ، والصواب يسار كما في التاريخ الكبير للبخاري ٦/ ١٧٣ ، والجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٦/ ٢٥٧ عن ابن عباس .
وليس قوله : (حتى يتيقنوا) في رواية أحد منهم ، وإنما أدخلها الواحدي من كلام الثعلبي ٣/ ٥٧ ب ، حيث ذكر الثعلبي هذا القول ولم ينسبه لأحد .

(٣) (قال) : ساقطة من (ظ) .

(٤) في (ظ) و(د) و(ع) : (الأمر) .

(٥) رواه ابن أبي حاتم كما في الدر المنثور ٦/ ٧٨ عن محمد قال : قال أبو هريرة لابن عباس ، فذكره .

(٦) ذكره السيوطي عنه في الدر المنثور ٦/ ٨٠ بأطول من هذا ، وعزاه لابن أبي حاتم .

وهو قول الكلبي[١] ، واختيار الزَّجَّاج[٢] .

قولــه تعــالى : ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾ . قال أكثر النحويين[٣] : (ملة) منصوب على الأمر ، معناه : اتبعوا ملة أبيكم .

وقال المبرِّد : أي عليكم ملة أبيكم[٤] .

وتأويــل عليكم : اتبعــوا واحفظوا . وهذا قول الأخفــش[٥] ، والفرَّاء[٦] ، والزَّجَّاج[٧] .

---

(١) ذكره عنه البغوي ٥/ ٤٠٣ .

(٢) انظــر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٤٤٠ . وما ذكر هنا من الأقوال داخل في معنى الآية ، وكل ذكر مثلاً على رفع الحرج . قال ابن العربي في أحكام القرآن ٣/ ١٣٠٥ بعد أن ذكر وجوهاً من رفع الحرج : ولو ذهبت إلى تعديد نعم الله في رفع الحرج لطال المرام .
وقــال ابن القيم في زاد المعــاد ٣/ ٨ ، ٩ : ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ والحرج : الضيق ، بل جعله واسعاً يسع كل أحد . . . . ، وما جعل على عبده في الدين من حرج بوجه ما . . . وقد وسع الله سبحانه وتعالى على عباده غاية التوسعة في دينه ورزقه وعفوه ومغفرته .
ثم ذكر ـ رحمه الله ـ أمثلة لذلك .

(٣) انظر : إعراب القرآن للنحاس ٣/ ١٠٦ ، والإملاء للعكــبري ٢/ ١٤٧ ، والبحر المحيط ٦/ ٣٩١ ، والدر المصون ٨/ ٣٠٩ .

(٤) لم أجده .

(٥) انظر : معاني القرآن للأخفش ٢/ ٦٣٨ .

(٦) انظر : معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٣١ وفيه : وقد تنصب (ملة إبراهيم) على الأمر بها .

(٧) انظر : معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٤٤٠ .

قال الفـرَّاء : ويجوز أن يكـون المعنى كملـة أبيكم فإذا ألقيـت[١] الكاف نصبت[٢] .

وقال أبو إسحاق : وجائز أن يكون منصوباً بقوله[٣] : ﴿وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ﴾ فعل أبيكم إبراهيم[٤] .

وعلى هذا أقيم قوله : ﴿مِّلَّةَ﴾ مقام المصدر ، وذلك أن فعل إبراهيم هو ملته وشرعه[٥] .

---

(١) في (أ) : (الغيت) .

(٢) عبـارة الفرَّاء في معانيـه ٢/ ٢٣١ هي : وقولـه : ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ﴾ نصبتها على : وسـع عليكم كملة إبراهيم ، لأن قوله : ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ يقول : وسـعة وسمحة كملَّة إبراهيم ، فإذا ألقيـت الكاف نصبت . وقد تنصب ﴿مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ﴾ على الأمر بهـا ؛ لأن أول الكلام أمر كأنه قال : اركعوا والزموا ملة إبراهيم . انتهى كلامه .
فليس في عبارة الفرَّاء : (ويجوز) ، بل إنه ذكر هذا القول ثم ذكر قولاً آخر وصدره بقوله : وقد ـ وهو القول الذي ذكر الواحدي أنه قول الفرَّاء ـ فعكس الواحدي الأمر . والله أعلم .
وهذا الوجه الذي ذكره الفرَّاء اسـتبعده مكي في مشكل إعراب القرآن ٢/ ٤٩٥ ، والأنباري في البيان في غريب إعراب القرآن ٢/ ١٧٩ .

(٣) في (أ) و(ظ) : (اعبدوا) ، وهو هكذا في معاني الزَّجَّاج .

(٤) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣٠/ ٤٤٠ . ونحو هذا قال الزمخشري ٣/ ٢٤ : كأنه قال : وسـع عليكم دينكم توسـعة ملة أبيكم . ثم حذف المضاف ـ يعني توسعة ـ وأقيم المضاف إليه ـ يعني ملة ـ مقامه . وعلى هذا القول انتصاب (ملة) على أنها مفعول مطلق لفعل محذوف . واستظهر هذا الوجه السمين الحلبي ٨/ ٣١٠ .
وقيل : (ملة) منصوبة على الاختصاص ، ؛أي أعنـي بالدين ملة أبيكم . وقيل : منصوبة بـ(جعلها) مقدراً .
انظر : إعراب القرآن للنحاس ٣/ ١٠٦ ، والإملاء للعكـبري ٢/ ١٤٧ ، والبحر المحيط ٦/ ٣٩٠ ، والدر المصون ٨/ ٣٠٩ ، ٣١٠ .

(٥) في (ظ) : (شرعه) .

وقولـه : ﴿أَبِيكُمْ﴾ ؛ إن حمل الكلام على تخصيص العـرب[١] بالخطاب في هذه الآية ، فإبراهيم أبو العرب قاطبة ، وإن حمل[٢] على التعميم فهو أبو المسلمين كلهم ؛ لأن حرمته على المسـلمين كحرمة الوالد كما قـال ﷺ : «إنما أنا لكم مثل الوالـد»[٣] . وكقوله تعـالى : ﴿وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ [الأحـزاب :٦] . وهذا معنى قول الحسن[٤] .

قال المفـسرون : وإنما أمرنا باتبـاع ملة إبراهيم ، لأنهـا داخلة في ملة محمد عليهما[٥] السلام[٦] .

وقولـه : ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾ قال جماعة المفسرين وأهل المعاني : هو كناية عن الله تعالى[٧] . أي[٨] الله -تعالى- سماكم المسلمين قبل إنزال القرآن في الكتب التي أنزلت قبله .

---

(١) (العرب) : ساقطة من (أ) . فأصبحت العبارة في (أ) : (على تخصيص الخطاب) .

(٢) في (أ) : (عمل) ، وهو خطأ .

(٣) هذا قطعة من حديث رواه الدارمي في مسـنده ١/ ١٧٢ ، والإمام أحمد في مسنده ١٣/ ١٠٠ ، والنسائي في سـننه في كتاب الطهارة ، باب النهي عن الاسـتطابة بالروث ١/ ٣٨ ، وابن ماجة في سـننه في كتاب الطهارة ، باب الاستنجاء بالحجارة والنهي عن الروث والرمة ١/ ٣ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه . قال العلامة أحمد شاكر في تعليقه على المسند ١٣/ ١٠٠ : إسناده صحيح .

(٤) ذكره عنه الثعلبي ٣/ ٥٧ ب .

(٥) (عليهما السـلام) : في حاشـية (أ) وعليها علامة التصحيح . وفي (ظ) : (عليهم السـلام) ، وفي (د) و(ع) : (صلى الله عليهما وسلم) ، وأثبتنا ما في (أ) لأنه الموافق لما عند الثعلبي . فالنص منقول منه .

(٦) الكشف والبيان للثعلبي ٣/ ٥٧ ب .

(٧) انظر : الطبري ١٧/ ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، والثعلبي ٣/ ٥٧ ب ، وابن كثير ٣/ ٢٣٦ ، والدر المنثور ٦/ ٨٠ ، ٨١ ، ومعاني القرآن للفرَّاء ٢/ ٢٣١ ، ومعاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٤٤٠ .

(٨) في (ظ) : (أن) .

وقال مقاتل بن حيان : ﴿مِن قَبْلُ﴾ يعني [في أم الكتاب[١] . ﴿وَفِي هَٰذَا﴾ ؛ قالوا[٢] : يعني القرآن .

وقال ابن زيد : هو كناية عن إبراهيم[٣] .

يعني][٤] أن إبراهيم سماكم المسلمين من قبل هذا الوقت ، وفي هذا الوقت وهو قوله : ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ [البقرة :١٢٧][٥] .

وذكر أبو إسحاق القولين ، وقال في القول الثاني : أي حكم إبراهيم أن كل من آمن بمحمد موحداً لله فقد سماه إبراهيم مسلماً[٦] .

---

(١) ذكره ابن الجوزي ٥/ ٤٥٧ ولم ينسبه لأحد .

(٢) قالوا : يعني جماعة المفسرين وأهل المعاني . انظر : فقرة : (٣) .

(٣) ذكره الثعلبي ٣/ ٥٧ ب ، ورواه الطبري ١٧/ ٢٠٨ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٨١ وعزاه لابن أبي حاتم .
قال الطبري ١٧/ ٢٠٨ : ولا وجه لما قال ابن زيد من ذلك ؛ لأنه معلوم أن إبراهيم لم يُسم أمة محمد مسلمين في القرآن ؛ لأن القرآن أُنزل من بعده بدهر طويل ، وقد قال الله تعالى ذكره : ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا﴾ ولكن الذي سمانا مسلمين من قبل نزول القرآن وفي القرآن الله الذي لم يزل ولا يزال . اهـ .
وقال الشنقيطي ٥/ ٧٥٠ : وفي هذه الآيات قرينتان تدلان على أن قول عبدالرحمن بن زيد بن أسلم غير صواب ، ثم ذكر الشنقيطي الأولى وهو مثل ما قال الطبري ، وأشار إلى أن ابن جرير نبه عليها . ثم قال : القرينة الثانية : أن الأفعال كلها في السياق المذكور راجعة إلى الله لا إلى إبراهيم ، فقوله : ﴿هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ﴾ أي الله ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ﴾ أي الله . اهـ .
فظهر بذلك أن القول الأول هو الصحيح ، وصوبه ابن كثير ٣/ ٢٣٦ وغيره .

(٤) ما بين المعقوفين في حاشية (ظ) ، وعليه علامة التصحيح .

(٥) الثعلبي ٣/ ٥٧ ب مع تصرف .

(٦) معاني القرآن للزَّجَّاج ٣/ ٤٤٠ .

قوله : ﴿لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ﴾ ؛ أي اجتباكم وسماكم المسلمين ليكون محمد[١] عليه السلام ﴿شَهِيدًا عَلَيْكُمْ﴾ يوم القيامة بالتبليغ ، ﴿وَتَكُونُوا۟﴾ أنتم ﴿شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ أن الرسول قد بلغهم .

وهذا قول ابن عباس ، وقتادة[٢] ، وجميع المفسرين[٣] .

وقد سبق الكلام في هذا عند قوله : ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ الآية ، [البقرة :١٤٣] .

وقوله : ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ﴾ . قال ابن عباس : سلوا ربكم أن يعصمكم من كل ما يسخط ويكره[٤] . وقال الحسن : تمسكوا بدين الله[٥] .

وقال مقاتل : وثقوا بالله[٦] . ﴿هُوَ مَوْلَىٰكُمْ﴾ . قال ابن عباس : ناصركم[٧] . والمعنى : هو الذي يتولى أموركم . وذكرنا معنى المولى في ما تقدم[٨] .

ثم مدح نفسه فقال : ﴿فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ . قال مقاتل : يقول : نعم المولى هو لكم ، ونعم النصير هو لكم[٩][١٠] .

---

(١) في (ظ) و(ع) : (محمداً) ، وهو خطأ .

(٢) رواه عبدالرزاق في تفسيره ٢/ ٤٢ ، والطبري ١٧/ ٢٠٨ . وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٨١ وعزاه لعبدالرزاق وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٣) انظر : الطبري ١٧/ ٢٠٨ ، والثعلبي ٣/ ٥٧ ب ، والدر المنثور ٦/ ٨١ .

(٤) ذكره عنه البغوي ٥/ ٤٠٤ ، وابن الجوزي ٥/ ٤٥٧ .

(٥) ذكره عنه الثعلبي ٣/ ٥٧ ب .

(٦) تفسير مقاتل ٢/ ٢٩ أ .

(٧) انظر : البغوي ٥/ ٤٠٤ ، وابن كثير ٣/ ٢٣٧ .

(٨) انظر : البسيط عند قوله تعالى : ﴿بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ﴾ [آل عمران :١٥٠] .

(٩) تفسير مقاتل ٢/ ٢٩ أ .

(١٠) هنا ينتهي الموجود من نسخة (د) . وكتب في ختامها : انتهت . العاشر ، ويتلوه في الحادية عشر سورة المؤمنون عليهم السلام ، وهو قوله عز وجل : ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ قال الليث : (قد) حرف ، وفي آخر الأصل : (والحمد لله رب العالمين وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم) .